

١٧



٩٨٦

٩١٧

فهرست المجلد الاول من امالي السيد المرتضى ما فيه من آيات واحاديث

الجزء الأول

من كتاب غرر الفوائد ودرر القلائد

تأليف السيد الأجل المرتضى علم الهدى ذي المجدين أبي القاسم علي
ابن الحسين بن موسى الموسوي رضي الله عنه

من نعم الله على عبده الفقير اليه
عبد القادر بن عمر البغدادي

رب اعن بعونك

[بسم الله الرحمن] الرحيم

قال الشريف الامام الاجل المرتضى ابو القاسم علي بن الحسين بن موسى الموسوي رضي الله عنه وارضاه: **تاويل اية** قال الله جل من قايل واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ٥ في هذه الاية وجوه من التاويل كل منها يبطل الشبهة الداخلة على بعض المبطلين فيها حتى عدلوا بتاويلها عن وجهه وصرفوه عن بابه اولها ان الاهلاك قد يكون حسنا وقد يكون قبيحا فاذا كان مستحقا او على سبيل الامتحان كان حسنا وانما يكون قبيحا اذا كان ظلما فتعلق الارادة لا يقتضي تعلقها به على الوجه القبيح ولا ظاهر للاية يقتضي ذلك واذا علمنا بالادلة تنزه القديم تعالى عن القبايح علمنا ان الارادة لم تتعلق الا بالاهلاك الحسن وقوله تعالى امرنا مترفيها المامور به محذوف وليس يجب ان يكون المامور به هو الفسق وان وقع بعده وانما يجري هذا مجرى قول القايل امرته فعصى ودعوته فابى والمراد انني امرته بالطاعة ودعوته الى الاجابة والقبول ويمكن ان يقال على هذا الوجه

ليس

ليس موضع الشبهة ما تكلمتم عليه وانما موضعها ان يقال اي معنى لتقدم الارادة فان كانت متعلقة باهلاك مستحق بغير الفسق المذكور في الاية فلا معنى لقوله اذا اردنا امرنا لان امره بما يامر به لا يحسن ارادته للعقاب المستحق بما تقدم من الافعال وان كانت الارادة متعلقة بالاهلاك المستحق بمخالفة الامر المذكور في الاية فهو الذي تابونه لانه يقتضي انه تعالى مريد لاهلاك من لم يستحق العقاب ٥

والجواب

عن ذلك انه تعالى لم يعلق الارادة الا باهلاك مستحق بما تقدم من الذنوب والذي حسن قوله واذا اردنا امرنا هو ان في تكرار الامر بالطاعة والايمان اعذارا الى العصاة وانذارا لهم وايجابا للحجة عليهم حتى يكونوا متى خالفوا واقاموا على العصيان والطغيان بعد تكرر الوعيد والوعظ والانذار ممن حق عليه القول وتجب عليه الحجة ويشهد لصحة هذا التاويل قوله تعالى قبل هذه الاية وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ٥

والوجه الثاني

في تاويل الاية ان يكون قوله امرنا مترفيها من صفة القرية

وصلتها ولا يكون جوابا لقوله وإذا أردنا ويكون تقدير الكلام
وإذا أردنا أن نهلك قرية من صفتها أنا أمرنا مترفيها ففسقوا
فيها ويكون إذا على هذا الجواب لم يأت لها جواب ظاهر
في الآية للاستغناء عنه بما في الكلام من الدلالة عليه
ويكون كأنه قال تعالى وإذا أردنا أن نهلك قرية مأمورا
مترفوها أكثرنا الأمر عليهم وأعدنا الوعظ وأمرناهم تأنيسا
ففسقوا فيها فحق عليها القول والله أعلم بما أراد ونظير هذا
قوله تعالى في صفة الجنة حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها
وقال لهم خزنتها طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد
لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة
حيث نشاء فنعم أجر العاملين ولم يأت لإذا جواب
في طول الكلام للاستغناء عنه ويشهد أيضا لصحة هذا
التأويل قول الهذلي

حتى إذا أسلكوهم في قتائدة شلا كما تطرد الجمالة الشردا

فحذف جواب إذا ولم يأت به لأن هذا البيت آخر القصيدة

والوجه الثالث

أن يكون ذكر الإرادة في الآية مجازا واتساعا وتنبيها على المعلوم



من حال القوم وعاقبة أمرهم أنهم متى أمروا فسقوا وخالفوا ويجري
ذكر الإرادة ههنا مجرى قولهم إذا أراد التاجر أن يفتقر
أتته النوائب من كل جهة وجاءه الخسران من كل طريق
وقولهم إذا أراد العليل أن يموت خلط في مأكله وتسرع
وتسرع إلى كل ما تتوق إليه نفسه ومعلوم أن
التاجر لم يرد في الحقيقة شيئا ولا المريض أيضا لكن لما
كان المعلوم من حال هذا الخسران ومن حال هذا الهلاك حسن
هذا الكلام واستعمل ذكر الإرادة لهذا الوجه وكلام
العرب وحي وإشارات واستعارات ومجازات ولهذه الحال
كان كلامهم في المرتبة العليا من الفصاحة فإن الكلام
متى خلا من الاستعارة وجرى كله على الحقيقة
كان بعيدا من الفصاحة بريا من البلاغة وكلام الله تعالى أفصح الكلام

والوجه الرابع

أن تحمل الآية على التقديم والتأخير فيكون تلخيصها
إذا أمرنا مترفي قرية بالطاعة فعصوا واستحقوا العقاب
أردنا إهلاكهم والتقديم والتأخير في الشعر وكلام
العرب كثير ٥ ومما يمكن أن يكون شاهدا لصحة

هذا التأويل من القرآن قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلوة
فاغسلوا وجوهكم والطهارة إنما تجب قبل الصلاة وقوله تعالى
وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك
وقيام الطائفة معه يكون قبل إقامة الصلاة لأن إقامتها
هي الإتيان بجميعها على الكمال . فأما قراءة من يقرأ
الآية بالتشديد فقال أمّرنا وقراءة من قرأها بالمد والتخفيف
فقال آمرنا فلن تخرج معنى قراءتهما عن الوجوه التي ذكرناها
إلا الوجه الأول فإن معناه لا يليق إلا بأن يكون ما تضمنته الآية
هو الأمر الذي يستدعى به إلى الفعل .

تأويل خبر

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من تعلم القرآن ثم نسيه
لقي الله وهو أجذم . قال أبو عبيد القاسم بن سلام مفسرًا
لهذا الحديث في كتابه غريب الحديث الأجذم المقطوع
اليد واستشهد بقول المتلمس .

وما كنت إلا مثل قاطع كفه بكف له أخرى فأصبح أجذما

وقد خطأ عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبا عبيد في تأويله هذا الحديث
وقال الأجذم وإن كان المقطوع اليد فإن هذا المعنى لا يليق

هذا الموضع

هذا الموضع لأن العقوبات من الله تعالى لا تكون إلا وفقًا للذنوب
وبحسبها واليد لا مدخل لها في نسيان القرآن فكيف يعاقب فيها
واستشهد بقوله تعالى الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم
الذي يتخبطه الشيطان من المس وزعم أن تأويل الآية أن الربا إذا
أكلوه يثقل في بطونهم وربا في أجوافهم فجعل قيامهم مثل قيام
من يتخبطه الشيطان تعثرًا وتخبلًا واستشهد أيضًا
بما روي عن النبي صلى الله عليه وآله من قوله رأيت ليلة أسري بي
قومًا تقرض شفاههم وكلما قرضت وفت فقال لي جبريل
هؤلاء خطباء أمتك تقرض شفاههم لأنهم يقولون ما لا يفعلون
قال فالأجذم في الخبر إنما هو المجذوم وإنما جاز أن يسمى المجذوم
أجذم لأن الجذام يقطع أعضاءه ويشذبها والجذم هو
القطع . قال الشريف المرتضى رحمه الله وقد أخطأ الرجلان جميعًا
وذهبا عن الصواب ذهابًا بعيدًا وإن كان غلط ابن قتيبة أفحش
وأقبح لأنه علل غلطه فأخرجه إلى أغاليط لنبينه ونحن نبين معنى
الخبر ثم نتكلم على ما أورداه .

أما معنى الخبر

فهو ظاهر لمن كان له أدنى معرفة بمذاهب العرب في كلامها وإنما

اراد عليه السلام بقوله يحشر اجذم المبالغة في وصفه بالنقصان عن
وفقد ما كان عليه بالقرآن من الزينة والجمال والتشبيه
له بالاجذم من حسن التشبيه وعجيبه لان اليد من الاعضاء
الشريفة التي لا يتم لبشر من التصرف ولا يتوصل الى كثير
من المنافع الا بها ففاقدها يفقد ما كان عليه من الكمال
ويفوته المنافع والمرافق التي كان يجعل يده ذريعة الى نيلها
وهذه حال ناسي القرآن ومضيعه بعد حفظه لانه يفقد ما كان
لابسا له من الجمال ومستحقا له من الثواب وهذه عادة العرب في
كلامهم معروفة يقولون فيمن فقد ناصره ومعينه (ومنعشه)
فلان بعد فلان اجذع وقد بقي بعده اجذم قال الفرزدق
يرثي مالك بن مسمع

تضعضع طود وائل بعد مالك واصبح منها معطس العز اجذما

وانما اراد المعنى الذي ذكرناه وللعرب ملاحن في
كلامها واشارات الى الاغراض وتلويحات بالمعاني
متى لم يفهمها ويتسرع الى الفطنة بها من يتعاطى تفسير
كلامهم وتاويل خطابهم كان ظالما نفسه متعديا
طوره ونعود الى الكلام على ما ذكره الرجلان اما ابو عبيد

فان خطاه

فان خطاه من حيث لم يفطن (معا) للغرض في الخبر وضل عن وجهه
والا فالاجذم هو الاقطع لا محالة كما قال الا انه لا يليق بهذا
الموضع واذا حمل عليه لم يفد شيئا وان كان شبهته التي اوقعته في هذا
التاويل ظنه ان ذلك يكون على سبيل العقوبة له على نسيان القرآن
فليس كما ظن لان الجذم اولا ليس بعقوبة لان الله تعالى قد يجذم
اولياءه والصالحين من عباده ويقطع اعضاءهم بالامراض ويبتدئ
خلق من هو ناقص الاعضاء فليس يلازم في الجذم ان يكون
عقوبة ثم لو كان يستحق ناسي القرآن عقوبة على نسيانه لكان
حفظ القرآن بأسره فرضا واجبا وحتما لازما لان العقوبة لا
تستحق بترك ما ليس بواجب وليس حفظ جميع القرآن كذلك
فاما ابن قتيبة فانه غلط من حيث لم يفطن للوجه في الخبر
الذي ذكرناه ومن حيث ظن ان العقوبة لا تكون الا في
محل الذنب وهذا القول يوجب عليه ان لا يجلد ظهر الزاني ويختص
العقوبة بفرجه وكذلك القاذف كان يجب ان يعاقب في لسانه
دون سائر اعضائه والخبر الذي استشهد به حجة عليه لانا
نعلم ان اللسان اقوى حظا في باب الكلام من الشفة فلم يخص
بالعقوبة وجعلت بالشفاه دونه ثم غلطه في تاويل الآية التي اوردها

أقبح من كل ما تقدم لأنه توهم أن ما تضمنته الآية من تخبط أكل
الربا وتعثره عند القيام إنما هو في الدنيا من حيث ثقل ما أكله
في معدته فتمنعه من النهوض ونحن نعلم ضرورة خلاف
ذلك ونجد كثيرا من أكلة الربا أخف نهوضا وأسرع
قياما ونصرة فأين غيرهم ممن لم يأكل الربا قط والمعنى في
الآية ما ذكره المفسرون من أن ما وصفهم الله تعالى به يكون عند
قيامهم من قبورهم فيلحقهم الغشيان والزلل والتخبط على سبيل
العقوبة لهم وليكون ذلك أيضا أمارة لمن تعافهم من الملائكة
والحفظة على الفرق بين الولي والعدو ومستحق الجنة ومستحق
النار وليس بمعروف ولا ظاهر لأن الأجذم هو المجذوم ورد
ابن قتيبة معناه واشتقاقه إلى الجذم الذي هو القطع يوجب
عليه أن يكون كل داء يقطع الجسد ويفرق أوصاله كالجدري
والأكلة وغيرهما يسمى جذاما ويسمى من كان عليه
أجذم وهذا باطل وأما قول الشاعر

حرق قيس على البلاد حتى إذا اضطرمت أجذما

فليس هو من هذا الباب بل هو من الإجذام الذي هو الإسراع
فكأنه قال لما اضطرمت أسرع عني وتباعد مني والإجذام بالذال

المعجمة

المعجمة والدال غير المعجمة جميعا الإسراع فأما قول عنترة في وصف الذباب

هزجا يحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الأجذم

فهو من هذا الباب لأن الأجذم من صفة المكب لا من صفة
الزناد كأنه قال قدح المكب الأجذم على الزناد وهذا من
حسن التشبيه وبديعه

مسألة

كان بعض الشيوخ المتقدمين يقول ليس يمتنع أن يمكن الله تعالى من
الظلم من يعلم من حاله أنه يرد القيامة غير مستحق لشيء من
الأعواض أو لما يوازي القدر المستحق عليه منها فإذا أراد الانتصاف
منه تفضل عليه بما ينقله إلى مستحق العوض ويقول ليس هذا
ببعيد ولا مستحيل لأن العوض ليس يختص بصفة تمنع من
التفضل بمثله ولا يجري في ذلك مجرى الثواب والمستنقر من
مذاهب الشيوخ وهو الصحيح لأن الانتصاف واجب على الله تعالى
من حيث خلى بين عباده وبين الظلم فلا يجوز أن يعلق الأمر الواجب
بالتفضل لفاعله أن لا يفعله فيؤول الحال إلى تعذر الانتصاف فقالوا
من يعلم الله تعالى أنه يرد القيامة ولا أعواض له يمنعه من الظلم
ولا يمكنه منه لهذه العلة ويجيزون أن يمكن من الظلم من

يكون في الحال غير مستحق للعوض او غير مستحق للقدر الذي يوازي
الظلم من العوض بعد ان يكون المعلوم من حاله انه يرد القيمة
وقد استحق من الاعواض ما يوازي ما عليه منها قال
المرتضى رضي الله عنه وهذا القول يعني تجويز تمكين الظالم
من الظلم وهو في الحال غير مستحق للعوض يبطل بالعلة التي ابطلنا بها
قول من اجاز الانتصاف بالتفضل لانا نعلم ان تبقية
المكلف وغير المكلف لا تجب والقديم تعالى ان لا يفعلها فلو لم يفعلها
واخترم هذا الظالم بعد ظلمه لكان الانتصاف منه غير
ممكن وقد تعلق الانتصاف على هذا القول بما ليس بواجب كما
علقه من قدمنا حكاية قوله بما ليس بواجب وليس لهم
ان يقولوا ذلك حسن لان الله تعالى يعلم انه يبقيه ليستحق ويستحق
اعواضا لان عليهم مثل ذلك اذا قيل لهم فاجيزوا ان يرد
القيامة وهو لا يستحق العوض ويعلم تعالى انه يتفضل عليه
بما يقع به الانتصاف فاذا قالوا علم الله تعالى بانه يتفضل
لا يخرج التفضل من ان يكون غير واجب قيل لهم
علم الله تعالى بانه يبقي من لا عوض له ليستحق العوض لا يخرج
التبقية من ان تكون غير واجبة فاستوى الامران والصحيح

ان يقال

ان يقال انه تعالى لا يمكن من الظلم من لا عوض له في الحال ليستقيم
الكلام ويطرد

مجلس آخر

تأويل آية قال الله تبارك وتعالى ويسألونك عن الروح قل الروح
من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقد ظن قوم من غفلة
الملحدين وجهالهم ان الجواب عما سئل عنه في هذه الآية
لم يحصل وان الامتناع منه انما هو لفقد العلم به وان قوله تعالى
وما اوتيتم من العلم الا قليلا تبكيت وتقريع لمن يتعاطى فهمها وانما
هو على سبيل التحاجز والمدافعة عن الجواب
وفي هذه الآية وجوه من التأويل تبطل ما ظنوه وتدل على ما جهلوه
اولها انه تعالى انما عدل عن جوابهم لعلمه بان ذلك ادعى لهم
الى الصلاح في الدين وان الجواب لو صدر منه اليهم لازدادوا
فسادا وعنادا اذ كانوا بسؤالهم متعنتين لا مستفيدين
وليس هذا بمنكر لانا قد نعلم في كثير من الاحوال ممن يسألنا
عن الشيء ان العدول عن جوابه اولى واصلح في تدبيره وقد قيل ان
اليهود قالت لكفار قريش سلوا محمدا عن الروح فان اجابكم

كتابنا

فليس بنبي وان لم يجبكم فهو نبي وانا نجد في كتبنا ذلك
فامر الله بالعدول عن ذلك ليكون علما له ودلالة على صدقه
وتكذيبا لليهود الرادين عليه وهذا جواب ابي علي
محمد بن عبد الوهاب الجبائي ۞ وثانيها ان القوم انما سالوه
عن الروح هل هي محدثة مخلوقة او ليست كذلك فاجابهم
بانها من امر ربي وهو جوابهم عما سالوا عنه بعينه
لانه لا فرق بين ان يقول في الجواب انها محدثة مخلوقة
وبين قوله انها من امر ربي لانه انما اراد انها من فعله
وخلقه وسوا على هذا الجواب ان تكون الروح التي سالوا
عنها هي التي بها قوام الجسد او عيسى عليه السلام او جبريل
صلى الله عليه فقد سمى الله تعالى جبريل روحا وعيسى عليه
السلام ايضا سمي في القرآن بذلك ۞ وثالثها انما سالوه
عن الروح الذي هو القرآن روحا في مواضع من الكتاب (وقد سمى الله القرآن)
واذا كان السؤال عن القرآن فقد وقع الجواب موقعه
لانه قال لهم الروح الذي هو القرآن من امر ربي ومما
انزله على نبيه عليه السلام ليجعله دلالة وعلما على صدقه
وليس من فعل المخلوقين ولا مما يدخل في امكانهم وهذا

جواب الحسن

جواب الحسن البصري ويقويه قوله تعالى بعد هذه الاية ولئن
شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا
فكانه قال تعالى ان القرآن من امري وفعلي ومما انزلته علما على
نبوة رسولي ولو شئت لرفعته وازلته وتصرفت فيه كما يتصرف
الفاعل فيما يفعله ۞

فصل

قال ابو مسلم محمد بن بحر الاصفهاني في قوله تعالى
والارض مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من
كل شيء موزون قال انما خص الموزون دون المكيل
بالذكر لوجهين احدهما ان غاية المكيل ينتهي الى الوزن
لان سائر المكيلات اذا صارت طعاما دخلت في باب
الوزن وخرجت عن باب الكيل فكان الوزن اعم من الكيل ۞

والوجه الاخر

ان في الوزن معنى الكيل لان الوزن هو طلب مساواة الشيء
بالشيء ومقايسته اليه وتعديله به وهذا المعنى ثابت في الكيل
فخص الوزن بالذكر لاشتماله على معنى الكيل هذا
قول ابي مسلم ۞

ووجه الاية

ما يشهد له ظاهر لفظها غير ما سلكه ابو مسلم وانما

حاشية قلت هذا انطرق من الاية الى القول بخلق القرآن وهي نزعة اعتزالية نعوذ بالله من شر موبقات البدع ومضلات الفتن ٥ م

اراد الله تعالى بالموزون المقدر الواقع بحسب الحاجة
فلا يكون ناقصا عنها ولا زائدا عليها زيادة مضرة او داخلة
في باب العبث ونظير ذلك من كلامهم قولهم كلام فلان
موزون وافعاله مقدرة موزونة وانما يراد ما اشرنا اليه وعلى
هذا المعنى تاول المفسرون ذكر الموازين في القران على احد
التاويلين وانها التعديل والمساواة بين الثواب والعقاب
قال الشاعر وهو ذو الرمة

لها بشر مثل الحرير ومنطق رخيم الحواشي لا هراء ولا نزر

والهراء الكثير والنزر القليل فكانه قال ان حديثها
لا ينقص عن الحاجة ولا يزيد عليها وهذا يجري مجرى ان تقول
هو موزون لا يتكرر وافعاله مقدرة موزونة وانما يراد ما الى
وقال مالك بن اسماء بن خارجة الفزاري

وحديث الذه هو مما ينعت الناعتون يوزن وزنا
منطق صائب وتلحن احيانا وخير الحديث ما كان لحنا

وهذا الوجه الذي ذكرناه اشبه بمراد الله تعالى في الاية
والبق بفصاحة القران وبلاغته الموفيتين على فصاحة
سائر الفصحاء وبلاغتهم فاما قول الشاعر الذي استشهدنا بشعره

وتلحن احيانا فلم يرد اللحن في الاعراب الذي هو ضد الصواب وانما اراد
الكناية عن الشيء والتعريض بذكره والعدول عن الافصاح عنه
الى معنى قوله تعالى ولتعرفنهم في لحن القول وقول الشاعر

ولقد وحيت لكم لكيما تفطنوا ولحنت لحنا ليس بالمرتاب

وقد قيل ان اللحن الذي عنى في البيت هو الفطنة وسرعة الفهم على معنى
ما روي عن النبي صلى الله عليه واله انه قال لعل احدكم ان يكون
الحن بحجته اي افطن لها واغوص عليها ومما يشهد لما ذكرناه
ما اخبرنا ابو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني قال
حدثنا احمد بن عبد الله العسكري قال حدثني العنزي قال
حدثنا علي بن اسماعيل الزيدي قال اخبرنا اسحق بن ابرهيم قال
تكلمت هند بنت اسماء بن خارجة عند الحجاج فلحنت فقال لها
اتلحنين وانت شريفة وفي بيت قيس قالت اما سمعت قول اخي مالك
لامراته الانصارية قال وما هو قالت قوله

منطق صائب وتلحن احيانا وخير الحديث ما كان لحنا

فقال الحجاج انما عنى اخوك اللحن في القول اذا كنى المحدث عما
يريد ولم يعن اللحن في العربية فاصلحي لسانك وقد طعن عمرو بن
بحر الجاحظ بمثل هذا بعينه فقال ان اللحن مستحسن من

النساء الغرائب وليس بمستحسن منهن [illegible]واب والتشبه بفحول
الرجال واستشهد بأبيات مالك بعينها وظن أنه أراد باللحن ما
يخالف الصواب وتبعه على هذا الغلط عبد الله بن مسلم بن قتيبة
الدينوري فذكر في كتابه المعروف بعيون الأخبار
أبيات الفزاري واعتذر بها من لحن إن أصيب في كتابه
وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن يحيى الصولي
قال حدثني يحيى بن علي المنجم قال حدثني أبي قال قلت للجاحظ
مثلك في عقلك وعلمك بالأدب ينشد قول الفزاري ويفسره
على أنه أراد اللحن في الإعراب وإنما أراد وصفها بالظرف والفطنة
وأنها تورّي عما قصدت له وتتنكب التصريح به فقال له
قد فطنت لذلك بعد قلت فغيّره من كتابك فقال
كيف لي بما سارت به الركبان وقال الصولي فهو في كتابه
على خطابه ومن حسن اللحن الذي هو التعريض والكناية
ما أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثنا
محمد بن الحسن بن دريد الأزدي أن رجلاً من بني العنبر حبس
أسيرًا في بكر بن وائل فسألهم رسولاً إلى قومه فقالوا له لا ترسل
إلا بحضرتنا لأنهم كانوا أزمعوا على غزو قومه فخافوا أن

هنا سقط

١

فقيل هؤلاء شيعتك فقال ما لي لا أرى فيهم سيما الشيعة
قال وما سيما الشيعة قال خمص البطون من الطوى يبس
الشفاه من الظما عمش العيون من البكا هذا كله
قول ابن قتيبة والوجهان جميعًا حسنان وإن كان الوجه
الذي ذكره ابن قتيبة أحسن وأنصع ويمكن أن يكون
في هذا الخبر وجه ثالث تشهد بصحته اللغة وهو أن
أحد وجوه معنى لفظة الفقر أن يحز أنف البعير
حتى يخلص إلى العظم أو قريب منه ثم يلوى عليه
حبل يذلل بذلك الصعب يقال فقره يفقره فقرًا
إذا فعل به ذلك وبعير مفقور وبه فقرة وكل شيء حززته
وأثرت فيه فقد فقرته تفقيرًا ومنه سميت الفاقرة وقيل
سيف مفقر فيحتمل القول أن يكون عليه السلام أراد من
أحبنا فليلزم نفسه وليخطمها وليقدها إلى الطاعات وليصرفها
عما تميل طباعها إليه من الشهوات وليذللها على الصبر عما كره
منها ومشقة ما أريد منها كما يفعل بالبعير الصعب وهذا
وجه في الخبر ثالث لم يذكر وليس يجب أن يستبعد
حمل الكلام على بعض ما يحتمله إذا كان له شاهد من اللغة

وكلام العرب لان الواجب على من يتعاطى تفسير غريب الكلام
والشعر ان يذكر كل ما احتمله الكلام من وجوه المعاني
ويجوز ان يكون اراد المخاطب كل واحد منها منفردا
وليس عليه العلم بمراده بعينه فان مراده بعينه مغيب عنه
واكثر ما يلزمه ما ذكرناه من ذكر وجوه احتمال الكلام ٭

فصل

قال الشريف الامام المرتضى رحمة الله عليه ٭ وممن
كان من مشهوري الشعرا ومتقدميهم على مذاهب اهل العدل
ذو الرمة واسمه غيلان بن عقبة وكنيته ابو الحارث ٭ وذو
الرمة لقب لقب به لبيت قاله في صفة وتد ٭

اغبر منجوح القفا موتود ... اشعث باقي رمة التقليد

والرمة القطعة البالية من الحبل يقال حبل ارمام اذا كان
ضعيفا باليا وقيل انه انما لقب بذي الرمة لانه كان وهو غلام
يتفزع فجاءت امه بمن كتب له كتابا وعلقته عليه برمة من
حبل فسمي ذا الرمة ٭ ويشهد بمذهبه في العدل ما اخبرنا
به ابو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثنا ابن دريد
قال اخبرنا ابو عثمان الاشنانداني عن التوزي عن ابي عبيدة

قال

قال اجتمع روبة وذو الرمة عند بلال بن ابي بردة فقال روبة والله
ما فحص طاير افحوصا ولا تقرمص سبع قرموصا الا بقضاء
من الله وقدر فقال له ذو الرمة والله ما قدر الله على الذيب ان
ياكل حلوبة عيايل ضرايك فقال روبة افبقدرته اكلها هذا
كذب على الذيب ثان فقال ذو الرمة الكذب على الذيب خير
من الكذب على رب الذيب ٭ وهذا خبر صريح في قوله بالعدل
واحتجاجه عليه وتعصبه فيه ٭ فاما العيايل فهو جمع
عيل وهو ذو العيال والضرايك جمع ضريك وهو الفقير ٭
واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا احمد بن محمد المكي عن
ابي العينا عن الاصمعي عن اسحق بن سويد قال انشدني ذو الرمة
وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالالباب ما تفعل الخمر
فقلت له فعولين خبر الكون فقال لو سبحت كان احسن انما قلت
وعينان فعولان وصفهما بذلك ٭ وانما تحرز ذو الرمة بهذا
الكلام من القول بخلاف العدل وقد روى هذا الخبر
على خلاف الوجه ٭ اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال
حدثني احمد بن خالد النحاس قال حدثنا محمد بن القاسم ابو العينا
قال حدثنا الاصمعي قال لما انشد ذو الرمة قوله ٭

[illegible]

وعبان قال الله كونا فكانتا فعولين بالألباب ما تفعل الخمر
وهو يريد كونا فكانتا فعولين خبر كانتا فقال له عمرو بن عبيد
ويحك قلت عظيما فقل فعولان بالألباب فقال ذو الرمة ما أبالي
قلت هذا أم سبحة فلما علم ما ذهب إليه عمرو قال يا سبحان الله
لو عنيت ما ظننت جاهلا ٭ وممن روي أنه كان على مذاهب
أهل العدل من شعراء الطبقة الأولى أعشى قيس بن ثعلبة ويستشهد بقوله

استأثر الله بالوفاء وبالعدل وولى الملامة الرجلا

وممن قيل إنه على مذاهب المجبرة من المشهورين أيضا لبيد
ابن ربيعة العامري واستدل بقوله ٭

إن تقوى ربنا خير نفل وبإذن الله ريثي والعجل
من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل

وإن كان لا طريق إلى نسب المجبرة إلى مذهب لبيد إلا هذان
البيتان فليس فيهما دلالة على ذلك وأما قوله وبإذن الله ريثي
والعجل فيحتمل أن يكون بعلمه كما يتأول عليه قوله تعالى
وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله أي بعلمه وإن قيل في هذه
الآية إنه أراد تخليته وتمكينه وإن كان لا شاهد لذلك
في اللغة أمكن مثله في قول لبيد ٭ وأما قوله من هداه

اهتدى

اهتدى ومن شاء أضل فيحتمل أن يكون مصروفا إلى بعض الوجوه التي
يتأول عليها الضلال والهدى المذكوران في القرآن مما
يليق بالعدل ولا يقتضي الإجبار اللهم إلا أن يكون مذهب
لبيد في الإجبار معروفا بغير هذه الأبيات فلا يتأول له
هذا التأويل بل يحمل مراده على موافقة المعروف من مذهبه ٭

مسألة

اعلم أن أصحابنا لما استدلوا على نفي الرؤية بالأبصار عن الله تعالى بقوله
لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف
الخبير ٭ وبينوا أنه تعالى تمدح بنفي إدراك البصر الذي هو
رؤية البصر عن نفسه على وجه يرجع إلى ذاته فيجب أن يكون
في ثبوت الرؤية له في وقت من الأوقات نقص وذم ٭ قال
لهم مخالفوهم كيف يتمدح بأنه لا يرى وقد يشاركه في
نفي الرؤية ما ليس بممدوح كالمعدومات والإرادات
والاعتقادات فقالوا لهم لم يتمدح تعالى بنفي الرؤية فقط وإنما تمدح
بنفي الرؤية عنه وإثباتها له فتمدح بمجموع الأمرين وليس
يشاركه في هذين الصفتين شيء لأن الموجودات
المحدثات على ضربين منها ما لا يرى ولا يرى كالإرادات والاعتقادات

ومنها ما يرى ولا يرى كالالوان ومنها ما يرى ولا يرى كالانسان
وضروب الاحجار وللبارئ فيها ما يرى ولا يرى فثبت المدحة
لله تعالى بمضمن الاية ٥ فقال لهم المخالفون وكيف
يجوز ان يكون صفة لا تقتضي المدحة بانفرادها
ثم تصير تقتضيها مع غيرها ولئن جاز هذا ليجوزن
ان يمتدح ممتدح بانه شيء عالم او موجود قادر فاذا كان لا
مدحة في وصف الذات بانها شيء وموجود وان انضمت
الى صفة مدح من حيث كانت بانفرادها لا تقتضي مدحا
فكذلك لا مدحة في نفي الرؤية عمن تثبت له من حيث
كانت بانفرادها لا تقتضي مدحا ٥ فاجاب
اصحابنا عن هذا الكلام بان قالوا ليس يمتنع في الصفة ان
تكون لا تقتضي مدحا اذا انفردت وتقتضيه اذا انضمت
الى غيرها ومثلوا ذلك بقوله تعالى لا تاخذه سنة ولا نوم
وان نفي السنة والنوم هاهنا انما يكون مدحا اذا انتفى عمن
هو بصفة الاحياء وان كان بانفراده لا يقتضي مدحا
لثبوته لذات لشيء غير ممدوح به وفصلوا
بين الوصف بالشيء والوجود وبين ما ذكروه من حيث لا تاثير لهما بتلك

الصفتين

الصفتين في المدح ٥ واعلم ان صفات المدح المتضمنة للاثبات
ما تكاد تفتقر الى شرط في كونها مدحا وصفات
النفي اذا كانت مدحا فلا بد فيها من شروط وانما
افترق الامران من حيث كان النفي اعم من الاثبات فيدخل
تحته الممدوح وغير الممدوح والاثبات اشد اختصاصا
الا ترى ان ما ليس بعالم من الذوات وليس بموجود اكثر
مما يثبت له العلم والوجود منها لان الاول لا يكون الا غير
متناه والثاني لا بد ان يكون متناهيا فلما شملت صفات
النفي الممدوح وغير الممدوح احتاجت الى شرط يخصصها
وانت اذا اعتبرت سائر صفات النفي التي يمتدح بها وجدتها
مفتقرة الى الشروط الا ترى ان من ليس بجاهل انما يكون
ممدوحا بهذا النفي اذا كان حيا ذاكرا ومن ليس
بعاجز انما يكون ممدوحا اذا كان ايضا موجودا
حيا ٥ ومن ليس بظالم انما يكون ممدوحا اذا كان قادرا
على الظلم وله دواع اليه ولا بد في الشرط الذي يحتاج
اليه في صفات النفي حتى يكون مدحا ان يكون ايضا
اثباتا او جاريا مجرى الاثبات ولا يكون نفيا

لانه ان كان ينبأ لم يختص وتا ويحى المدح ما ليس بممدوح ه
مثال ذلك انا اذا امدحنا عيننا بانه لا يظلم وشرطنا في هذه
المدحة انه لم يدعه الداعي الى الظلم لم يحصل المدحة
لانه قد شاركه في نفي الظلم ونفي الدواعي اليه ما ليس
بممدوح فلا بد من شرط اخر يجري مجرى الاثبات وهو
ان يقول هو ممن يدعوه الدواعي الى الافعال ويتصرف فيها
بحسب دواعيه واذا صحت هذه الجملة فالوجه ان يقول
ان المدحة في الاية انما يتعلق بنفي الادراك عن القديم
تعالى لكن بشرط ان يكون مدركا ولا تجعل
كل واحدة من الصفتين تقتضي المدح مجتمعا مع ان
كل واحدة لا تقتضيه على سبيل الانفراد وليس
بمنكر ان يقتضي الشي غيره بشرط متى وجد
حصل المقتضي واذا لم يحصل لم يحصل مقتضاه ونفي السنة
والنوم والظلم عن الله تعالى انما كان مدحا بشروط معروفة
على نحو ما ذكرناه وهذا التخليص في هذا الموضع
اولى واحكم للشبهة مما تقدم ذكره

مجلس اخر

تأويل آية ان سال

تأويل آية

ان سال سائل فقال ما تقولون في قوله تعالى حكاية عن موسى
عليه السلام فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين وقال في موضع
اخر وان الق عصاك فلما راها تهتز كانها جان ولى
مدبرا ولم يعقب والثعبان هو الحية العظيمة الخلقة
والجان الصغير من الحيات فكيف اختلف الوصفان
والقصة واحدة وكيف يجوز ان تكون العصا في حالة
واحدة بصفة ما عظم خلقه من الحيات وبصفة ما صغر
منها وباي شي تزيلون التناقض عن هذا الكلام ه

الجواب

اول ما نقوله في هذا ان الذي ظنه السائل من كون الايتين
خبرا عن قصة واحدة باطل بل الحالتان مختلفتان
فالحال التي اخبر ان العصا صارت فيها بصفة الجان
كانت في ابتداء النبوة وقبل مصير موسى عليه السلام الى
فرعون والحال التي صارت العصا فيها ثعبانا كانت عند
لقائه فرعون وابلاغه الرسالة والتلاوة تدل على ذلك واذا
اختلفت القصتان فلا مسالة ه على ان قوما من المفسرين

قد تغلطوا الجواب عن هذا السؤال اما لظنهم ان القصة واحدة
ولاعتقادهم ان العصا الواحدة لا يجوز ان تنقلب في حالتين
تارة الى صفة الجان وتارة الى صفة الثعبان او على سبيل الاستظهار
في الحجة وان الحال لو كانت واحدة على ما ظن لم يكن بين
الايتين تناقض وهذا الوجه احسن ما تكلفوا الجواب
لاجله لان الاولين لا يكونان الا عن غلط او غفلة وذكروا
وجهين يزول بكل واحد منهما الشبهة في تاويلها احدهما
انه تعالى انما شبهها بالثعبان في احدى الايتين لعظم
خلقها وكبر جسمها وهول منظرها وشبهها في الاية
الاخرى بالجان لسرعة حركتها ونشاطها وخفتها
فاجتمع لها مع انها في جسم الثعبان وكبر خلقه نشاط
الجان وسرعة حركته وهذا ابهر في باب الاعجاز
وابلغ في خرق العادة ولا تناقض معه بين الايتين وليس
يجب اذا شبهها بالثعبان ان يكون لها جميع صفاته وقد
قال الله تبارك وتعالى يطاف عليهم بانية من فضة واكواب
كانت قواريرا قواريرا من فضة ولم يرد تعالى ان الفضة قوارير
على الحقيقة وانما وصفها بذلك لانه اجتمع لها صفاء القوارير

وشفوفها

وشفوفها ورقتها مع انها من فضة وقد تشبه العرب الشيء
بغيره في بعض وجوهه ويشبهون المرأة بالظبية وبالبقرة
ونحن نعلم ان في الظباء والبقر من الصفات ما لا يستحسن
ان يكون في النساء وانما وقع التشبيه في صفة دون
صفة ومن وجه دون اخر

والجواب الثاني

انه تعالى لم يرد بذكر الجان في الاية الاخرى الحية وانما
اراد احد الجن فكانه تعالى خبر بان العصا صارت
ثعبانا في الخلقة وعظم الجسم وكانت مع ذلك كاحد
الجن في هول المنظر وافزاعها لمن شاهدها ولهذا قال
تعالى فلما راها تهتز كانها جان ولى مدبرا ولم يعقب ويمكن
ان يكون في الاية تاويل اخر استخرجناه ان لم يرد على الوجهين
الاولين لم ينقص عنهما والوجه في تكلفنا له ما بيناه من
الاستظهار في الحجة وان التناقض الذي توهم زائل على كل
حال وهو ان العصا لما انقلبت حية صارت اولا بصفة
الجان وعلى صورته ثم صارت بصفة الثعبان على تدريج ولم
تصر كذلك ضربة واحدة فيتفق الايتان على هذا

التأويل ولا يختلف حكمهما وتكون الآية الأولى التي تتضمن ذكر
الثعبان إخباراً عن غاية حال العصا وتكون الآية الثانية تتضمن
ذكر الحال التي ولى موسى فيها هارباً وهي حال انقلاب العصا
إلى خلقة الجان وإن كانت بعد تلك الحال انتهت إلى صورة
الثعبان فإن قيل على هذا الوجه كيف يصح ما ذكرتموه
مع قوله تعالى فإذا هي ثعبان مبين وهذا يقتضي أنها
صارت ثعباناً بعد الإلقاء بلا فصل **قلنا**
لم يفد الآية ما ظننت وإنما فائدة قوله فإذا هي الإخبار عن
قرب الحال التي صارت فيها بتلك الصفة وأنه لم يطل الزمان
في مصيرها كذلك ويجري هذا مجرى قوله تعالى أولم ير
الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين
مع تباعد ما بين كونه نطفة وكونه خصيماً مبيناً
وقولهم ركب فلان من منزله فإذا هو في ضيعته وسقط
من أعلى الحائط فإذا هو في الأرض ونحن نعلم أن بين خروجه
من منزله وبلوغه ضيعته زماناً وأنه لم يصر إلى السفل
من الأعلى إلا بتدريج وكذلك الهابط من الحائط وإنما فائدة
الكلام الإخبار عن تقارب الزمان وأنه لم يطل

ولم يمتد

١٦

ولم يمتد

تأويل آية أخرى

قال الله تبارك وتعالى وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم
ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا
يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك
آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون
وقد ظن بعض من لا بصيرة له ولا فطنة عنده أن تأويل
هذه الآية أن الله تعالى استخرج من ظهر آدم جميع ذريته وهم في
خلق الذر فقررهم بمعرفته وأشهدهم على أنفسهم وهذا
التأويل مع أن العقل يبطله ويحيله مما يشهد ظاهر القرآن
بخلافه لأن الله تعالى قال وإذ أخذ ربك من بني آدم ولم يقل
من آدم وقال من ظهورهم ولم يقل من ظهره وقال ذرياتهم ولم
يقل ذريته ثم أخبر تعالى بأنه فعل ذلك لئلا يقولوا يوم
القيامة إنهم كانوا عن ذلك غافلين أو يعتذروا بشرك
آبائهم وأنهم نشأوا على دينهم وسنتهم وهذا يقتضي أن الآية
لا تتناول ولد آدم لصلبه وإنما تناولت من كان له آباء
مشركون وهذا يدل على اختصاصها ببعض ذرية
ولد آدم فهذه شهادة الظاهر ببطلان تأويلهم فأما شهادة

العقل من حيث لا يعلموا هذه الذرية التي استخرجت من ظهر
آدم عليه السلام فخوطبت وقررت من ان تكون كاملة
العقول مستوفية لشروط التكليف او لا تكون
كاملة العقول مستوفية لشروط التكليف فان
كانت بالصفة الاولى وجب ان يذكر هولاء بعد خلقهم
وانشائهم واكمال عقولهم ما كانوا عليه في تلك الحال وما قرروا
به واستشهدوا عليه لان العاقل لا ينسى ما جرى هذا المجرى
وان بعد العهد وطال الزمان ولهذا لا يجوز ان يتصرف
احدنا في بلد من البلدان وهو عاقل كامل فينسى مع بعد
العهد جميع تصرفه المتقدم وسائر احواله وليس ايضا
لتخلل الموت بين الحالين تاثير لانه لو كان تخلل الموت
يزيل الذكر لكان تخلل النوم والسكر والجنون
والاغماء بين احوال العقلاء يزيل ذكرهم لما مضى من احوالهم
لان سائر ما عددناه مما ينفي العلوم يجري مجرى
الموت في هذا الباب وليس لهم ان يقولوا اذا جاز في العاقل
الكامل ان ينسى ما كان عليه في حال الطفولية جاز ما
ذكرناه وذلك انا انما اوجبنا ذكر العقلاء لما ادعوه

اذا كملت عقولهم من حيث جرى عليهم وهم كاملوا العقول ولو كانوا
ولو كانوا بصفة الاطفال في تلك الحال لم توجب عليهم ما اوجبناه
على تجويز النسيان عليهم ينقض الغرض في الآية وذلك ان الله تعالى
اخبر بانهم قررهم واشهدهم لئلا يدعوا يوم القيامة الغفلة
عن ذلك وسقوط الحجة عليهم فيه فاذا جاز ان ينسوه لعاد
الامر الى سقوط الحجة وزوالها وان كانوا على الصفة الثانية
من فقد العقل وشرائط التكليف قبح خطابهم وتقريرهم
واشهادهم وصار ذلك عبثا قبيحا تعالى الله عنه ❁ فان قيل
قد ابطلتم تاويل مخالفيكم فما تاويلها الصحيح عندكم ❁ قلنا
في الآية وجهان احدهما ان يكون تعالى انما عنى بها جماعة من
ذرية بني آدم خلقهم وبلغهم واكمل عقولهم وقررهم على السن رسله
عليهم السلام بمعرفته وما يجب عليهم من طاعته فاقروا بذلك
واشهدهم على انفسهم به لئلا يقولوا يوم القيامة انا كنا
عن هذا غافلين او يعتذروا بشرك آبائهم وانما اتى من
اشتبه عليه تاويل الآية من حيث ظن ان اسم الذرية
لا يقع الا على من لم يكن كاملا عاقلا وليس الامر كما ظن لانا
نسمي جميع البشر بانهم ذرية آدم وان دخل فيهم العقلاء الكاملون

وقد قال الله تعالى ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح
من اباهم وازواجهم وذرياتهم ولفظ الصالح لا يطلق الا على من
كان كاملا عاقلا فان استبعد وانا وقبلنا وحملنا الاية
على البالغين المكلفين فهذا جوابهم

والجواب الثاني

انه تعالى لما خلقهم وركبهم تركيبا يدل على معرفته ويشهد
بقدرته ووجوب عبادته واراهم العبر والايات والدلايل
في غيرهم وفي انفسهم كان بمنزلة المشهد لهم على انفسهم
وكانوا في مشاهدة ذلك ومعرفته وظهوره فيهم على الوجه
الذي اراده تعالى وتعذر امتناعهم منه وانفكاكهم
من دلالته بمنزلة المقر المعترف وان لم يكن هناك شاهد
ولا اعتراف على الحقيقة ويجري ذلك مجرى قوله
تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها
وللارض ايتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وان لم يكن
منه تعالى قول على الحقيقة ولا منهما جواب ومثله قوله تعالى
شاهدين على انفسهم بالكفر بالسنتهم وانما لما ظهر منهم ظهورا
لا يتمكنون من دفعه كانوا بمنزلة المعترفين به

ومثل هذا

ومثل هذا قولهم حوايجي تشهد بنعمتك وحالي معترفة باحسانك
وما روي عن بعض الخطباء من قوله سل الارض من شق انهارك وغرس
اشجارك وجنى ثمارك فان لم تجبك حوارا اجابتك اعتبارا
وهذا باب كبير وله نظاير كثيرة في النظم والنثر يغني عن
ذكر جميعها القدر الذي ذكرناه منها

تاويل خبر

قال ابو عبيد القاسم بن سلام فيما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
ليس منا من لم يتغن بالقرآن قال اراد يستغني به واحتج
بقولهم تغنيت تغنيا وتغانيت تغانيا وانشد بيت الاعشى

وكنت امرا زمنا بالعراق عفيف المناخ طويل التغن

[illegible] الاخر

كلانا غني عن اخيه حياته ونحن اذا متنا اشد تغانيا

واحتج ايضا بقول ابن مسعود من قرا سورة آل عمران فهو غني اي
مستغن وبالحديث الاخر نعم كنز الصعلوك سورة
آل عمران يقوم بها في اخر الليل والصعلوك [illegible] واحتج
بحديث اخر يروى عن النبي صلى الله عليه واله وهو انه قال لا ينبغي
لحامل القرآن ان يظن ان احدا اعطي افضل مما اعطي لانه لو ملك

الدنيا باسرها الا ان القرآن افضل مما ملكه ٥ واحتج ايضا بخبر
يرفعه عن عبد الله بن نهيك انه دخل على سعد بيته فاذا مثال
رث ومتاع رث فقال قال رسول الله صلى الله عليه واله ليس
منا من لم يتغن بالقرآن قال ابو عبيد فذكره المتاع
الرث والمال الرث يدل على ان التغني بالقرآن الاستغناء به عن
الكثير من المال والمثال هو الفراش وقال الشاعر ٥

بكل طوال الساعدين كانما يرى بسرى الليل المثال الممهدا

يعني الفراش ٥ قال ابو عبيد ولو كان معناه الترجيع
لعظمت المحنة علينا بذلك اذ كان من لم يرجع بالقرآن ليس
منه عليه السلام ٥ وذكر عن غير ابي عبيدة جواب آخر وهو
انه عليه السلم اراد من لم يحسن صوته بالقرآن ويرجع فيه
صاحب هذا الجواب بحديث عبد الرحمن بن السايب
قال اتيت سعدا وقد كف بصره فسلمت عليه فقال من انت
فاخبرته فقال مرحبا يا ابن اخي بلغني انك حسن الصوت
بالقرآن سمعت رسول الله صلى الله عليه واله يقول ان هذا القرآن
نزل بالحزن فاذا قراتموه فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا
فمن لم يتغن بالقرآن فليس منا ٥ فقوله عليه السلم فابكوا او تباكوا

١٧٤

دليل على ان التغني هو التحسين والترجيع ٥ وروى عن النبي صلى الله عليه
واله انه قال لا ياذن الله لشيء من اهل الارض الا لاصوات المؤذنين والصوت
الحسن بالقرآن ٥ ومعنى قوله ياذن يستمع يقال اذنت للشيء اذن
اذنا اذا استمعت له قال الشاعر ٥

صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا

وقال عدي بن زيد العبادي ٥

ايها القلب تعلل بددن ان همي في سماع واذن

والاذن هو السماع وانما حسن تكرارا لمعنى لاختلاف اللفظ وللعرب
في هذا مذهب معروف ومثله ٥

وهند اتى من دونها النأي والبعد

فاما الددن فهو اللهو واللعب وفيه لغات ثلث دد على مثال
دم وددا على مثال فتى وددن على مثال حزن ومنه
قول النبي صلى الله عليه واله ما انا من دد ولا الدد مني ٥ فان
قيل كيف يحمل قوله عليه السلام لا ياذن الله لشيء كاذنه لكذا
وكذا على معنى الاستماع وهو تعالى سامع لكل مسموع فاي
معنى للاختصاص قلنا ليس المراد بالسماع هاهنا مجرد
الادراك وانما المراد به القبول فكانه عليه السلام قال

العباد قوم من قبائل شتى من بطون العرب [illegible] العباد [illegible] ٥

ان الله تعالى لا يتقبل او يثيب على شيء من اهل الارض كتقبله وثوابه
على كذا وكذا ه ومن هذا قولهم هذا كلام لا اسمعه وخاطبت
فلانا بكلام فلم يسمعه وانما يريد نفي القبول لا الادراك والبيت
الذي انشدناه يشهد بذلك لانه قال   وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا
ونحن نعلم انهم يسمعون الذكر بالخير والشر معا من حيث الادراك
فوجب الاختصاص بما ذكرناه ه وقد ذكر ابو بكر محمد بن
القاسم الانباري وجها ثانيا في الخبر قال اراد عليه السلام
من لم يتلذذ بالقران ويستحليه ويستعذب تلاوته كاستحلاء اصحاب
الطرب للغناء والتذاذهم وسمى ذلك تغنيا من حيث يفعل عنده
ما يفعل عند التغني بالغناء وذكر ان ذلك نظير قولهم
العمائم تيجان العرب والحبى حيطان العرب والشمس حمامات
العرب وانشد بيت النابغة ه

بكاء حمامة تدعو هديلا   مفجعة على فنن تغنى

شبه صوتها لما اطرب اطراب الغناء بالغناء وجعلوا العمائم
لما قامت مقام التيجان تيجانا وكذلك القول في الحبى والشمس
وجواب ابي عبيد احسن الاجوبة واسلمها وجواب
ابي بكر ابعدها لان التلذذ لا يكون الا في المشتهيات

وكذلك

وكذلك الاستحلاء والاستعذاب وتلاوة القرآن وتفهم معانيه
من الافعال الشاقة وكيف يكون ملذا مشتهى فان عاد
الى ان يقول قد تستحلى التلاوة من الصوت الحسن قلنا هذا رجوع
الى الجواب الثاني الذي رغبت عنه وانفردت عند نفسك بما
يخالفه ه ويمكن ان يكون في الخبر وجه رابع خطر
لنا وهو ان يكون قوله عليه السلام يتغنى من غني الرجل بالمكان
اذا طال مقامه به ومنه قيل المغنى والمغاني قال الله تعالى
كأن لم يغنوا فيها اي لم يقيموا بها وقال الاسود بن يعفر

ولقد غنوا فيها بانعم عيشة   في ظل ملك ثابت الاوتاد

وبيت الاعشى الذي انشده ابو عبيد وهو

وكنت امرأ زمنا بالعراق   عفيف المناخ طويل التغن

يريد طول المقام اشبه منه بالاستغناء لان المقام يوصف بالطول
ولا يوصف الاستغناء بذلك فكأن الاعشى اراد اني كنت ملازما
لوطني مقيما بين اهلي لا اتأفق للانتجاع والطلب ويجري قوله
هذا المجرى قول حسان بن ثابت الانصاري

اولاد جفنة حول قبر ابيهم   قبر ابن مارية الكريم المفضل

اراد بقوله حول قبر ابيهم انهم ملوك لا ينتجعون ولا يفارقون محالهم

وأوطانهم فيكون معنى الخبر على هذا الوجه من لم يقم على القرآن
ولا يتجاوزه إلى غيره ولا يتعداه إلى سواه ويتخذه مغنى ومنزل ومقام
فليس منا ، فإن قيل أليس يتعدى القرآن إلى السنة والإجماع
وسائر أدلة الشرع فكيف يحظر علينا تعديه ، قلنا ليس في ذلك
تعد للقرآن لأن القرآن دال على وجوب اتباع السنة وغيرها
من أدلة الشرع فمن اعتمد بعضها في شيء من الأحكام لا يكون
متجاوزا للقرآن ولا متعديا له ، فأما قوله عليه السلام
ليس منا فقد قيل فيه إنه لا يكون على أخلاقنا واستشهد ببيت
النابغة الذبياني :

إذا حاولت في أسد فجورا فإني لست منك ولست مني

وقيل إنه أراد ليس مثلنا أي ليس على ديننا وهذا الوجه
لا يليق إلا بالجواب الذي اخترناه وهو بعد بجواب أبي عبيدة
أليق لأنه محال أن يخرج عن دين النبي عليه السلام وملته من لم
يحسن صوته بالقرآن ويرجع فيه أو من لم يتلذذ بتلاوته ويستحليها ،

مسألة

اعلم أن أصحابنا قد اعتمدوا في إبطال ما ظنه أصحاب الرؤية في قوله تعالى
وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة على وجوه معروفة لأنهم بينوا أن النظر

ليس بعيد

ليس يفيد الرؤية ولا الرؤية من أحد محتملاته ، ودلوا على أن
النظر ينقسم إلى أقسام كثيرة منها تقليب الحدقة في جهة المرئي
طلبا لرؤيته ، ومنها النظر الذي هو الانتظار ، ومنها النظر
الذي هو التعطف والرحمة ، ومنها النظر الذي هو الفكر
والتأمل وقالوا إذا لم يكن في أقسام النظر الرؤية لم يكن
للقوم بظاهرها تعلق واحتاج جميعا إلى طلب تأويل الآية
من غير جهة الرؤية وتأولها بعضهم على الانتظار للثواب
وإن كان المنتظر في الحقيقة محذوفا والمنتظر منه مذكورا
على عادة للعرب معروفة وسلم بعضهم أن النظر يكون الرؤية
بالبصر وحمل الآية على رؤية أهل الجنة لنعم الله تعالى عليهم على سبيل
حذف المرئي في الحقيقة وهذا الكلام مشروح في مواضعه وقد
بينا ما يرد عليه وما يجاب به عن الشبهة المعترضة فيه في مواضع
كثيرة ، وهاهنا وجه غريب في الآية يحكى عن بعض المتأخرين
لا يفتقر معتمده إلى العدول عن الظاهر أو إلى تقدير محذوف
ولا يحتاج إلى منازعتهم في أن النظر يحتمل الرؤية ولا يحتملها
بل يصح الاعتماد عليه سواء كان النظر المذكور في الآية هو
الانتظار بالقلب أم الرؤية بالعين وهو يحمل قوله تعالى إلى ربها

2 أو الرؤية

على انه اراد بنعمة ربها لان الالا النعم وفي واحدها اربع لغات يقال
الى مثل قفا والى مثل نحى والى مثل معا والى مثل ظبي قال الاعشى بكر بن وايل
ابيض لا يرهب الهزال ولا يقطع رحما ولا يخون الا
اراد انه لا يخون نعمة فاراد تعالى الى ربها بنعمة ربها واسقط التنوين
للاضافة ٥ فان قيل اي فرق بين هذا الوجه وبين تاويل من
حمل الاية على انه اراد بها الى ثواب ربها ناظرة بمعنى رائية لنعمه
وثوابه قلنا ذلك الوجه يفتقر الى محذوف لانه اذا جعل الى
حرفا ولم يعلقها بالرب تعالى فلا بد من تقدير محذوف
وفي الجواب الذي ذكرناه لا يفتقر الى تقدير محذوف
لان الى فيه اسم يتعلق به الرؤية فلا يحتاج الى تقدير ٥

مجلس اخر

تاويل اية ان سال سايل عن تاويل قوله تعالى وما كان
لنفس ان تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون
وظاهر هذا الكلام يدل على ان الايمان انما كان لهم
فعله باذنه وامره وليس هذا مذهبكم وان حمل الاذن
ههنا على الارادة اقتضى ان من لم يقع منه الايمان لم يرده الله

تعالى منه وهذا ايضا بخلاف قولكم ٥ ثم جعل الرجس الذي هو العذاب
على الذين لا يعقلون ومن كان فاقدا عقله لا يكون مكلفا فكيف
يستحق العذاب وهذا بالضد من الخبر المروي عن النبي صلى
الله عليه واله انه قال ان اكثر اهل الجنة البله ٥

الجواب

يقال له في قوله تعالى الا باذن الله وجوه منها ان يكون الاذن الامر ويكون
معنى الكلام ان الايمان لا يقع من احد الا بعد ان ياذن الله فيه ويامر
به ولا يكون معناه ما ظنه السايل من انه لا يكون للفاعل فعله الا باذنه
ويجري هذا مجرى قوله تعالى وما كان لنفس ان تموت الا باذن
الله ٥ ومعلوم ان معنى قوله ليس لها في هذه الاية هو ما ذكرناه ٥
وان كان الاشبه به في هذه الاية هو ما ذكرناه وان كان
الاشبه في هذه الاية التي فيها ذكر الموت ان يكون المراد بالاذن
العلم ٥ ومنها ان يكون الاذن هو التوفيق والتيسير والتسهيل
ولا شبهة في ان الله تعالى يوفق لفعل الايمان ويلطف فيه ويسهل السبيل
اليه ٥ ومنها ان يكون الاذن العلم من قولهم اذنت لكذا وكذا
اذا سمعته وعلمته واذنت فلانا بكذا وكذا اذا اعلمته فتكون فايدة الاية
الاخبار عن علمه تعالى بساير الكاينات وانه ممن لا يخفى عليه الخفيات

وقد انكر بعض من لا بصيرة له ان يكون الاذن بكسر الالف
وتسكين الذال عبارة عن العلم وزعم ان الذي هو العلم الاذن
بالتحريك واستشهد بقول الشاعر ان همي في سماع واذن
وليس الامر على ما توهمه هذا المتوهم لان الاذن هو المصدر والاذن
هو اسم الفعل ويجري مجرى الحذر بالتحريك في انه
مصدر والحذر بالتسكين الاسم على انه لو لم يكن مسموعا
الا الاذن بالتحريك لجاز التسكين مثل مثل ومثل
ونسبة وشبه ونظائر ذلك كثيرة ومنها ان يكون
الاذن العلم ومعناه اعلام الله تعالى المكلفين بفضل الايمان
وما يدعوا الى فعله فيكون معنى الاية وما كان لنفس ان تؤمن الا
باعلام الله لها ما يبعثها على الايمان ويدعوها الى فعله
فاما ظن السائل دخول الارادة في محتمل اللفظ فباطل لان
الاذن لا يحتمل الارادة في اللغة ولو احتملها ايضا لم يجب ما
توهمه لانه اذا قال الايمان لا يقع الا وانا مريد له لم ينف
ان يكون مريدا لما لم يقع وليس في صريح الكلام ولا في
دلالته شي من ذلك فاما قوله تعالى ويجعل الرجس على الذين
لا يعقلون فلم يعن به الناقصي العقول وانما اراد تعالى الذين لم

يعقلوا ويعلموا

يعقلوا ويعلموا ما وجب عليهم علمه من معرفة خالقهم تعالى
والاعتراف بنبوة رسله عليهم السلام والانقياد الى طاعتهم ووصفهم
بانهم لا يعقلون تشبيها كما قال تعالى صم بكم عمي وكما يصف
احدنا من لم يفطن لبعض الامور او لم يعلم ما هو مامور بعلمه
بالجنون وفقد العقل فاما الحديث الذي اورده السائل شاهدا
له فقد قيل فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد بالبله ذوي الغفلة والنقص
والجنون وانما اراد البله عن الشر والقبيح وسماهم بلها عن ذلك
من حيث لا يستعملونه ولا يعتادونه لا من حيث فقدوا العلم
به ووجه تشبيه من هذه حاله بالابله ظاهر
لان الابله عن الشي هو الذي لا يعرض له ولا يقصد اليه واذا كان
المتنزه عن الشر معرضا عنه هاجرا لفعله جاز ان يوصف
بالبله للمقاربة التي ذكرناها ويشهد لصحة هذا التاويل قول
الشاعر

ولقد لهوت بطفلة ميالة بلها تطلعني على اسرارها

اراد انها بلها عن الشر والريبة وان كانت فطنة بغيرهما وقال
ابو النجم العجلي

من كل عجزا سقوط البرقع بلها لم تحفظ ولم تضيع

اراد بالنماء ما ذكرناه ۝ فاما قوله سقوط الرفع فانه اراد به انها
تبتذل وجوهها ولا تستتر بنقبة تحجبه واذلالا لا اجمالا له
وقوله لم تخفط اراد ان استغنائها طرا بغناها يغني عن حفظها
وانها لعفافها ونزاهتها غنية عن حاجة الى تستر وتوقف ۝ وقوله
لم تصبغ اراد انها لم تهمل في اعزتها وتنعمها وترفيهها فتشقى ۝ ومثل
قوله سقوط الرفع قول الشاعر ۝

فلما تواقفنا وسلمت اقبلت وجوه زهاها الحسن ان تتقنعا

ومثله ۝

بها شرق من زعفران وعنبر اطارت من الحسن الردا المحبرا

اي رمت به ثقة عن الجمال والكمال ۝ ومثله وهو مليح

لهونا بمجول الرافع حقبة فما بال دهر لزنا بالوصاوص

اراد بمجول الرافع اللواتي يوسعن عيون براقعهن ثقة بحسنهن
ومنه الطعنة النجلاء والعين النجلاء ثم قال فما بال دهر
احوجنا واضطرنا الى القباح اللواتي يضيقن عيون براقعهن
لقبحهن والوصاوص هي النقب الصغار في البراقع ۝ ومما
يشهد للمعنى الاول الذي هو الوصف بالبله لا بمعنى الغفلة
قال ابن الدمينة ۝

باهلي

باهلي وما الي بن اذا عرضوا له ببعض الاذى لم يدر كيف يجيب
ولم تعتذر عذر البري ولم تزل به صعقة حتى يقال مريب

ومثله ۝

احب اللواتي في صباهن غرة وفيهن عن ازواجهن طماح
مسرات حب مظهرات عداوة تراهن كالمرضى وهن صحاح

ومثله ۝

يكتبين الينجوج في كبد المشتى وبله احلامهن وسام

اما قوله يكتبين فماخوذ من لفظ الكباء وهو العود
اراد يتبخرن به والينجوج هو العود ايضا وفيه ست لغات
ينجوج والنجوج ويلنجوج والنجوج ويلنجج والنجج ۝ فاما كبد
المشتى فهو ضيقته وشدته ومنه قوله تعالى لقد خلقنا
الانسان في كبد ۝ وقد روي في كبة المشتى والمعنى
متقاربان لان الكبة هي الصدمة والحملة ماخوذ من
كبة الخيل فاما الوسام فهن الحسان من الوسامة وهي
الحسن ۝ ويمكن ان يكون في البله جواب اخر
وهو ان نحمله على معنى البله الذي هو الغفلة والنقصان في
الحقيقة ۝ ويكون معنى الخبر ان اكثر اهل الجنة

الذين كانوا يألفونها في الدنيا وعندنا ان الله تعالى ينعم الاطفال في الجنة
والمجانين والبهائم واتمام تنعيمهم بجعلهم يألفونها في الجنة وان كان ما يصل الى البهائم من
النعيم على سبيل العوض او التفضل لان التفضل لا يفتقر الى كمال
العقل لان الخبر قد ورد بان الاطفال والبهائم اذا ادخلوا الجنة
لم يدخلوها الا وهم على افضل الحالات واكملها فلهذا صرفنا البله
عنهم في الجنة ورددناها الى احوال الدنيا والا فالعقل لا يمنع من ذلك
كمنعه اياه في باب الثواب والعقاب ٥

تأويل آية أخرى

قال الله تعالى مخبرا عن يوم القيامة ذلك يوم مجموع له الناس
وذلك يوم مشهود وما نؤخره الا لاجل معدود يوم يأتي
لا تكلم نفس الا باذنه ٥ وقال في موضع آخر هذا يوم لا
ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ٥ وفي موضع آخر واقبل
بعضهم على بعض يتساءلون ٥ وظاهر هذه الآيات ظاهر
اختلاف لان بعضها ينبي عن ان النطق لا يقع منهم في ذلك
اليوم ولا يؤذن لهم فيه وبعضها ينبي عن خلافه ٥ وقد
قال قوم من المفسرين في تأويل هذه الآيات ان يوم
القيامة يوم طويل ممتد فقد يجوز ان يمنعوا النطق في بعضه

والظاهر بخلاف

والظاهر من خلاف ذلك ٥ **والجواب**
السديد عن هذا ٥ ان يقال انما اراد تعالى نفي النطق المسموع المقبول
الذي ينتفعون به ويكون لهم في مثله عذر او حجة ولم ينف
الذي لا يشتبه هذه حاله ويجري هذا مجرى قولهم خرس
فلان عن حجته وحضرنا فلانا يناظر فلانا فلم يقل شيئا
وان كان الذي وصف بالخرس عن الحجة والذي نفي عنه
القول قد تكلما بكلام كثير الا انه من حيث لم يكن
فيه حجة ولا به منفعة جاز اطلاق القول الذي
حكيناه عليه ومثله قول الشاعر ٥

اعمى اذا ما جارتي خرجت حتى يواري جارتي الخدر
ويصم عما كان بينهما سمعي وما بي غيره وقر

وقول الآخر ٥

لقد طال كتمانيك حتى كأنني برد جواب السائلي عنك اعجم
لاسلم من قول الوشاة وتسلمي سلمت وهل حي على الناس يسلم

وعلى هذا التأويل قد زال الاختلاف لان السؤال والتلاوم
لا حجة فيه ٥ واما قوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون
فقد قيل فيه انهم غير مأمورين بالاعتذار فكيف يعتذرون

ويحمل الإذن على الأمر وإنما لم يؤمروا به من حيث كانت تلك
الحال لا تكليف فيها والعباد ملجؤون عند مشاهدة أهوالها
إلى الاعتراف والإقرار وأحسن من هذا التأويل أن يحمل
يؤذن لهم على معنى أنه لا يستمع لهم ولا يقبل عذرهم
والعلة في امتناع قبول عذرهم هي التي ذكرناها

تأويل خبر

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا تسبوا الدهر فإن الله
هو الدهر وقد ذكر قوم في تأويل هذا الخبر أن المراد فإن الله هو الدهر
به لا تسبوا الدهر فإنه لا فعل له وإن الله مصرفه ومدبره فحذف
من الكلام ذكر المصرف والمدبر وقال هو الدهر وفي هذا
الخبر وجه هو أحسن من الذي حكيناه وهو أن الملحدين
ومن نفى الصانع من العرب كانوا ينسبون ما ينزل بهم من
أفعال الله تعالى كالمرض والعافية والجدب والخصب والبقاء
والفناء والفقر والغنى إلى الدهر جهلاً منهم بالصانع جلت
عظمته ويذمون الدهر ويسبونه في كثير من الأحوال
من حيث اعتقدوا أنه الفاعل بهم هذه الأفعال فنهاهم
النبي صلى الله عليه وآله عن ذلك وقال لهم لا تسبوا من فعل

بكم هذه الأفعال ممن تعتقدون أنه هو الدهر فإن الله تعالى
هو الفاعل لهذه الأفعال وإنما قال إن الله هو الدهر من حيث
نسبوا إلى الدهر أفعال الله تعالى وقد حكى الله تعالى عنهم قولهم ما
هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر
وقال لبيد

في قروم سادة من قومه ... نظر الدهر إليهم فابتهل

أي دعا عليهم ... وقال عمرو بن قميئة

كأني وقد جاوزت تسعين حجة ... خلعت بها عني عذار لجامي
على الراحتين مرة وعلى العصا ... أنوء ثلاثاً بعدهن قيامي
رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى ... فكيف بمن يرمى وليس برام
فلو أنها نبل إذاً لاتقيتها ... ولكنني أرمى بغير سهام
إذا ما رآني الناس قالوا ألم تكن ... جديداً حديد الطرف غير كهام
وأفنى وما أفنى من الدهر ليلة ... وتأميل عام بعد ذاك وعام

وقال الأصمعي ذم أعرابي رجلاً فقال هو أكثر ذنوباً من
الدهر وأنشد الفراء

حنتني حانيات الدهر حتى ... كأني خاتل أدنو لصيد
قصير الخطو يحسب من رآني ... ولست مقيداً أني بقيد

وقال كثير

وكنت كذي رجلين رجل صحيحة ورجل رمى فيها الزمان فشلت

وقال آخر

فاستأثر الدهر الغداة بهم والدهر يرميني وما أرمي

وسلبتنا ما لست تعقبنا يا دهر ما أنصفت في الحكم

يا دهر قد أكثرت فجعتنا بسراتنا ووقرت في العظم

أما قوله ووقرت في العظم فإنما أراد به أنك أحدثت فيه وقرا أو وقيرة والوقر هو الحفرة العظيمة تكون في الصفا يستنقع فيها ماء المطر والوقب أيضا كذلك والوقرة هي أيضا الحفرة إلا أنها دون الأولى ليس في الكبر وكل هؤلاء الذين روينا أشعارهم نسبوا أفعال الله تعالى التي لا يشاركه فيها غيره إلى الدهر فحسن وجه التأويل الذي ذكرناه

مسألة

اعلم أن المنافع التي عرض الله تبارك وتعالى الأحياء لها ثلاث منفعة تفضل ومنفعة عوض ومنفعة ثواب فأما المنفعة على سبيل التفضل فهي الواقعة ابتداء من غير سبب استحقاق ولفاعلها أن يفعلها وله أن لا يفعلها وأما منفعة العوض فهي المنفعة

المستحقة

٢٦

المستحقة من غير مقارنة شيء من التعظيم والتبجيل لها وأما منفعة الثواب فهي المستحقة على وجه التعظيم والتبجيل فمنفعة العوض تبين من التفضل بالاستحقاق والثواب يبين من العوض بالتعظيم والتبجيل المصاحبين له فكان التفضل أصل لسائر المنافع من حيث يجب تقدمه وتأخر ما عداه لأنه لا سبيل للمنتفع أن ينتفع بشيء دون أن يكون حيا له شهوة والابتداء بخلق الحياة والشهوة تفضل فقد صح أنه لا سبيل إلى النفع بمنفعة العوض والثواب إلا بعد تقدم التفضل فأما المنفعة بالثواب فهي الأصل للمنفعة بالعوض لأن الآلام وما جرى مجرى الآلام مما يستحق به العوض متى لم يكن فيها اعتبار يفضي إلى الثواب ويستحق به لم يحسن فعلها وجرى عند ذلك مجرى العبث ولهذا نقول إن الله تعالى لم يكلف أحدا من المكلفين ما كان يحسن منه أن يبتديه بالآلام وإن عوض عليها والأحياء على ضروب فمنهم من عرض للمنافع الثلاث ومنهم عرض لاثنتين ومنهم من عرض لواحدة فالمكلف المعرض للثواب لا بد أن يكون منفوعا بالتفضل من الوجه الذي قلنا لأنه ابتدأ خلقه حيا وفعل له القدرة والشهوة والعقل وضروب التمكين فقد نفع بالتفضل ولئن يجب فيمن يكون منفوعا بالعوض لأنه لا يمتنع

ان يخلو المكلف منا من الم يبتديه الله تعالى به فلا يكون معترضا
للعوض فمتى عوض له فقد تكاملت فيه المنافع فصار المكلف مقطوعا
على تعويضه لاثنتين من المنافع ويجوز تكامل الثالث له ؛ فاما
من ليس بمكلف فمقطوع فيه على احدى المنافع وهي التفضل من حيث
خلق حيا ومكن من كثير من المنافع ومشكوك في تعويضه
للعوض من الوجه الذي بينا وكما قطعنا على احدى المنافع فيه
فنحن قاطعون ايضا على نفي التعريض للثواب عنه لفقد ما يوصل اليه
وهو التكليف ولا بد في كل حي يخلق ان يكون معترضا
لاحدى هذه المنافع او لجميعها وانما اوجبنا ذلك من جهة
حكمة القديم تعالى لا من جهة انه يستحيل في نفسه
وانما قلنا انه ليس يستحيل في نفسه لان كونه حيا [illegible]
وعاقلا وذا شهوة وقدرة ليس منفعة بنفسه وانما يكون منفعة
ونعمة ولا منفعة واوجبناه من جهة حكمة القديم
تعالى لانه اذا جعل الحي بهذه الصفات فلا يخلو من ان يكون
اراد بها نفعه او ضرره او لم يرد شيئا فان كان الاول فهو
الذي اوجبناه وان كان الثاني او الثالث فالقديم تعالى منزه عنهما
لان الثاني يجري مجرى الظلم والثالث هو العبث بعينه وقد شارك

القديم

القديم تعالى في النفع بالتفضل والعوض الفاعلون المحدثون ولا يصح
ان يشاركوه في النفع بالثواب لان الصفة التي يستحق
المكلف لكونه عليها الثواب وهي كون الفعل شاقا عليه لا تكون
الا من قبله تعالى وليس لاحد ان يظن فيمن يهدي الى الدين ويرشد
الى الايمان وما يستحق به الثواب انه معرض للثواب وذلك ان
المكلف قد يكون معرضا للثواب ويصح ان يستحقه
من دون كل هداية وارشاد ينفع منا ولولا الصفة التي
جعله الله عليها لم يستحقه فبان الفضل بين الامرين على
ان احدنا وان نفع غيره بالتفضل وبالتعريض للعوض فهذه المنافع
منسوبة الى الله تعالى ومضافة اليه من قبل انه لولا نعمه ومنافعه
لم تكن هذه منافع ولا نعما الا ترى انه لو لم يخلق الحياة
والشهوة لم يكن ما يوصل اليهما مما ذكرناه منفعة ولا
نعمة ولو لم يخلق المشتهى والملذ لم يكن لنا سبيل الى النفع والانتفاع
فبان بهذه الجملة ما قصدناه ؛

مجلس آخر ۞ تأويل آية

ان سأل سائل فقال ما تأويل قوله تبارك وتعالى مخبرا عن

فهلك قوم فرعون وتوريثه نعمهم كذلك واورثناها قوما اخرين
فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين وكيف يجوز ان يضيف
البكاء اليهما وهو لا يجوز في الحقيقة عليهما ٥

الجواب

قيل له في هذه الاية وجوه اربعة من التاويل اولها انه تعالى اراد اهل
السماء والارض فحذف كما حذف تعالى في قوله وسل القرية وفي قوله
حتى تضع الحرب اوزارها واراد اهل القرية واصحاب الحرب ويجري
ذلك مجرى قولهم السخا حاتم يريدون السخا سخا حاتم قال الحطيئة

وشر المنايا ميت وسط اهله كهلك الفتى قد اسلم الحي حاضره

اراد وشر المنايا منية ميت وقال الاخر

قليل عيبه والعيب جم ولكن الغنى رب غفور

اراد غنى رب غفور وقال ذو الرمة

لهم مجلس صهب السبال اذلة سواسية احرارها وعبيدها

اراد اهل مجلس ٥ فاما قوله صهب السبال فانما اراد به الاعداء
والعرب تصف الاعداء بذلك وان لم يكونوا صهب الاسبلة
وقوله سواسية يريد انهم مستوون متشابهون وهذا لا يقال
الا في الذم ٥ وثانيها ان الله تعالى اراد المبالغة في وصف القوم

بصغر

بصغر القدر وسقوط المنزلة لان العرب اذا اخبرت عن عظم المصاب
بالهالك قالت كسفت الشمس لفقده واظلم القمر وبكاه الليل
والنهار والسماء والارض يريدون بذلك المبالغة في عظم الامر وشمول
ضرره قال جرير يرثي عمر بن عبد العزيز ٥

الشمس طالعة ليست بكاسفة تبكي عليك نجوم الليل والقمرا

وقال يزيد بن مفرغ الحميري

الريح تبكي شجوها والبرق يلمع في الغمامه

وهذا صنيعهم في وصف كل امر جل خطبه وعظم موقعه
فيصفون النهار بالظلام وان الكواكب طلعت نهارا
لفقد نور الشمس وضوئها قال النابغة

تبدو كواكبه والشمس طالعة لا النور نور ولا الاظلام اظلام

وقال طرفة ٥

ان تنوله فقد تمنعه وتريه النجم يجري بالظهر

ومن هذا قولهم لاريتك الكواكب بالنهار معناه اني اورد عليك حالا
يظلم لها في عينيك النهار فتطلعه ليلا ذا كواكب ٥ فاما بيت جرير
فقد قيل في انتصاب النجوم والقمر وجوه ثلاثة احدها انه اراد ان
الشمس طالعة وليست مع طلوعها كاسفة نجوم الليل والقمر لان عظم

[illegible]

الآن قد سلبها ضوؤها فلم يبن في طلوعها ظهور الكواكب ° والوجه
الثاني أن يكون انتصاب ذلك كما ينتصب في قولهم لا
أكلمك الأبد والدهر وطول المسند وما جرى مجرى
ذلك فكأنه أخبر بأن الشمس تبكيه ما طلعت النجوم وظهر
القمر ° والوجه الثالث أن يكون القمر والنجوم باكين الشمس على
هذا المرثي المفقود فبكتهن أي غلبتهن بالبكاء كما
تقول باكاني عبد الله فبكيته وكاثرني فكثرته
أي غلبته وفضلت عليه ° وثانيها أن يكون معنى الآية نظر
الإخبار عن أنه لا أحد أخذ بثأرهم ولا انتصر لهم لأن
العرب كانت لا تبكي على القتيل إلا بعد الأخذ بثأره
وقتل من كان يبوء به من عشيرة القاتل فكنى تعالى بهذا
اللفظ عن فقد الانتصار والأخذ بالثأر على مذهب
القوم الذين خوطبوا بالقرآن ° ورابعها أن يكون ذلك كناية
عن أنه لم يكن لهم في الأرض عمل صالح يرتفع منها إلى السماء
ويطابق هذا التأويل ما روي عن ابن عباس رحمه الله في قوله
تعالى فما بكت عليهم السماء والأرض قيل له أو تبكيان على أحد قال
نعم مصلاه في الأرض ومصعد عمله في السماء ° وروى أنس بن مالك

عن النبي

عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال ما من مؤمن إلا وله باب يصعد
منه عمله وباب ينزل منه رزقه فإذا مات بكيا عليه ° ومعنى
البكاء هاهنا الإخبار عن الاختلال بعده كما يقال بكى
منزل فلان بعده قال ابن مقبل °

لعمرو أبيك لقد شاقني مكان حزنت له أو حزن

وقال مزاحم العقيلي °

بكت دارهم من أجلهم فتهللت دموعي فأي الجازعين ألوم
أمستعبرا يبكي من الهون والبلى وآخر يبكي شجوه ويهيم

فإذا لم يكن لهؤلاء القوم الذين أخبر الله تعالى عن بوارهم مقام
صالح في الأرض ولا عمل كريم يرفع إلى السماء جاز أن يقال
فما بكت عليهم السماء والأرض ° ويمكن في الآية وجه خامس
وهو أن يكون البكاء فيها كناية عن المطر والسقيا لأن العرب
تشبه المطر بالبكاء ويكون معنى الآية أن السماء لم تسق قبورهم
ولم تجد عليهم بالقطر على مذهب العرب المعروف في ذلك لأنهم
كانوا يستسقون السحاب لقبور من فقدوه من أعزائهم
ويستنبتون لمواقع حفرهم الزهر والرياض فقال النابغة

فلا زال قبر بين تبنى وجاسم عليه من الوسمي طل ووابل

يثبت جودا انا وعوفا ثورا سنا بنعمة من حسن ما قال قائل
وكانوا يجرون هذا الدعاء مجرى الاسترحام ومسالة
الله تعالى لهم الرضوان ۝ والفعل الذي اضيف الى السماء وان
كان لا يجوز اضافته الى الارض فقد يصح عطف الارض
على السماء بان يقدر لها فعل يصح نسبته اليها والعرب تفعل
مثل هذا قال الشاعر ۝

يا ليت زوجك في الوغا متقلدا سيفا ورمحا

فعطف الرمح على السيف وان كان التقلد لا يجوز فيه لكنه
اراد وحاملا رمحا ومثل هذا يتقدر في الاية فكانه قال انه تعالى
اراد ان السما لم تستوفيهم وان الارض لم تغتبط عليها وكل
هذا كناية عن حرمانهم رحمة الله ورضوانه ۝

تاويل خبر

روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان احب الاعمال الى
الله عز وجل ادومها وان قل فعليكم من الاعمال بما تطيقون فان الله
لا يمل حتى تملوا ۝ وفي وصفه تعالى بالملل وجوه اولها انه اراد
نفي الملل عنه تعالى وانه لا يمل ابدا فعلقه بما لا يقع على سبيل

التبعيد

التبعيد كما قال تعالى ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط
وقال الشاعر ۝

فانك سوف تحكم او تناهى اذا ما شبت او شاب الغراب

اراد انك لا تحكم ابدا ۝ فان قيل ومن اين قلتم ان ما علقه به
لا يقع حتى حكمتم بانه اراد نفي الملل على سبيل التابيد قلنا معلوم
ان الملل لا يشمل البشر في جميع اراءهم واوطارهم وانهم لا يعرون
من حرص ورغبة وامل وطمع فلهذا جاز ان يعلق ما علم عليه السلام
انه لا يكون بمللهم ۝ والوجه الثاني ان يكون المعنى
انه لا يغضب عليكم ويطرحكم حتى تتركوا العمل له وتعرضوا
عن سواله والرغبة في حاجاتكم الى جوده فسمى الفعلين مللا
وان لم يكونا على الحقيقة كذلك على مذهب العرب في
تسميتها الشيء باسم غيره اذا وافق معناه من بعض الوجوه ۝ قال
عدي بن زيد العبادي ۝

ثم اضحوا لعب الدهر بهم وكذاك الدهر يودي بالرجال

وقال عبيد بن الابرص الاسدي ۝

سائل بنا حجر ابن ام قطام اذ ظلت به السمر الذوابل تلعب

فنسب الفعل الى الدهر والقنا تشبيها قال ذو الرمة ۝

وابيض موشي القميص نصبته على خصر مقلاة سفية جديلها

فسمي اضطراب زماحها وشدة تحرك سفنها لان السفه في الاصل هو الطيش وسرعة الاضطراب في الحركة وانما وصف ناقته بالذكاء والنشاط فاما قوله وابيض موشي القميص فانما عني به سيفه ومقبضه جفنه والمقلاة الناقة التي لا يعيش لها ولد والوجه الثالث ان يكون المعنى انه تعالى لا ينقطع عنكم فضله واحسانه حتى تملوا من سواله فيفعلهم ملك على الحقيقة وسمى فعله تعالى مللا وليس بملل على الحقيقة للازدواج ومشاكلة اللفظتين في الصورة وان اختلفتا في المعنى ومثل هذا قوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وجزاء سيئة سيئة مثلها ومثله قول الشاعر وهو عمرو بن كلثوم التغلبي

الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وانما اراد المجازاة على الجهل لان العاقل لا يفتخر بالجهل ولا يتمدح به والوجه الرابع ان يكون الراوي وهم وغلط في الفتح الى الضم وان يكون قوله يمل بالضم لا بالفتح وعلى هذا يكون له معنيان احدهما انه تعالى لا يمل منكم بالثبات حتى تملوا

من عبادته

من عبادته

من عبادته وتعرضوا عن طاعته لان الملة هي مستوى الخبز يقال مل الرجل الخبزة وغيرها يملها اذا اشتواها في الملة وقيل ان الجمر لا يقال له ملة حتى يخالطه رماد والمعنى الثاني ان يكون اراد انه لا يسرع الى عقابكم بل يحلم عنكم ويتانى بكم حتى تملوا حلمه وتستعجلوا عذابه بركوبكم المجاهرة وتتابعكم في المآثم قال المرتضى رضي الله عنه روى انه قيل للفرزدق هل حسدت احدا على شيء من الشعر فقال لا لم احسد احدا على شيء منه الا ليلى الاخيلية في قولها

ومخرق عنه القميص تخاله بين البيوت من الحياء سقيما

حتى اذا رفع اللواء رايته تحت اللواء على الخميس زعيما

لا تقربن الدهر آل مطرف لا ظالما ابدا ولا مظلوما

قال على انى قد قلت

وركب كان الريح تطلب عندهم لها ترة من جذبها بالعصائب

سروا يخبطون الليل وهي تلفهم الى شعب الاكوار من كل جانب

اذا ابصروا نارا يقولون ليتها وقد خصرت ايديهم نار غالب

وليس ابيات الفرزدق بدون ابيات ليلى بل هي اجزل الفاظا واشد اسرا الا ان ابيات ليلى اطبع وانصع وقد كان الفرزدق مشهورا بالحسد

على الشعر والاستكثار بالمغالبة والافراط في استحسان شعره
وقد روي ان الكميت بن زيد الاسدي لما عرض على الفرزدق ابياتا
من قصيدته التي اولها

اتصرم الحبل حبل البيض ام تصل وكيف والشيب في فوديك مشتعل

والابيات

لما عابت نفوس العدا انهما حيث الجدود على الاحساب تتصل
اجزت من عشرها تسعا وواحدة فما الممالك من رام ولا الشلل
الشمس اداتك الا انها امرأة والبدر اداك الا انه رجل

حسد الفرزدق فقال انت خطيب وانما سلم له الخطابة
ليخرجه عن اسلوب الشعر ولما بهره حسن الابيات وافرط
بها اعجابه ولم يتمكن من دفع فضلها حمله على عدل في وصفها
الى معنى الخطابة وحسد الفرزدق على الشعر واعجابه بجيده
من ادل دليل على حسن نقده له وقوة بصيرته فيه وانه كان
يطرب للجيد منه فضل طرب ويعجب منه فضل عجب ويدل
ايضا على انصافه فيه وانه مستقل للكثير العائد من
جهته فان كثيرا من الناس قد يبلغ بهم الهوى في الاعجاب والاستحسان
لما يظهر منهم من شعر او فضل الى ان يعموا عن محاسن غيرهم

فيستقلوا

فيستقلوا منهم الكثير ويستصغروا الكبير ولابيات الفرزدق
التي ذكرناها خبر مشهور متداول اخبرنا ابو عبيدة
عن يونس قال دخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك ومعه نصيب
الشاعر فقال سليمان للفرزدق انشدني فانشده الابيات
التي تقدم ذكرها فاسود وجه سليمان وغاظه فعله وكان
ظن انه ينشده مديحا له فلما رأى نصيب ذلك قال الا انشدك
فانشده

اقول لركب قافلين لقيتهم قفا ذات اوشال ومولاك قارب
قفوا خبروني عن سليمان انني لمعروفه من اهل ودان طالب
فعاجوا فاثنوا بالذي انت اهله ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب

فقال له سليمان انت اشعر اهل جلدتك وفي بعض الاخبار ان
الفرزدق قال ذلك في نصيب لما سأله عنه سليمان وروي
ايضا انه لما انشد نصيب ابياته قال له سليمان احسنت ووصله
ولم يصل الفرزدق فخرج الفرزدق وهو يقول

وخير الشعر اكرمه رجالا وشر الشعر ما قال العبيد

ولا شبهة ان ابيات الفرزدق متقدمة في الجزالة والرصانة
على ابيات نصيب وان كان نصيب قد اغرب وابدع في قوله

ولو سكنوا اثنت عليك الجنادب

الا ان ابيات نصيب وقعت موقعها ووردت في حال يليق بها وابيات الفرزدق جاءت في غير موقعها وعلى غير وجهها فلهذا قدمت ابيات نصيب والفرزدق مع تقدمه في الشعر وبلوغه فيه الى الذروة العليا والغاية القصوى شريف الاباء كريم البيت له ولابائه مآثر لا تدفع ومفاخر لا تجحد والفرزدق لقب لقب به وليس باسمه وانما لقب بذلك لجهامة وجهه وغلظه لان الفرزدقة هي القطعة الضخمة من العجين وقيل انها الخبزة الغليظة التي يتخذ منها النساء الفتوت م واسمه همام بن غالب وكنيته ابو فراس وقيل انه كان يكنى في شبابه بابي مكية وهي اعرف كنيته وكان شيعيا مائلا الى بني هاشم ونزع في اخر عمره عما كان عليه من القذف والفسق وراجع طريقة الدين على انه لم يكن في خلال فسقه منسلخا من الدين جملة ولا مهملا لامره اصلا ومما يشهد لذلك ما اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرني ابو ذر القراطيسي قال حدثني ابن ابي الدنيا قال حدثني الرياشي عن الاصمعي عن سلام بن مسكين قال قيل للفرزدق

واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني

علام تقذف المحصنات فقال والله لله احب الي من عيني هاتين افتراه يعذبني بعدها ه وروي انه تعلق باستار الكعبة وعاهد الله على ترك الهجاء والقذف اللذين ارتكبهما وقال

الم ترني عاهدت ربي وانني لبين رتاج قائم ومقام
على حلفة لا اشتم الدهر مسلما ولا خارجا من في زور كلام

اطعتك يا ابليس سبعين حجة فلما انقضى عمري وتم تمامي
فزعت الى ربي وايقنت انني ملاق لايام الحتوف حمامي

وروى الصولي عن الحسين بن القياض عن ادريس بن عمران قال جاءني الفرزدق فتذاكرنا رحمة الله وسعتها فكان اوثقنا بالله فقال له رجل الك هذا الرجاء والمذهب وانت تقذف المحصنات وتفعل ما تفعل فقال الفرزدق اتروني لو اذنبت الى ابوي كان تقذفانني في تنور وتطيب انفسهما بذلك قلنا لا بل كانا يرحمانك فقال انا والله برحمة ربي اوثق مني برحمتهما ه واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن ابرهيم قال حدثنا عبد الله بن ابي سعيد الوراق قال حدثني محمد بن سليمان الطفاوي قال حدثني ابي عن جدي قال شهدت الحسن البصري في جنازة النوار امراة الفرزدق وكان الفرزدق حاضرا

فقال له الحسن وهو عند القبر يا ابا فراس ما اعددت لهذا المضجع
قال شهادة ان لا اله الا الله مذ ثمانون سنة فقال له الحسن هذا العمود
فاين الطنب وفي رواية اخرى انه قال نعم ما اعددت ثم
قال الفرزدق في الحال

اخاف وراء القبر ان لم يعافني اشد من الموت التهابا واضيقا
اذا جاءني يوم القيامة قائد عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من اولاد آدم من مشى الى النار مغلول القلادة ازرقا
يساق الى نار الجحيم مسربلا سرابيل قطران لباسا محرقا

قال فرايت الحسن يدخل بعضه في بعض ثم قال حسبك
ويقال ان رجلا راى الفرزدق بعد موته في منامه فقال له ما فعل
الله بك فقال عفا عني بتلك الابيات فاما ما يدل على
تشيعه وميله الى بني هاشم فما اخبرنا به ابو عبيد الله المرزباني
قال حدثني عمرو بن داود العماني قال حدثنا محمد بن زكريا
الغلابي قال حدثنا مهدي بن سابق قال حدثنا ابو لبيد
قال جاء الكميت الى الفرزدق فقال له يا عم اني قد قلت قصيدة
اريد ان اعرضها عليك فقال له قل فانشد

طربت وما شوقا الى البيض اطرب

فقال له

فقال له الفرزدق الى من طربت ثكلتك امك فقال

ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب
ولم يلهني دار ولا رسم منزل ولم يتطربني بنان مخضب

فقال له الى من طربت فقال

ولا انا ممن يزجر الطير همه اصاح غراب ام تعرض ثعلب
ولا السانحات البارحات عشية امر سليم القرن ام مر اعضب

فقال الى من طربت لا ام لك فقال الكميت

الى النفر البيض الذين بحبهم الى الله فيما نابني اتقرب

فقال الفرزدق هولاء بنو هاشم فقال الكميت

بني هاشم رهط النبي فانني بهم ولهم ارضى مرارا واغضب

فقال الفرزدق والله لو جزتهم الى سواهم لذهب قولك باطلا
ومما يشهد ايضا بذلك ما اخبرنا به ابو عبيد الله محمد بن
عمران المرزباني قال حدثنا الحسن بن محمد قال حدثني جدي يحيى بن
الحسن العلوي قال حدثنا الحسن بن محمد بن طالب قال حدثني غير واحد
من اهل الادب ان علي بن الحسين حج فاستجهر الناس جماله
وتشوفوا له وجعلوا يقولون من هذا فقال الفرزدق

هذا الذي تعرف البطحاء وطاته والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقي النقي الطاهر العلم
اذا راته قريش قال قايلها الى مكارم هذا ينتهي الكرم
يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم اذا ما جا يستلم
يغضي حيا ويغضى من مهابته فلا يكلم الا حين يبتسم
اي القبايل ليست في رقابهم لاولية هذا اوله نعم
من يشكر الله يشكر اولية ذا فالدين من بيت هذا ناله

وفي رواية الغلابي ان هشام بن عبد الملك حج في خلافة عبد الملك او الوليد وهو حدث السن فاراد ان يستلم الحجر فلم يتمكن من ذلك لتزاحم الناس عليه فجلس ينتظر خلوة فاقبل علي بن الحسين عليهما السلام وعليه ازار ورداء وهو من احسن الناس وجها واطيبهم ريحا وبين عينيه سجادة كانها ركبة عنز فجعل يطوف بالبيت فاذا بلغ الحجر تنحى عنه الناس حتى يستلمه هيبة له واجلالا فغاظ ذلك هشاما فقال رجل من اهل الشام لهشام من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة فقال هشام لا اعرفه لئلا يرغب فيه اهل الشام فقال الفرزدق وكان له حاضرا لكني اعرفه وذكر الابيات وهي اكثر مما رويناه وانما تركناها لانها معروفة

فغضب هشام وامر بحبس الفرزدق بعسفان بين مكة والمدينة وبلغ ذلك علي بن الحسين عليه السلم فبعث الى الفرزدق باثني عشر الف درهم وقال اعذرنا يا ابا فراس فلو كان عندنا في هذا الوقت اكثر من هذا لوصلناك فردها الفرزدق وقال يا ابن رسول الله ما قلت الذي قلت الا غضبا لله ولرسوله وما كنت لارزا عليه شيا فردها اليه واقسم عليه في قبولها وقال له قد راى الله مكانك وعلم نيتك وشكر لك ونحن اهل بيت اذا انفذنا شيا لم نرجع فيه فقبلها وجعل الفرزدق يهجو هشاما وهو في الحبس فمما هجاه به قوله

ايحبسني بين المدينة والتي اليها رقاب الناس يهوي منيبها
يقلب راسا لم يكن راس سيد وعينا له حولا باد عيوبها

مجلس آخر

تاويل آية ان سال سايل فقال ما عندكم في تاويل قوله تعالى ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خ[illegible] ظاهر هذه الاية يقتضي انه تعالى ما شا

ان يكونوا امة واحدة وان يجتمعوا على الايمان والهدى وهذا
خلاف ما تذهبون اليه ثم قال ولذلك خلقهم فلا يخلوا من ان يكون
عنى انه للاختلاف خلقهم او للرحمة ولا يجوز ان يعني الرحمة لان
الكناية عن الرحمة لا تكون بلفظة ذلك ولو ارادها
لقال ولتلك خلقهم فلما قال ولذلك خلقهم كان رجوعه
الى الاختلاف اولى وليس يبطل حمل الاية على الاختلاف
من حيث لم يكن مذكورا فيها لان الرحمة ايضا غير مذكورة
فيها واذا جعلتم قوله الا من رحم ربك دالا على الرحمة
فكذلك قوله مختلفين دال على الاختلاف وعلى ان الرحمة
هي رقة القلب والشفقة وذلك لا يجوز على الله تعالى ومتى تعدى
بها ما ذكرناه لم يعن بها الا العفو واسقاط
الضرر وما جرى مجراه عن مستحقه وهذا مما لا يجوز ان
يكونوا مخلوقين له على مذهبكم لانه لو خلقهم للعفو لما حسن
منه عقاب المذنبين ومواخذة المستحقين

فالجواب

انه تعالى اما قوله تعالى ولو شاء ربك فانما عنى به المشية التي
ينضم اليها الالجاء ولم يعن المشية على سبيل الاختيار وانما اراد

تعالى ان يخبرنا

تعالى ان يخبرنا عن قدرته وانه ممن لا يغالب ولا يعصى مقهورا من
حيث كان قادرا على الجاء العبيد (العباد) واكراههم على ما اراده منهم
فاما لفظة ذلك في الاية فحملها على الرحمة اولى من حملها على الاختلاف
لدليل العقل وشهادة اللفظة فاما دليل العقل فمن حيث علمنا انه
تعالى كره الاختلاف والذهاب عن الدين ونهى عنه وتوعد
عليه فكيف يجوز ان يكون شائيا له ومجريا بخلق العباد اليه
واما شهادة اللفظ فلان الرحمة اقرب الى هذه الكناية من الاختلاف
وحمل اللفظة على اقرب المذكورين اليها اولى في لسان العرب
فاما ما طعن به السائل وتعلق به من تذكير الكناية
وان الكناية عن الرحمة لا تكون الا مؤنثة فباطل لان تانيث
الرحمة غير حقيقي واذا كنى عنها بلفظ التذكير كانت الكناية
على المعنى لان معناها هو الفضل والانعام كما قالوا سرتني كلمتك
يريدون سرني كلامك وقال الله تعالى هذا رحمة من ربي ولم يقل
هذه وانما اراد هذا فضل من ربي وقالت الخنساء

فذلك يا هند الرزية فاعلمي ونيران حرب حين شب وقودها

اراد ذلك الرزء وقال امرؤ القيس

برهرهة رخصة رودة كخرعوبة البانة المنفطر

ناعم المنشق

فقال المنفطر ولم يقل المنفطرة لانه ذهب الى الغصن وقال الاخر

هنيئا لسعد ما اقتضى بعد وقعتي بناقة سعد والعشية بارد

فذكر الوصف لانه ذهب الى العشي وقال الاخر

قامت تبكيه على قبره من لي من بعدك يا عامر

تركتني في الدار ذا غربة قد ذل من ليس له ناصر

فقال ذا غربة ولم يقل ذات غربة لانه اراد شخصا ذا غربة
وقال زياد الاعجم

ان السماحة والشجاعة ضمنا قبرا بمرو على الطريق الواضح

فقال ضمنا ولم يقل ضمنتا قال الفرا لانه ذهب الى ان الشجاعة
والسماحة مصدران والعرب تقول قصارة الثوب يعجبني لان
تانيث المصادر يرجع الى الفعل وهو مذكر قال الفرزدق

تجوب بنا الفلاة الى سعيد اذا ما الشاة في الارطاة قالا

فذكر الوصف لانه اراد التيس فاما الارطاة فهي
واحدة الارطى وهي شجر تنبت في الرمل يستظل بظلاله
الظباء من الحر وتاوي اليه قال الشماخ

اذا الارطى توسد ابرديه خدود جوازئ بالرمل عين

وقبله

اليك

اليك بعثت راحلتي تشكى من الابعد منجدها الثمين

اذا بركت على شرف والقت عسيب جرانها العصا الهجين

المنجد اصل السنام والهجين الراعي والشرف النجد من الارض
والجوازئ التي اكتفت بالرطب عن الماء والابردان الغداة
والعشي وقال خالد بن كلثوم ابرداه ظلاه الظل بالغداة
والفيء بالعشي وقال ابن دريد معناه ان البقر يتوسد بالغداة
الارطى الذي يلي المغرب فاذا دارت الشمس دارت معها الى
ناحية الشرق فتوسدت الغصون التي مالت عنها الشمس وقوله
قالا من القيلولة لا من القول وعلى ان قوله تعالى الا من رحم
ربك كما يدل على الرحمة يدل ايضا على ان رحم فاذا جعلنا الكناية
بلفظة ذلك عن ان رحم كان التذكير في موضعه لان الفعل
مذكر ويجوز ايضا ان يكون قوله تعالى ولذلك
خلقهم كناية عن اجتماعهم على الايمان وكونهم فيه امة واحدة
ولا محالة انه لهذا خلقهم ويطابق هذه الاية قوله تعالى وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون وقد قال قوم في قوله تعالى ولو شاء ربك
لجعل الناس امة واحدة ان معناه انه لو شاء ان يدخلهم اجمعين الجنة
فيكونوا في وصول جميعهم الى النعيم امة واحدة واجرى هذه الاية

يجري قوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها في انه ان ادخلها
الى طريق الجنة فعلى هذا التاويل ايضا يمكن ان نرجع لفظة
ذلك الى ادخالهم اجمعين الجنة لانه تعالى انما خلقهم للمصير اليها
والوصول الى نعيمها ۝ واما قوله تعالى ولا يزالون مختلفين
فمعناه الاختلاف في الدين والذهاب عن الحق فيه بالهوى والشبهات
وذكر ابو مسلم بن بحر في قوله تعالى مختلفين وجها
غريبا وهو ان يكون معناه ان خلف هؤلاء الكافرين يخلف
سلفهم في الكفر لانه سواء قولك خلف بعضهم بعضا
وقولك اختلفوا كما سواء قولك قتل بعضهم بعضا واقتتلوا ومنه
قولهم لا افعل كذا ما اختلف العصران والجديدان اي جاء
كل واحد منهما بعد الآخر ۝ فاما الرحمة فليست رقة
القلب كما ظنه السائل لكنها فعل المنعم والاحسان يدل على ذلك
ان من احسن الى غيره وانعم عليه يوصف بانه رحيم به وان لم تعلم
منه رقة قلب عليه بل وصفهم بالرحمة من لا يعهدون منه رقة
القلب اقوى من وصفهم الرقيق القلب بذلك لان مشقة النعمة
والتفضل والاحسان على من لا رقة عنده اكثر منها على الرقيق
القلب ۝ وقد علمنا ان من رق قلبه لو امتنع من الافضال والاحسان

لم يوصف

لم يوصف بالرحمة واذا انعم وصف بذلك فوجب ان يكون معناها
ما ذكرناه على انه لا يمتنع ان يكون معنى الرحمة في الاصل ما ذكر ثم
انتقل بالتعارف الى ما ذكرناه لنظائره وقد وصف الله تعالى
القرآن بانه هدى ورحمة من حيث كان نعمة ولا يتاتى في القرآن ما
ظنوه وانما وصفت رقة القلب بانها رحمة لانها تكاد تجاوره
الرحمة التي هي النعمة في الاكثر وتوجد عنده فحل محل وصف
الشهوة بانها محبة لما كانت توجد عندها المحبة في الاكثر
وليست الرحمة مختصة بالعفو بل تستعمل في ضروب النعم وصنوف
الاحسان الا ترى انا نصف المنعم على غيره المحسن اليه بالرحمة وان لم
تسقط عنه ضررا ولا تجاوز له عن زلة وانما سمي العفو
عن الضرر وما جرى مجراه رحمة من حيث كان نعمة لان
النعمة باسقاط الضرر تجري مجرى النعمة بايصال النفع فقد
بان بهذه الجملة معنى الآية وبطلان ما ضمنه السائل سؤاله ۝
فان قيل اذا كانت الرحمة هي النعمة وعندكم ان نعم الله شاملة
للخلق اجمعين فاي معنى للاستثناء من رحم من جملة المختلفين
اذا كانت الرحمة هي النعمة وكيف يصح اختصاصها بقوم دون
قوم وهي عندكم شاملة عامة قلنا لا شبهة ان نعم الله تعالى شاملة

للخلق اجمعين غير ان في نعمه ايضا ما تختص بها بعض الخلق اما
لاستحقاق او لسبب يقتضي الاختصاص فاذا حملنا قوله تعالى
الا من رحم ربك على النعمة بالثواب فالاختصاص ظاهر لان
النعمة به لا تكون الا مستحقة فمن استحق الثواب باعماله وصل
الى هذه النعمة ومن لم يستحقه لم يصل اليها وان حملنا الرحمة
في الاية على النعمة بالتوفيق للايمان واللطف الذي وقع بعده
فعل الايمان كانت هذه النعمة ايضا مختصة لانه تعالى انما
لم ينعم على سائر المكلفين بها من حيث لم يكن في معلومه
تعالى ان لهم توفيقا وان في الافعال ما يختارون عنده الايمان
فاختصاص هذه النعم ببعض العباد لا يمنع من شمول نعم
اخر لهم كما ان شمول تلك النعمة لا يمنع من اختصاص هذه

تاويل خبر

روى ابو مسعود البدري عن النبي صلى الله عليه واله انه قال ان مما
ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستحي فاصنع ما
شئت . وفي هذا الخبر وجوه من التاويل ثلثة . احدها
ان يكون معناه اذا عملت العمل لله جل وعز وانت لا تستحي من الناظرين

اليك ولا

اليك ولا تخوفهم ان ينسبوك فيه الى الرياء صنعت ما شئت
لا تفكر لك فيهم ومراقبتك لهم تقطعانك عن استيفاء شروط
عملك وتمنعانك من القيام بحدوده وحقوقه واذا اطرحت
الفكر توفرت عليك استيفاء عملك . والوجه الثاني ان من لم
يستحي من المعايب والمخازي والفضايح صنع ما شاء والظاهر ظاهر
امر والمعنى معنى تغليظ وانكار مثل قوله تعالى اعملوا ما شئتم
وقوله عز وجل فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وهذا نهاية
التغليظ والزجر والاخبار عن كبر الذنب في اطراح الحياء
ويجري مجرى قولهم بعد ان فعل فلان كذا فليفعل ما شاء
وبعد ان اقدم على كذا فليقدم على ما شاء والمعنى المبالغة في
عظم ما ارتكبه وقبح ما اقترفه ۵ والوجه الثالث
ان يكون معنى الخبر اذا لم تفعل ما تستحي منه فافعل ما شئت
فكان معنى الخبر اذا لم تفعل قبيحا فافعل ما شئت لانه
لا قبيح من ضروب القبايح الا والحياء يصاحبه ومن شان فاعله
اذا فرع به ان يستحي منه فمتى جانب الانسان ما يستحي منه من افعاله
فقد جانب سائر القبايح وما عدا القبيح من الافعال فهو حسن
ويجري هذا مجرى خبر يروى فيما اظن عن نبينا عليه السلم

ان رجلاً جاءه فاسترشده الى خصلة يكون فيها جماع الخير فقال له
عليه السلام اشترط عليك ان لا تكذبني ولن اسألك ما وراء
ذلك فهان على الرجل ترك الكذب خاصة والمعاهدة على
اجتنابه دون سائر القبائح وشرط على نفسه ذلك فلما
انصرف جعل كلما هم بقبيح يفكر ويقول ان اتيت لو سألني عنه
النبي عليه السلام ما كنت فاعلاً لا انني ان صدقته
افتضحت وان كذبته نقضت العهد بيني وبينه فكان ذلك
سبباً لاجتنابه القبائح ﻩ وهكذا معنى الخبر الذي
تاولناه في اجتناب ما يستحيي منه اجتناباً لسائر القبائح

تاويل خبر اخر

روى محمد بن الحنفية عليه السلام عن ابيه امير المؤمنين صلوات
الله عليه قال كان قد كثر على مارية القبطية ام ابراهيم
عليه السلام في ابن عم لها قبطي كان يزورها ويختلف
اليها فقال لي النبي صلى الله عليه واله خذ هذا السيف وانطلق
فان وجدته عندها فاقتله قلت يا رسول الله صلى الله عليك
اكون في امرك اذا ارسلتني كالسكة المحماة امضي لما امرتني

ام الشاهد

ام الشاهد يرى ما لا يرى الغايب فقال لي النبي صلى الله عليه واله
بل يرى الشاهد ما لا يرى الغايب فاقبلت متوشحاً بالسيف
فوجدته عندها فاخترطت السيف فلما اقبلت نحوه
عرف اني اريده فاتى نخلة فرقى فيها ثم رمى بنفسه على قفاه
وشغر برجليه فاذا انه اجب امسح ماله مما للرجال لا قليل
ولا كثير ﻩ قال فغمدت السيف ورجعت الى النبي صلى الله
عليه واله فاخبرته فقال الحمد لله الذي يصرف عنا اهل البيت
قال سيدنا الشريف المرتضى رضي الله عنه في هذا الخبر احكام
وغريب ونحن نبدا باحكامه ثم نتلوها بغريبه فاول
ما فيه ان لقايل ان يقول كيف يجوز ان يامر الرسول عليه السلام
بقتل رجل على التهمة بغير بينة ولا ما يجري مجراها

والجواب

عن ذلك ان القبطي جاز ان يكون من اهل العهد الذين اخذ عليهم الا
ان يجري فيهم احكام المسلمين وان يكون الرسول عليه السلم
تقدم اليه بالانتهاء عن الدخول الى مارية فخالف واقام على ذلك
وهذا نقض للعهد وناقض العهد من اهل الكفر مؤذن

بالمحاربة والمؤذن بها مستحق للقتل. فاما قوله بل يرى الشاهد
ما لا يرى الغائب فانما عنى به رؤية العلم لا رؤية البصر لانه
لا معنى في هذا الموضع لرؤية البصر فكانه عليه السلام قال بل
الشاهد يعلم ويصح له من وجه الراي والتدبير ما لا يصح للغائب
ولو لم يقل ذلك لوجب قتل الرجل على كل حال وانما جاز
منه عليه السلم ان يخيره بين قتله والكف عنه ويفوض
الامر فيه الى امير المؤمنين صلوات الله عليه من حيث لم يكن
قتله من الحدود والحقوق التي لا يجوز العفو عنها
ولا بد الا اقامتها لان ناقض العهد ممن الى الامام القائم
بامر المسلمين اذا قدر عليه قبل التوبة ان يقتله او ان يمن عليه
ومما فيه ايضا من الاحكام اقتضاء ان مجرد امر النبي عليه السلام
لا يقتضي الوجوب لانه لو اقتضى ذلك لما حسنت مراجعته
ولا استفهامه وفي حسنها ووقوعها موقعها دلالة
على انها لا تقتضي ذلك. ومما فيه ايضا من الاحكام
دلالته على انه لا باس بالنظر الى عورة الرجل عند الامر
ينزل فلا يوجد من النظر بد اما لحد يقام او العقوبة
تسقط لان العلم بانه امسح اجب لم يكن الا عن تامل ونظر

وانما جاز

وانما جاز التامل والنظر ليتبين هل هو ممن يكون بما قرف
به او لا والواجب على الامام فيمن شهد عليه بالزنا وادعى انه
مجبوب ان يامر بالنظر اليه ويتبين امره ويمثله امر النبي
صلى الله عليه في قتل مقاتلة بني قريظة لانه امر ان ينظروا
الى مؤتزر كل من اشكل عليهم امره فمن وجدوه قد انبت قتلوه
ولو لا جواز النظر الى العورة عند الضرورة لما قامت شهادة
الزنا لان من راى رجلا مع امراة واقعا عليها متى لم يتامل
امرهما حق التامل لم تصح شهادته ولهذا قال النبي صلى الله
عليه واله لسعد بن عبادة وقد ساله عمن وجد مع امراته
رجلا ايقتله فقال عليه السلام لا حتى ياتي باربعة شهداء
اذا حضروا وتعمد النظر الى عورتهما لاقامة الشهادة كان
حضورهم كغيبتهم ولم تتم شهادة الزنا لان من شرطها
مشاهدة العضو في العضو كالميل في المكحلة. فان قيل
كيف جاز لامير المؤمنين عليه السلم الكف عن القتل ومن اي جهة
اثره لما وجد الرجل اجب واي تاثير لكونه اجب فيما استحق
القتل وهو نقض العهد. قلنا لانه عليه السلم لما فوض اليه الامر
في القتل والكف كان له ان يقتله على كل حال وان وجده

أجب

أجب لأن كونه بهذه الصفة لا يخرجه من نقض العهود وإنما
أتى اللفظ الذي كان إليه وبقوّضا إلى رايه لأن آلة التهمة والشك الواقعين
في امر ماتيه لانه اشفق من ان يقتله فيتحقق الظن ويلحق بذلك
العار فرأى امير المؤمنين عليه السلام ان اللفظ أولى لما ذكرناه
فاما غريب الحديث فقوله شغر برجله يريد رفعها
واصله في وصف الكلب إذا رفع رجله للبول فاما نكاح
الشغار بالكسر وقد قيل الشغار بالفتح فهو أن يزوج الرجل
من هو ولي لها من بنت أو أخت بغير مهر على أن يزوجه بنته
أو أخته بغير مهر وكان أحد العرب في الجاهلية يقول
للآخر شاغرني أي زوجني حتى أزوجك وأظنه مأخوذ
من الشغر الذي هو رفع الرجل لأن النكاح فيه معنى الشغر
فسمي هذا العقد شغارا ومشاغرة لاقتضائه في كل واحد
من المتزوجين لمعنى الشغر فصار اسما لهذا النكاح كما
قيل في الزنا سفاح لأن الزانيين يتسافحان الماء أي يسكبانه
والماء هو النطفة ويمكن أن يكون الماء الذي يغتسلان
به فكني بذلك عن الزنا ثم صار اسما له وعلما عليه ومن
الشغر الذي هو رفع الرجل قول زياد لابنة معوية وكانت عند

ابنه

ابنه فافتخرت عليه يوما وتطاولت فشكاها إلى ابنه زياد فدخل عليها
بالدرة يضربها ويقول أشغرا وفخرا فاما قول الفرزدق

شغارة تقذ الفصيل برجلها فطارة لقوادم الابكار

فاما من غريب شعره وفسره قال معنى شغارة انها ترفع رجلها
للبول وقوله تقذ الفصيل برجلها أي تركله وتدفعه
عن الدنو إلى الرضاع ليتوفر اللبن على الحلب وأراد تقذه
أي تبالغ في إيلامه وضربه ومنه الموقوذة فاما قوله فطارة
لقوادم الابكار فالفطر هو الحلب بثلاث أصابع والقوادم هي
الأخلاف وإنما خص الأبكار بذلك لأن صغر أخلافها يمنع من
حلبها ضبا والضب هو الحلب بالأصابع الأربع فكأنه لا يمكن
فيها لقصر أخلافها إلا الفطر ومعنى البيت تعيير نساء جرير
بأنهن راعيات وذلك مما تعير به العرب النساء ألا ترى إلى قوله
قبل هذا البيت

كم عمة لك يا جرير وخالة فدعاء قد حلبت علي عشاري
كنا نحاذر أن تضيع لقاحنا ولها إذا سمعت دعاء يسار

ثم تلا ذلك بقوله شغارة قال السيد المرتضى رضي الله عنه
وعندي أن قوله شغارة كناية عن رفع رجلها للزنا وهو أشبه

بان يكون زيادة في هذا الموضع الا ترى انه قد وصفها بالوله وترك حفظ
اللقاح عند سماعها دعاء الراعي وبان انهم الراعي فكانه وصفها
بالوله الى الزنا والابتراع اليه وترك حفظ ما استحفظته من اللقاح
والاشبه ان يكون قوله شغارا مع كونه عقيب البيت
الذي ذكرناه محمولا على ما اشرنا اليه ٥ فاما قولهم ذهبوا
شغر بغر فليس من هذا في شيء وانما يريد به انهم ذهبوا متفرقين
متشتتين ٥ ومثله ذهبوا عباديد وعبابيد وشعاليل وشعارير
وايادي سبا كل ذلك بمعنى واحد ٥ فاما قوله فاذا انه اجب
فيعني به المقطوع الذكر لان الجب هو القطع ومنه بعير اجب
اذا كان مقطوع السنام وقد ظن بعض من تاول هذا الخبر
ان الاسح ها هنا هو القليل لحم الالية كالارصع والارسح
والازل وهذا غلط لان الوصف بذلك لا معنى له في هذا
الخبر وانما اراد تاكيد الوصف له بانه اجب
والمبالغة فيه لان قوله اسح يفيد انه مصطلم الذكر وزيد
على معنى اجب زيادة ظاهرة ٥ اخبرنا ابو عبيد الله
المرزباني قال حدثني القاسم بن الحسن الوراق قال حدثنا
سليمان بن داود الطوسي قال حدثنا سوار بن عبد الله القاضي عن
الاصمعي

الاصمعي قال دخلت على الرشيد في الليل فتذاكرنا احوال القمر
فقلت العرب تقول للقمر اذا كان ابن ليلة ما انت ابن ليلة قال
رضاع سخيلة حل اهلها برميلة ٥ قيل له ما انت ابن ليلتين قال
حديث امتين بكذب ومين ٥ قيل له ما انت ابن ثلث قال قليل
اللباث ٥ وقيل ايضا حديث فتيات غير جد مؤتلفات ٥ قيل له فما
انت ابن اربع قال عتمة ام ربع وقيل عتمة ام الربع غير جائع ولا
مرضع ٥ قيل له ما انت ابن خمس قال عشاء خلفات قعس
ويقال حديث وانس ٥ ويقال اسرى بمس ٥ قيل له ما انت
ابن ست قال اسر وبت وقيل حدث وبت ٥ قيل ما انت ابن سبع
قال دلجة ضبع ٥ وقيل هدى لانس ذي الجمع وقيل حديث جمع وقيل
يلتقط الجزع ٥ قيل ما انت ابن ثمان قال قمر اضحيان قيل ما
انت ابن تسع قال منقطع الشسع وقيل يظفر في التسع وقيل يلتقط
في الجزع وقيل الودع وقيل عشية اهل جمع ٥ قيل له ما انت ابن عشر
قال ثلث الشهر وقيل محق الفجر وقيل ابادر الفجر ٥ قيل
له ما انت ابن احدى عشرة قال اطلع عشاء وارى بكرة وقيل واغيب
سحرة ٥ قيل ما انت ابن اثني عشرة قال مؤتنق للبشر
بالبدو والحضر ٥ قيل ما انت ابن ثلث عشرة قال قمر باهر يعشى له

الناظر • قيل ما انت ابن اربع عشرة قال مقتبل الشباب اضيء مدجنات
السحاب وقبل مضي السحاب • قيل له ما انت ابن خمس عشرة قال
تم الشباب وانتصف الحساب • قيل ما انت ابن ست عشرة قال
نقص الخلق بالغرب والشرق • قيل ما انت ابن سبع عشرة قال امكنت
المقتفر القفرة • قيل له ما انت ابن ثماني عشرة قال قليل البقاء
سريع الفناء • قيل ما انت ابن تسع عشرة قال بطيء الطلوع بين الخشوع
قيل ما انت ابن عشرين قال اطلع بسحره واضيء بالبهرة وقيل ثم اهجر
بالبهرة • قيل ما انت ابن احدى وعشرين قال اطلع كالقبس يرى
بالغلس • قيل ما انت ابن اثنتين وعشرين قال لا اطلع الا ريثما
ارى • قيل ما انت ابن ثلث وعشرين قال اطلع في قتمة ولا اجلو
الظلمة • قيل ما انت ابن اربع وعشرين قال لا قمر ولا هلال • قيل
ما انت ابن خمس وعشرين قال دنا الاجل وانقطع العمل • قيل ما انت
ابن ست وعشرين قال دنا ما دنا فلا يرى مني الا سنا • قيل ما انت
ابن سبع وعشرين قال اطلع بكرا ولا ارى ظهرا • قيل ما انت ابن ثمان
وعشرين قال اسبق شعاع الشمس • قيل ما انت ابن تسع وعشرين
قال ضئيل صغير فلا يراني الا البصير • قال ما انت ابن ثلاثين
قال هلال مستنير • قال الاصمعي ثم قلت للرشيد

يقال

يقال انه لا يحفظ هذا الحديث من الرجال الا عاقل فقال احسنت على
قلت هات فاعاده حتى بلغ قيل له ما انت ابن ثمان قال قمر اضحيان
اما قوله رضاع سخيلة اراد تصغير سخلة والمعنى ان
القمر يبقى بقدر ما ينزل قوم فتضع شاتهم سخلة ثم ترضعها ويطلع
فيبقى في الافق بمقدار هذا الزمان • وقوله حل اهلها برميلة اظن
ان المعنى فيه الاخبار عن قلة اللبث وسرعة الانتقال لان الرمل
ليس بمنزل مقام للقوم لانهم كانوا يختارون في مناهلهم
جلد الارض وهضبها والاماكن التي تنبو السيول عنها
فخص الرميلة لهذا المعنى • وقوله حديث امتين بكذب ومين
يريد ان بقاءه قليل بمقدار ما تلتقي الامة الامة فتكذب لها حديثا
ثم يفترقان • وقوله حديث فتيات غير جد مؤتلفات اراد انه
يبقى بقاء فتيات اجتمعن على غير ميعاد فتحادثن ساعة ثم انصرفن
غير مؤتلفات • وقوله عتمة ام ربع يقال عتمت ابله اذا تاخرت
عن العشاء ومن هذا سميت صلاة العتمة لانها اخر الوقت في العشاء
وقوله ام ربع يعني الناقة وهي تاخر ترحلها يريد ان بقاءه بمقدار
ما تحلب ناقة لها ولد ولدته في اول الربيع وهو اول النتاج
والولد في هذا الوقت يسمى ربعا اذا كان ذكرا واذا كان انثى قيل

ربعة فإن كان في آخر النتاج قيل هُبَع للذكر وللأنثى هُبَعة * وقوله
عشا خلفات يعني بالخلفات اللواتي قد استبان واحدتها خلفة
وهي واحدة المخاض ولا واحدة للمخاض من لفظها وإنما قال عشا
خلفات لأنها لا تعشى إلا أن يغيب القمر في هذه الليلة والقعسا
الداخلة الظهر الخارجة البطن * وقوله بتروث يريد
أنه لا يبقى إلا بقدر ما يبيت الإنسان ثم يبيت ويقال إنه
يبقى بقدر ما يبشر الإنسان ثم يبيت بقلب المعنى لأنه
يتبين في الضوء * وقوله قمر إضحيان أي ضاح بائن ويقال
قمر إضحيان بالتنوين فيهما جميعا وقمر إضحيان بالإضافة
ومنه قيل ليلة إضحيانة إذا كانت نقية البياض * وقوله
منقطع الشسع أراد أنه يبقى بقدر ما يبقى شسع من قد
يمشى به حتى ينقطع * وقوله يلتقط في الجزع أي أنه مضيء
أبلج لو انقطعت مخنقة فتاة فيها شذور منفصلة بجزع ما
ضاع منها شيء لضيائه ونقائه * وقوله أضحى بالبهرة يعني به
وسط الليل لأن بهرة الشيء وسطه * وقوله أمكنت لمقتفر القفرة
والمقتفر الذي يتبع الآثار ومقتفراته مواضعها التي يقصدها

مجلس آخر

تأويل آية ان سأل سائل

تأويل آية

إن سأل سائل عن قوله تبارك وتعالى ومن كان في هذه أعمى فهو في
الآخرة أعمى وأضل سبيلا فقال كيف يجوز أن يكونوا في الآخرة
عميانا وقد تظاهر الخبر عن الرسول عليه السلام أن
الخلق يحشرون كما بدئوا سالمين من الآفات والعاهات وقال
الله تعالى كما بدأنا أول خلق نعيده وقال تعالى كما بدأكم تعودون
وقال تعالى فبصرك اليوم حديد

الجواب

يقال له في هذه الآية أربعة أجوبة أحدها أن يكون العمى الأول
إنما هو عن تأمل الآيات والنظر في الدلالات والعبر التي أراها
الله تعالى المكلفين في أنفسهم وفيما يشاهدون
ويكون العمى الثاني هو عن الإيمان بالآخرة والإقرار بما يجازى
به المكلفون فيها من ثواب أو عقاب وقد قال قوم
إن الآية متعلقة بما قبلها من قوله تعالى ربكم الذي يزجي
لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إلى قوله تعالى
ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم
من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا

ثم قال تعالى بعد ذلك ومن كان في هذه اعمى يعني في هذه النعم وعن
هذه العبر فهو في الاخرة اعمى اي هو عما غيب عنه من
امر الاخرة اعمى ويكون قوله في هذه كناية عن النعم لا عن
الدنيا ويقال ان ابن عباس رحمه الله ساله سايل عن هذه
الاية فقال له اتل ما قبلها ونبهه على التاويل الذي ذكرناه ٥

والجواب الثاني

من كان في هذه يعني الدنيا اعمى عن الايمان بالله والمعرفة بما
اوجب عليه المعرفة به فهو في الاخرة اعمى عن الجنة والثواب
بمعنى انه لا يهتدي الى طريقها ولا يوصل اليها او يفقد الحجة
اذا سئل ووقف ومعلوم ان من ضل عن معرفة الله تعالى
والايمان به يكون في القيمة منقطع الحجة مفقود المعاذير ٥

والجواب الثالث

ان يكون العمى الاول من المعرفة والايمان والثاني بمعنى المبالغة في الاخبار
عن عظم ما يناله هولاء الكفار الجهال بالله تعالى من
الخوف والغم والحزن الذي ازاله الله تعالى عن المومنين العارفين
بقوله تعالى لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ومن عادة العرب ان
تسمي من اشتد همه وقوي حزنه انه اعمى سخين العين ويصفون المسرور

بانه قد بين العين قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء
بما كانوا يعملون ٥

الجواب الرابع

ان العمى الاول عن الايمان والثاني بمعنى الافة في العين على سبيل العقوبة كما قال
الله تعالى ونحشره يوم القيامة اعمى قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت
بصيرا قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ومن
اجيب بهذا الجواب تاول قوله تعالى كما بدانا اول خلق نعيده
على ان المعنى فيه الاخبار عن الاقتدار وعدم المشقة في الاعادة كما
انتفى معدومه في الابتدا ويجعل ذلك نظيرا لقوله تعالى وهو
الذي يبدا الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه وتاول قوله تعالى
فبصرك اليوم حديد على ان معناه الاخبار عن قوة المعرفة
وان الجاهل بالله تعالى في الدنيا يكون عارفا به في الاخرة والعرب
تقول فلان بصير بهذا الامر وزيد ابصر بكذا من عمرو ولا يريدون
ابصار العين بل العلم والمعرفة ويشهد بهذا التاويل قوله تعالى لقد
كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم
حديد اي كنت غافلا عما انت الان عارف به فلما كشفنا عنك
الغطا بان اعلمناك وجعلنا في قلبك المعرفة عرفت وعلمت ٥ فاما

الخبر الذي يدعي روايته فهو خبر واحد لا حجة في مثله
واذا عرف لفظه ثم انكر تاويله على ما يطابق هذا الجواب
ومن ذهب الى الاجوبة الاول لجعل العمى الاول والثاني معا غير
الافة في العين فان عورض بقوله تعالى ونحشره يوم القيامة اعمى
تاوله على العمى عن الثواب وعن الحجة وقال في قوله لم حشرتني
اعمى وقد كنت بصيرا معناه انني كنت بصيرا في اعتقادي
وظني من حيث كنت ارجو الهداية الى الثواب وطريق الجنة
والمحصل من هذه الجملة انه لا يجوز ان يراد بالعمى الاول والثاني
جميعا الافة في العين لانه يؤدي الى ان كل من كان مؤوف
البصر في الدنيا من مؤمن وكافر وطايع وعاص يكون كذلك
في الاخرة وهذا باطل وبمثله يبطل ان يراد بلفظة اعمى
الثانية المبالغة بمعنى افضل من فلان ويبطله ايضا ان
العمى الذي هو خلقة لا يتعجب منه بلفظة افعل وانما يقال
ما اشد عماه ولا يجوز ان يراد بالعمى الاول عمى العين والثاني
العمى عن الثواب او الجنة او الحجة لانا نعلم ان من عميت عينه
في الدنيا من يستحق الثواب ويوصل اليه ولا يجوز ان يراد بالاول
والثاني العمى عن المعرفة والايمان الا على طريقة المبالغة والتعجب

على غير ذلك

على غير ذلك لانا نعلم ان الجهال بالله تعالى المعرضين في الدنيا
عن معرفته لا يجوز ان يكونوا في الاخرة كذلك فضلا عن ان
يكونوا اعلى البلوغ من هذه الحال لان المعارف في الاخرة ضرورية
يشترك فيها جميع الناس فلم يبق بعد الذي ابطلناه الا ما دخل
في الاجوبة وعلى الاجوبة الثلثة الاول اذا اريد بالعمى الثانية المبالغة
والتعجب كان في موضعه لان عمى القلب وضلاله يتعجب منه بلفظة
افعل وان لم يجز ذلك في عمى الجارحة ولمن اجاب بالجواب الرابع
ان لا يحمل قوله تعالى فهو في الاخرة اعمى لفظ تعجب بل يجعله
اخبارا عن عماه من غير تعجب وان عطف عليه بقوله تعالى واضل
سبيلا فان قيل ولم انكرتم التعجب من الخلق بلفظة افعل
قلنا قد قال النحويون في ذلك ان الالوان والعيوب لا يتعجب منها
بلفظ التعجب وانما يعدل فيها الى اشد واظهر وما يجري مجراهما
قالوا لان العيوب والالوان قد ضاهت الاسماء وصارت خلقة
كاليد والرجل ونحو ذلك ونحو ذلك فلا يقال ما اسوده واعوره
كما يقال ما ابداه وارجله ويقال ما اشد سواده كما يقال ما اشد يده
ورجله واعتلوا بعلة اخرى قالوا ان الفعل من الالوان والعيوب
على افعل وافعال نحو احمر واعور واحول واحوال والتعجب لا يدخل فيما

[illegible]

[illegible]

زاد على ثلثة احرف من الافعال الاخر انه لا يدخل في انطلق واستخرج ودحرج لزيادته على ثلثة احرف • فان قيل لهم فقد قالوا اعورت عينه وحولت قالوا هذا منقول من افعل وهو في الحكم زائد على ثلثة احرف يدل على ذلك صحة الواو فيه كما صحت في اسود وابيض ولو لا انه منقول منه لاعتلت الواو فقلت عارت وحالت كما قيل خاف وهاب • وحكي عن الفراء في ذلك جوابان احدهما ان افعل في التعجب فيه زيادة على وصف قبله اذا قال القائل افضل واجمل فهو زائد في الوصف من جميل وفاضل فلم يقولوا اما ابيض زيدا لئلا يسقط التزيد ولا يكون قبل ابيض وصف يزيد ابيض عليه يخالف لفظه لفظه كما خالف افضل واجمل فاضلا وجميلا فلما فاتهم في ابيض واحمر علم التزيد ادخلوا عليه ما يبين الزيادة فيه فقالوا ما اظهر حمرة زيد وما اشد سواد عمرو ولان اظهر يزيد على ظاهر واشد يزيد على شديد •

والجواب الاخر

ان التعجب مبني على زيادة تصلح ان يتقدمها نقص وتقصير عن بلوغ التناهي فقالوا ما اعلم زيدا لبدلوا على زيادة علمه لانهم

فى قولهم

في قولهم عالم وعليم ابلغوا في التناهي مبلغ العلم ولم يقولوا ما ابيض زيدا لان البياض لا يأتي منه زيادة بعد نقص فعدلوا عن ذلك الى التعجب باشد وابين وما جرى مجراهما وهذا الجواب ليس بسديد لان الالوان قد تتأتى فيها الزيادة بعد نقص وقد يدخل فيها المفاضلة الا ترى ان ما حله قليل اجزاء البياض يكون ابيض مما لا يحل في البياض مما حله الكثير من الاجزاء والجواب الاول الذي حكيناه عن الفراء اصوب وان كان ما قدمناه عن غيرهم من البصريين هو المعتمد وقد انشد بعضهم معترضا على ما ذكرناه قول الشاعر •

يا ليتني مثلك في البياض ابيض من اخت بني اباض

وانشدوا ايضا قول الشاعر •

اما الملوك فانت اليوم الامهم لوما وابيضهم سربال طباخ

قال السيد المرتضى رضي الله عنه هو لطرفة وانما اراد ذمه بقلة الغزو وطباخه نقي الثوب • فاما البيت الاول فان ابا العباس المبرد حمله على الشذوذ وقال ان الشاذ النادر لا لا يطعن في المعمول عليه والمتفق على صحته ويجوز ان يقال ايضا في البيت الثاني مثل ذلك • وقد قيل في البيت الثاني ان ابيض فيه

ليس هو الذي للمفاضلة وانما هو افعل الذي مؤنثه فعلا كقولهم
ابيض وبيضا وتجري ذلك مجرى قولهم هو احسن القوم وجها
واسرتهم خلقا فكان الشاعر قال ومبيضهم سربال فلما اضافه
انتصب ما بعده لتمام الاسم وهذا احسن من حمله على الشذوذ
ويمكن فيه وجه اخر وهو ان ابيض في البيت وان كان
في الظاهر عبارة عن اللون فهو في المعنى كناية عن اللوم والبخل
فحمل لفظ التعجب على المعنى دون اللفظ ولو انه اراد بابيضهم
بياض الثوب ونقاه على الحقيقة لما جاز ان يتعجب بلفظة
افعل فالذي جوز تعجبه بهذه اللفظة ما ذكرناه ❊ فاما
قول المتنبي ❊

ابعد بعدت بياضا لا بياض له … لانت اسود في عيني من الظلم

فقد قيل فيه ان قوله لانت اسود في عيني كلام تام ❊ ثم
قال من الظلم اي من جملة الظلم كما يقال حر من احرار ولئيم من
لئام اي من جملتهم وقال الشاعر ❊

وابيض من ماء الحديد كانه … شهاب بدا والليل داج عساكره

كانه قال وابيض كائن من ماء الحديد ❊ وقوله من ماء الحديد
وصف لابيض وليس بمتصل به كاتصال من بافضل في قولك

هو افضل

هو افضل من زيد ولفظه في بيت المتنبي مرفوعة الموضع لانها
وصف لاسود واذا اريد المفاضلة والتعجب كانت منصوبة
المعنى باسود كما تقول زيد خير منك فمنك في موضع
نصب بخير كانه قال تدخلك بخيرك اي فضلك
في الخير وهذا التاويل المذكور في بيت المتنبي يمكن
ان يقال في قول الشاعر ❊ ابيض من اخت بني اباض
ويحمل على انه اراد من جملتها ومن قومها ولم يرد التعجب وتاوله على
هذا الوجه اولى من حمله على الشذوذ ❊ واما قول المتنبي

ابعد بعدت بياضا لا بياض له

فالمعنى الظاهر للناس فيه انه اراد لا ضيا له ولا نور ولا اشراق
من حيث كان حلوله مؤذنا بتقضي الاجل وهذا
لعمري معنى ظاهر الا انه يمكن فيه معنى اخر وهو ان يريد انك
بياض لا لون بعده لان البياض اخر الوان الشعر فجعل قوله
لا بياض له بمنزلة قوله لا لون بعده وانما سوغ ذلك له ان
البياض هو الذي بعد السواد فلما نفى ان يكون للشيب بياض
كان نفيا لان يكون بعده لون وقد اختلف القرا في فتح
الميم وكسرها من قوله تعالى ومن كان في هذه الدنيا اعمى فهو

في الآخرة أعمى. ففتح ابن كثير ونافع وابن عامر بفتح الميمين معا وقرأ
عاصم في رواية أبي بكر وحمزة والكسائي بكسر الميم فيهما جميعا
وفي رواية حفص عن عاصم لا يكسرهما وكسر أبو عمرو الأولى
وفتح الأخيرة ولكلٍّ وجه. أما من ترك إمالة الجميع
فإن قوله حسن لأن أكثر العرب لا يميلون هذه الفتحة
ومن أمال الجميع فوجه قوله أنه ينحو بالألف نحو الياء
ليعلم أنها تنقلب إلى الياء. وأما قراءة أبي عمرو بإمالة
الأولى وفتح الثانية فوجه قوله أنه جعل الثانية أفعل من كذا
مثل أفضل من فلان وإذا جعلها كذلك لم تقع الألف في آخر الكلمة
لأن آخرها إنما هو من كذا وإنما تحسن الإمالة في الأواخر وقد حذف
من أفعل الذي هو للتفضيل الجار والمجرور جميعا وهما مرادان
في المعنى مع الحذف وذلك نحو قوله تعالى فإنه يعلم السر وأخفى
المعنى وأخفى من السر فكذلك قوله فهو في الآخرة
أعمى أي أعمى منه في الدنيا وأعمى من غيره ويقوي هذه
الطريقة ما عطف عليه من قوله تعالى وأضل سبيلا فكما
أن هذا لا يكون إلا على أفعل من كذا كذلك المعطوف عليه

تأويل خبر

روى ابو هريرة

روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال تقيء الأرض أفلاذ
كبدها مثل الأسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول في
مثل هذا قتلت ويجيء القاطع الرحم فيقول في مثل هذا قطعت
رحمي ويجيء السارق فيقول في مثل هذا قطعت يدي ثم يتركونه
فلا يأخذون منه شيئا. معنى قوله تقيء أي تخرج ما فيها من
الذهب والفضة وذلك من علامات قرب الساعة. وقوله تقيء
تشبيه واستعارة من حيث كان إخراجا وإظهارا.
وكذلك تسميته ما في الأرض من الكنوز كبدا
تشبيها بالكبد التي في بطن البعير وغيره وللعرب
في هذا مذهب معروف قال مرة بن محكان السعدي يصف
قدرا نصبها للأضياف.

لها أزيز يبل اللحم أرمله عن الطعام إذا ما استحمشت غضبا
ترمي الصلاة بنبل غير طائشة وقعا إذا أنتت من تحتها لهبا

توصفها بالغضب تشبيها واستعارة فأما الأزيز فهو الغليان
والعرب تقول لجوفه أزيز مثل أزيز المرجل والأزمل الصوت
واستحمشت أي غضبت يقال أحمشته أي أغضبته وقال
النابغة الجعدي في معنى الاستعارة.

تأكلنا أناس هلكوا شرب الدهر عليهم وأكل
فوصف الدهر بالأكل والشرب تشبيها واستعارة وقال قوم معنى
شرب أهل الدهر بعدهم وأكلوا ه واختلف أهل اللغة في الأفلاذ
فقال يعقوب بن السكيت الفلذ لا يكون إلا للبعير وهو
قطعة من كبده ولا يقال فلذ الشاة ولا فلذ البقرة ويقال
أعطني فلذا من الكبد وفلذة قال أعشى باهلة
تكفيه حزة فلذ إن ألم بها من الشواء ويروي شربه الغمر
والغمر القدح الصغير ه وقال يعقوب لا يقال أعطني حزة
من سنام ولا من لحم وإنما الحزة في الكبد خاصة
فإذا أرادوا ذلك من السنام واللحم قالوا أعطني جذبة من
لحم وهي القطعة الصغيرة وفلقة من سنام وقال
الطوسي عن أبي عبيد عن الأصمعي يقال أعطني جذبة
من لحم وحزة من لحم إذا كانت مقطوعة طولا فإذا
كانت مجتمعة قلت أعطني بضعة من لحم وذرة من
لحم ومثل هذا الحديث قوله تعالى وأخرجت الأرض
أثقالها معناه وأخرجت ما فيها من الكنوز وقال
قوم يعني به الموتى وأنها أخرجت موتاها فسمى تعالى الموتى

الجذبة بالتحريك القطعة من اللحم على الطول
والجذبة والحزة والجذوة القطعة

ثقلا

ثقلا لأنه شبهها بالحمل الذي يكون في البطن لأن الحمل يسمى ثقلا قال الله
تعالى فلما أثقلت ه والعرب تقول إن للسيد الشجاع ثقلا على الأرض
فإذا مات سقط عنها بموته ثقل قالت الخنساء ترثي أخاها صخرا ه
أبعد ابن عمرو من آل الشريد حلت به الأرض أثقالها
معناه أنه لما مات حل عنها بموته ثقل لسؤدده وشرفه
وقال قوم معنى حلت زينت موتاها به وهو مأخوذ من
الحلية وقال المتمرد اليربوعي يرثي أخاه ه
وحلت به أثقالها الأرض وانتهى لمثواه منها وهو عف شمائله
وروى هشام بن المنذر قال قال زهير بن أبي سلمى المزني
بيتا ثم أكدى فمر به النابغة الذبياني فقال له يا أبا أمامة أجز
قال وما ذاك قال
تراك الأرض إما مت خفا وتحيا ما حييت بها ثقيلا
نزلت بمستقر العز منها فماذا فأكدى والله النابغة
وأقبل كعب بن زهير وهو غلام فقال له أبوه أجز يا بني فقال وما ذا
فأنشده البيت الأول ومن الثاني قوله ه نزلت بمستقر العز منها
فقال كعب ه تمنع جانبيها أن يزولا فقال زهير أنت
والله ابني ه وإنما خص الأكباد من بين ما تشتمل عليه البطن لأنه من

اطايب الجزور والعرب تقول اطايب الجزور السنام والملحا والكبد قال سيدنا الشريف المرتضى رضي الله عنه واني لاستحسن قول الخنساء وقد قيل لها ما مدحت اخاك حتى هجوت اباك فقالت

جارى اباه فاقبلا وهما يتعاوران ملاءة الحضر
حتى اذا نزت القلوب وقد لزت هناك العذر بالعذر
وعلا هتاف الناس ايهما قال المجيب هناك لا ادري
برزت صحيفة وجه والده ومضى على غلوائه يجري
اولى فاولى ان يساويه لولا جلال السن والكبر
وهما كانهما وقد برزا صقران قد حطا الى وكر

ويقال انه قيل لابي عبيدة ليس هذه الابيات في مجموع شعر الخنساء فقال ابو عبيدة العامة اسقط ان يجاد عليها بمثل ذلك ولعمري انها قد بلغت في مدح اخيها من غير ازراء على ابيها النهاية لانها جعلت تقدم ابيه له عن قدرته على المساواة وعن غير تقصير منه وانه افرج له عن السبق معرفة له بحقه وتسليما لكبره وسنه وكان الخنساء نظرت في هذا المعنى الى قول زهير يصف حمار وحش

فتحثها

فتنحى بها الاماعز وهي تهوي هوي الدلو اسلمها الرشاء
فليس لحاقه كلحاق الف ولا كنجائها منه نجاء
تقدمه اذا اختلفت عليها تمام السن منه والذكاء

اي تنحى الحمار بالاتن الاماعز اي علا الاماعز بهن والامعز الارض الصلبة وكذلك المعزاء والهوي السقوط الى اسفل ولذلك الهوي في السير ويقال هوي من الليل اي هزيع وقيل الهوي بالضم الارتفاع ويشبه ان يكون الكميت اخذ من الخنساء قوله في مخلد بن يزيد بن المهلب

ما ان اتى كابيك اذ ذاك شاؤه احد ومثلك طالبا لم يلحق
تتجاذبان له فضيلة سنه والموت بعد مصليا لم يسبق
ان تنزعا وله فضيلة سبقه فبمثل شأو ابيك لم تتعلق
ولئن لحقت به على ما قد مضى من بعد غايته فاحج واخلق

ويشبه هذا المعنى قول المؤمل بن اميل الكوفي الحارثي يمدح المهدي في حياة المنصور

لئن فت الملوك وقد توافوا اليك من السهولة والوعور
لقد فات الملوك ابوك حتى بقوا من بين كاب او حسير
وجئت وراءه تجري حثيثا وما بك حين تجري من فتور

فقال الناس ما مد بين الاثنين منزلة الحليق من الجدير
فان سبق الكبير فاهل سبق له فضل الكبير على الصغير
وان بلغ الصغير مدى كبير فقد خلق الصغير من الكبير

ومن هذا المعنى قول الشاعر
جياد جرت في حلبة فتفاضلت على قدر الانساب والعرق واحد

ومما له بهذا المعنى بعض الشبه وان لم يذكر فيه السن وتفضيل الكبير قول زهير
هو الجواد فان يلحق بشأوهما على تكاليفه فمثله لحقا
او يسبقاه على ما كان من مهل فمثل ما قدما من صالح سبقا
فضل الجواد على الخيل البطاء فما يعطى بذلك ممنونا ولا نزقا

وروي انه عرضت على جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي جارية شاعرة فاراد ان يبلوها فقال لها قولي في معنى بيتي زهير اللذين ذكرناهما فقالت
بلغت او كدت يحيى او حقيقته فلئما خالدا في شأو مستبق
لكن مضى ولا يحيى فانت له تال تعللت دون الركض بالعنق

ومن حسن ما قيل في المساواة والمقاربة وهو داخل في هذا المعنى ومناسب له قول عباد بن شبل

اذا اخترت من قوم جيادا خيارهم فكل بني عبد المدان جياد
جروا بعنان واحد فضل بينهم فان قيل قد وازى العذار عذار

وقول الكميت
مصل ابوه له سابق بان قيل فان العذار العذار

ومثله قول العتابي وهو بليغ جدا
كما انقاد فرجرد في اعنتها سبقا باذانها مرا وبالعذر

واول من سبق الى هذا المعنى زهير في قوله يصف مطاردة البازي القطاة ومقاربته لها
دون السماء وفوق الارض قدرهما عند الذنابى فلا فوت ولا درك

وقد لحظ ابو نواس هذا المعنى في قوله يمدح الفضل بن الربيع ويذكر مقاربته لابيه في الفضل والسودد
ثم جرى الفضل فانثنى قدما دون مداه من غير ان سبق
فقيل ما ساقهما يراد به الغاية والفضل سابق العنق

وبيان ذلك قول البحتري في ابن ابي سعيد الثغري
جاء الجد ابي سعيد انه ترك السماك كانه لم يشرف
قاسمته اخلاقه وهي الردى للمعتدي وهي الندى للمعتفي
واذا جرى من غاية وجريت من اخرى التقى شاواكما في المنصف

ويشبهه ايضا قوله

واذا رايت شمائل ابني صاعد ... ادت اليك شمائل ابني مخلد

كالفرقدين اذا تامل ناظر ... لم يعل موضع فرقد عن فرقد

فاما قول الخنساء. يتعاوران ملاءة الحضر. تعني بالملاءة الغبار فان عدي بن الرقاع كانه نظر اليها في قوله يصف حمارا واتانا

يتعاوران من الغبار ملاءة ... بيضاء محدثة هما نسجاها

تطوى اذا وطئا مكانا جاسيا ... واذا السنابك اسهلت نشراها

وهذا المعنى وان كان معنى الخنساء بعينه فقد زاد في استيفائه عليها زيادة ظاهرة صار من اجلها بالمعنى احق منها وقد انشد لهذا المعنى رجل من بني عقيل فقال من قصيدة

يثيران من نسج الغبار عليهما ... قميصين اسمالا ويرتديان

مجلس آخر

تاويل آية. ان سال سائل عن قوله تعالى وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون فقال كيف وصف الدم بانه كذب والكذب من صفات الاقوال لا من صفات الاجسام واي معنى لوصفه الصبر بانه

جميل

جميل ومعلوم ان صبر يعقوب عليه السلام على فقد ابنه لا يكون الا جميلا ولم ان ينفع الصبر وما المقتضي لرفعه.

فالجواب

يقال له لما كذب فمعناه انه مكذوب فيه وعليه مثل قولهم هذا ماء سكب وشراب صب يريدون مصبوبا ومسكوبا ومثله ماء غور ورجل صوم وامراة نوح قال الشاعر

تظل جياده نوحا عليهم ... مقلدة اعنتها صفونا

اراد نائحة عليهم ومثله ما لفلان معقول يريدون ما له عقل وما له على هذا الامر مجلود يريدون جلدا قال الشاعر

حتى اذا لم يتركوا لعظامه ... لحما ولا لفؤاده معقولا

وانشد ابو العباس ثعلب

قد والذي سمك السماء بقدرة ... بلغ العزاء وادرك المجلود

وقال الفراء ويجوز في النحو بدم كذبا بالنصب على المصدر لان جاءوا فيه معنى كذبوا كذبا كما قال تعالى والعاديات ضبحا فنصب ضبحا على المصدر لان العاديات بمعنى الضابحات وانما كان دما مكذوبا فيه لان اخوة يوسف ذبحوا سخلة ولطخوا قميص يوسف عليه السلام بدمها وجاءوا اباهم بالقميص وادعوا اكل الذئب له فقال لهم يعقوب عليه

السلم يا بني لقد كان هذا الذيب رفيقاً حين اكل ابني ولم يخرق قميصه فقالوا بل قتله اللصوص وقال الكيف قتلوه وتركوا قميصه وثم الى قميصه احوج منهم الى قتله . وقد قيل انه كان في قميص يوسف ثلث ايات حين قد قميصه من دبر وحين القي على وجه ابيه فارتد بصيراً وحين جاوا عليه بدم كذب . فنبه ابوه على ان الذيب لو اكله لخرق قميصه واما وصف الصبر بانه جميل فلان الصبر قد يكون جميلاً وغير جميل وانما يكون جميلاً اذا قصد به وجه الله تعالى وفعل للوجه الذي وجب فلما كان في هذا الموضع واقعاً على الوجه المحمود صح وصفه بذلك . وقد قيل انه اراد صبراً لا شكوى فيه ولا جزع ولو لم يصفه بذلك لظن مصاحبة الشكوى او الجزع له . فاما ارتفاع قوله فصبر جميل فيجوز ان يكون صبر مبتدأ وخبره محذوف ويحتمل ان يكون صبر مبتدأ وجميل خبره . فقد قيل ان المعنى فشاني صبر جميل والذي اعتقده صبر جميل وقال قطرب معناه فصبري صبر جميل وانشدوا

شكا الي جملي طول السرى ... يا جملي ليس الي المشتكى
الدهر ان كلفني ما ترى ... صبر جميل فكلانا مبتلى

[illegible]

معناه فليكن

معناه فليكن منك صبر جميل . وقد روي ان في قراءة ابي فصبراً جميلاً بالنصب وذلك يكون على الاغراء والمعنى فاصبري يا نفس صبراً جميلاً قال ذو الرمة .

الا انما بي فصبر ابلية وقد يبتلى الحر الكريم فيصبر

وقال اخر .

ابى الله ان يبقى لحي بشاشة فصبراً على ما شاء الله لي صبرا

قال السيد المرتضى رضي الله عنه وقد قرى بدم كذب بالدال غير المعجمة وهو الدم المتغير .

تاويل خبر

في الحديث ان قيس بن عاصم قال اتيت رسول الله صلى الله عليه واله فقال هذا سيد اهل الوبر فقلت يا رسول الله ما المال الذي ليس فيه علي تبعة من طالب ولا ضيف فقال عليه السلام نعم المال اربعون والكثير ستون وويل لاصحاب المئين الا من اعطى الكريمة ومنح الغزيرة ونحر السمينة فاكل واطعم القانع والمعتر . وفي رواية اخرى الا من اعطى رسلها واطرق فحلها وافقر ظهرها ومنح غزيرتها ونحر سمينها فاكل واطعم القانع والمعتر فقلت يا رسول الله ما اكرم هذه الاخلاق

ولحسنها أنه لا يحل بالوادي الذي فيه إبلي من كثرتها فقال كيف
تصنع في العطية فقلت أعطي البكر وأعطي الناب قال فكيف
تصنع في المنيحة قلت إني لأمنح المائة قال فكيف تعطي الطروقة قلت
يغدو الناس بحبالهم فلا يوزع رجل عن جمل يختطمه فيمسكه
ما بدا له حتى يكون هو الذي يرده وفي الرواية الأخرى قال
فكيف تصنع في الإطراق قلت يغدو الناس فمن شاء أن يأخذ
برأس بعير ذهب به قال فكيف تصنع في الإفقار فقلت
إني لأفقر الناب المدبرة والضرع الصغيرة قال فكيف تصنع
في المنيحة قال إني لأمنح في السنة المائة قال فمالك أحب
إليك أم مال مواليك قلت لا بل مالي قال فإن مالك ما
أكلت فأفنيت أو أعطيت فأمضيت وفي الرواية الأخرى
أو لبست فأبليت وسائر لمواليك قلت لا جرم والله لئن
رجعت إليها لأقلن عددها فلما حضره الموت جمع بنيه
فقال يا بني خذوا عني فإنكم لن تأخذوا عن أحد هو أنصح لكم مني
ولا تنوحوا علي فإن رسول الله صلى الله عليه وآله لم ينح عليه وقد سمعته
ينهى عن النياحة وكفنوني في ثيابي التي كنت أصلي فيها وسودوا
أكابركم فإنكم إذا سودتم أكابركم لم يزل لأبيكم فيكم خليفة وإذا

سودتم

سودتم أصاغركم هان أكابركم على الناس وزهدوا فيكم وأصلحوا
عيشكم فإن فيه غنى عن طلب إلى الناس وإياكم والمسألة فإنها آخر كسب
المرء وإذا دفنتموني فأخفوا قبري عن بكر بن وائل فقد كانت بيننا خماشات
في الجاهلية فلا آمن سفيهاً منهم أن يأتي أمراً يدخل عليكم عيباً في دينكم
أما قوله عليه السلام الكثر ثبور فمعناه الكثير تقول العرب نسأل
الله الكثر ونعوذ به من القل أي نسأله الكثير ونعوذ به من القليل
قال الشاعر

فإن الكثر أعياني قديماً ولم أفقر لدن أني غلام

أي لم أكن قط مكثراً ولا مفتقراً يصف حاله بالتوسط
والإقتار بالعقل وقال آخر

وقد يقصر القل الفتى دون همه وقد كان لولا القل طلاع أنجد

والكريمة يعني بها كرائم ماله وامنح العزيزة أي أعطها من يحلبها
ويردها ومن ذلك الحديث العارية مؤداة والمنحة مردودة والدين مقضي
والزعيم غارم فالمنحة الناقة أو الشاة يدفعها الرجل إلى من يحلبها
وينتفع بلبنها ثم يردها عليه والزعيم الكفيل ويقال له أيضاً
القبيل والصبير والحميل ومنه قوله تعالى وأنا به زعيم وقال الشاعر

فلست بآمر فيها بسلم ولكني على نفسي زعيم

وقال الآخر

قلت لقي لك رهن بالرضا فانعمي يا هند قالت قد وجب

معناه الفعل ويروى فاقبلي من الفسل الذي هو الكفيل أيضًا ۞ وقال
الفراء القانع هو الذي يأتيك فيسألك فإن أعطيته قبل والمعتر الذي يعتريك
عند الذبيحة ويمسك عن السؤال كأنه يعترض بالمسألة ولا يصرح بها
يقال قنع الرجل قناعة إذا رضي وقنع قنوعًا إذا سأل ۞ فأما قوله لا جرم فقال
قوم معنى لا جرم كسب ۞ وقالوا في معنى قوله تعالى لا جرم أن لهم
النار إن لا رد على الكفار ثم ابتدأ فقال جرم أن لهم النار بمعنى
كسب قولهم أن لهم النار قال الشاعر

نصبنا رأسه في رأس جذع بما جرمت يداه وما اعتدينا

أي بما كسبت ۞ وقال آخرون معنى جرم حق وتأولوا الآية بمعنى حقق
قولهم أن لهم النار وأنشدوا

ولقد طعنت أبا عيينة طعنة جرمت فزارة بعدها أن يغضبوا

أراد حققت فزارة ۞ وروى الفراء فزارة بالنصب على معنى
كسبت الطعنة فزارة الغضب فقال الفراء لا جرم في الأصل مثل
لا بد ولا محالة ثم استعملته العرب في معنى حقًا وجاءت فيه
بجواب الأيمان فقالوا لا جرم لأقومن كما قالوا والله لأقومن

كما قالوا والله لأقومن ۞ وفيها لغات يقال لا جرم ولا جُرم بضم
الجيم وتسكين الراء ولا جر بحذف الميم ولا ذا جرم قال الشاعر

إن كلابًا والدي لا ذا جرم لأهدرن اليوم هدرًا في النعم
هدر المعنى ذي الشقاشق اللهم

المعنى الذي يدخل العنة من الإبل وفي الحظيرة وذلك أن الفحل
اللئيم إذا هاج حبس حتى لا يضرب في النوق الكرام ومنه قول
الوليد بن عقبة ۞

قطعت الدهر كالسدم المعنى تهدر في دمشق فلا تريم

وأصله المعنن فقلبت إحدى النونات ياء ۞ والناب الناقة الهرمة
وجمعها نيب ومثلها الشارف قال الشاعر ۞

لا أفتأ الدهر أبكيهم بأربعة ما اجترت النيب أو حنت إلى بلد

ويقال للبعير إذا كبر أيضًا عود وللأنثى عودة قال الشاعر

عود على عود من القدم الأول يموت بالترك ويحيا بالعمل

وهذا من أبيات المعاني ومعناه بعير عود على طريق متقادم
يعني الطريق بأنه عود لتقادمه تشبيهًا بالبعير وقوله ۞

يموت بالترك ويحيا بالعمل

أراد أنه إذا سلك وطرق ظهرت أعلامه ووضحت طرقه فاهتدي

تاركه لنكوله ولم يفصل عن قصده فكان هذا كالجبان له واذا لم يسلك
طريقا ثانيا وانمحت معالمه فلم يهتد فيه راكب لقصد وكان ذلك
كالموت له ، فاما الحماتات فهي الجنابات والجراحات قال ذو الرمة
يذكر الحمائد والاتن ،

ترباع لها منذ اورق العود عنده خماشات ذحل ما يراد امتثالها

يريد بقوله ما يراد امتثالها اي ما يراد اقتصاصها يقال
امثلني من هذا الرجل واقدني واقصني بمعنى واحد ، فاما قوله فلا
يورع رجل اي لا يحبس ولا يمنع يقال ورعت الرجل اورعه ورعا اذا منعته
وكففته والورع هو الرجل المتحرج المانع نفسه مما تدعوه
اليه يقال ورع ورعة قال لبيد ،

لا تمنع الفتيان من حسن الرعه اكل يوم هامتي مقزعه

ويمكن ان يكون المعنى ان هامته المقزعة التي قزعها اعداؤه
تركت الفتيان من تسليه على حسن الرعة والتحرج وهذا الحديث
خارج مخرج الذم ، ويقال ما ورع ان فعل كذا وكذا اي ما
كذب ان فعل ذلك اي ما لبث وحمل فلان فما كذب ان شد اي صدق
الحملة ، فاما الورع بالفتح فهو الجبان ، واما الطروقة فهي التي
قد جاز لها ان تطرق وهي الحقة ، وقوله في الرواية الاخرى

الا من اعطى

الا من اعطى من رسلها فالرسل اللبن والافقار هو ان يركبها
الناس ويحملهم على ظهورها ماخوذ من فقار الظهر والاطراق
للفحول هو ان يبذلها لمن يضربها على اناث ابله ، قال الرضي
رضي الله عنه ، وذكر الاطراق في هذه الرواية احب الي من
الطروقة لانه قد تقدم من قوله انه يعطي الناب والبكر
والضرع والمائة فلا معنى لاعادة ذكر الطروقة وقوله في
الجواب يغدو الناس ولا يورع رجل عن جمل يخطمه فيمسكه
ما بدا له ثم يرده لا يحتمل غير الاطراق ولا يليق بمعنى
الطروقة ، وكان قيس بن عاصم شريفا في قومه حليما
ويكنى ابا علي وكان الاحنف بن قيس يقول انما تعلمت الحلم
من قيس بن عاصم اتي بقاتل ابنه فقال ارعبتم الفتى واقبل عليه
فقال يا بني لقد نقصت عددك واوهنت ركنك وفتت
عضدك واشمت عدوك واسات بقومك خلوا سبيله وما حل
حبوته ولا تغير وجهه ، وقال ابن الاعرابي قيل لقيس بما
سدت قال ببذل الندى وكف الاذى ونصر المولى

وذكر المدائني انه كان قيس بن عاصم يقول لبنيه اياكم
والبغي فما بغى قوم قط الا ذلوا وذلوا ٥ وكان الرجل من بنيه
يظلمه بعض قومه فينهى اخوته ان ينصروه ٥ وقيس بن
عاصم هو الذي حفز الحوفزان بن شريك الشيباني بطعنة
في يوم جدود فسمي الحارث الحوفزان وقال سوار بن
حيان المنقري ٥

ونحن حفزنا الحوفزان بطعنة سقته نجيعا من دم الجوف اشكلا
وحمران قسرا انزلته رماحنا فعالج غلا في ذراعيه مثقلا

وفي يوم جدود يقول قيس بن عاصم ٥

جزى الله يربوعا باسوأ فعلها اذا ذكرت في النائبات امورها
ويوم جدود قد فضحتم ذماركم وسالمتم والخيل تدمى نحورها
ستحطم سعد والرباب انوفكم كما حز في انف القضيب جريرها

القضيب الناقة المقتضبة الصعبة ٥ وفي قيس يقول عبدة
ابن الطبيب ٥

عليك سلام الله قيس بن عاصم ورحمته ما شاء ان يترحما

سلام امرئ

سلام امرئ جللته منك نعمة اذا زار عن شحط بلادك سلما
فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدما

قال سيدنا الشريف المرتضى رحمة الله عليه ذاكرني بعض الاصدقاء
بقول ابي دهبل الجمحي وهو يعني ناقته ٥

وابرزتها من بطن مكة بعدما اصات المنادي بالصلاة فاعتما

وسالني اجازة هذا البيت بابيات تنضم اليه واجعل الكناية
فيه كانها كناية عن امراة لا عن ناقة فقلت في الحال ٥

فطيبت رياها المقام وضوأت باشراقها بين الحطيم وزمزما
وبانت ان لقيت وجها بحية تحيي وجوها بالمدينة سهما
تجافين عن مس الدهان وطالما عصمن عن الحناء كفا ومعصما
وكم من جليد لا يخامره الهوى شنن عليه الوجد حتى تتيما
اهان لهن النفس وهي كريمة والقى اليهن الحديث المكتما
تسفهت لما ان مررت بدارها وعوجلت دون الحلم ان تتحلما
فعجت تقري دارسا متنكرا وتسأل مصروفا عن النطق اعجما
ويوم وقفنا للوداع وكلنا يعد مطيع الشوق من كان احزما
نصرت بقلب لا يعنف في الهوى وعين متى استمطرتها قطرت دما

وكان ابو دهبل من شعراء قريش وممن جمع الى الطبع التجويد

وأمّه وهب بن زمعة بن أسد بن أحيحة بن خلف بن وهب بن
جمح وأمّه تيم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن
غالب وكان اسم جمح تيما واسم اخيه زيدا وهما ابنا عمرو بن
هصيص فاستبقا الى غاية فمضى تيم عن الغاية فقيل جمح تيم
فسمي جمحًا ووقف عليها زيد فقيل سهم زيد فسمي سهما
فأما كنيته فهي مشتقة من الذهلة وهي المشي الثقيل
يقال ذهل الرجل ذهبلة اذا مشى مشيا ثقيلا
أخبرنا ابو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى المرزباني
قال حدثني محمد بن ابراهيم قال حدثنا احمد بن يحيى النحوي قال
حدثنا عبد الله بن شبيب قال قيل لابي عمرو بن العلاء ما يعجبك
من شعر ابي دهبل الجمحي فقال قوله
يا عمرو جمّ فراقكم عمرا وعزمت منا النأي والهجرا
يا عمرو شيخك وهو ذو شرف يرعى الذمام ويكرم الصهرا
والله ما اجببت حبكم لا ثيبا خلقت ولا بكرا
ان كان هذا السحر منك فلا ترعي علي وجددي السحرا
اجدي بني اود كلفت بها حملت بلا ترة لنا وترا
وترى لها دلا اذا نطقت تركت بنات فؤاده صعرا
كتساقط

كتساقط الرطب الجني من الافنان لا نثرا ولا نزرا
ومقالة فيكم عركت لها اجنبي اريد بها لك العذرا
ومزيد سيركم عدلت به عما يحاول معبد لا وعرا
قالت تقيم لنا لنخبره يوما فقيم عندها شهرا
ما ان اقيم لحاجة عرضت الا ابتلى فيكم عذرا
واذا هممت برحلة جزعت واذا اقمنا لم تفد نفرا
اني لاحمي ما تضمنت به وارى لحسن حديثكم شكرا
وروى ابو عمرو الشيباني لابي دهبل
يا ليت من يمنع المعروف يمنعه حتى يذوق رجال غب ما صنعوا
وليت رزق رجال مثل نائلهم قوت كقوت ووسع كالذي وسعوا
ويروى ضيقا لضيق ووسعا كالذي وسعوا
وليت للناس حظا في وجوههم تبين اخلاقهم فيه اذا اجتمعوا
وليت ذا الفحش لاقى فاحشا ابدا ووافق الحلم اهل الحلم فاتدعوا
ولابي دهبل في قتل الحسين بن علي صلوات الله عليهما
تبيت النشاوى من امية نوما وبالطف قتلى ما ينام حميمها
وما ضيع الاسلام الا عصابة تأمر نوكاها ودام نعيمها
وصارت قناة الدين في كف ظالم اذا مال منها جانب لا يقيمها

[illegible] ٥٨

واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابرهيم قال حدثنا احمد بن يحيى قال انشدني ابو عمرو الشيباني لابي دهبل قال ويقال انها للمجنون

الا ترك ليلى ليس بيني وبينها سوى ليلة اني اذا لصبور

هبوني امرأ منكم اضل بعيره له ذمة ان الذمام كبير

وللصاحب المتروك اعظم حرمة على صاحب من ان يضل بعير

عفا الله عن ليلى الغداة فانها اذا وليت حكما علي تجور

وروى ابو عمرو الشيباني لابي دهبل وقد رواه ابو تمام في الحماسة

اقول والركب قد مالت عمائمهم وقد سقى القوم كأس النعسة السهر

يا ليت اني باثوابي وراحلتي عبد لاهلك هذا الشهر مؤتجر

ان كان ذا قدرا يعطيك نافلة منا ويحرمنا ما انصف القدر

واخبرنا المرزباني قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي قال ويشبه قول ابي دهبل

ولو تركونا لاهدى الله امرهم فلم يلحموا قولا من الشر ينسج

لاوشك صرف الدهر يفرق بيننا وهل يستقيم الدهر والدهر اعوج

والدهر اعوج

قول العجاج لرؤبة ابنه يشكوه لما استطال عمره وتمنى موته

لما رأى ان عشت اطرافي استعجل الدهر وفيه كافي

يحتم

تخترم الالف عن الالاف

قال ومثله

عدمتك ابن عم لا يزال كانه وان لم اتره منطو لي على وتر

يعين علي الدهر والدهر مكتف وان استعنه لا يعني على الدهر

قال السيد المرتضى قدس الله روحه ومثل الجميع قول ابي احمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

الى كم يلوذ العتب في كل ساعة وكم لا تملين القطيعة والهجرا

رويدك ان الدهر فيه كفاية لتفريق ذات البين فانتظري الدهرا

مجلس آخر

تأويل آية ان سأل سائل فقال ما وجه التكرار في سورة الكافرين وما الذي حسن اعادة النفي لكونه عابدا ما يعبدون وكونهم عابدين ما يعبد وذكر ذلك مرة واحدة يكفي وما وجه التكرار ايضا في سورة الرحمن لقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان

الجواب

يقال له قد ذكر ابن قتيبة في معنى التكرار في سورة الكافرين

وجها وهو أن القرآن لم ينزل دفعة واحدة وإنما كان نزوله
شيئا بعد شيء والأمر في ذلك ظاهر وكان المشركون أتوا النبي صلى
الله عليه وسلم فقالوا له استلم بعض أصنامنا حتى نؤمن بك ونصدق
بنبوتك فأمره الله تعالى بأن يقول لهم لا أعبد ما تعبدون ولا
أنتم عابدون ما أعبد ۝ ثم عبر وامتدة من الزمان وجاؤه
فقالوا له اعبد بعض آلهتنا واستلم بعض أصنامنا يوما أو
شهرا أو حولا لنفعل مثل ذلك بإلهك فأمره الله تعالى بأن
يقول لهم ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد أي إن
كنتم لا تعبدون إلهي إلا بهذا الشرط فإنكم لا تعبدونه
أبدا ۝ وقد طعن بعض الناس على هذا التأويل بأن قال إنه
يقتضي شرطا وحذفا لا يدل عليه ظاهر الكلام وهو ما
شرطه في قوله تعالى ولا أنتم عابدون ما أعبد قال وإذا كان
ما نفاه عن نفسه من عبادة ما يعبدون مطلقا غير
مشروط فكذلك ما عطفه عليه وهذا الطعن غير صحيح
لأنه لا يمتنع إثبات شرط بدليل وإن لم يكن في ظاهر الكلام
ولا يمتنع عطف المشروط على المطلق بحسب قيام الدلالة وعن
هذا السؤال ثلثة أجوبة كل واحد منها أوضح مما ذكره

ابن قتيبة

ابن قتيبة ۝ **أولها** ما حكي عن أبي العباس ثعلب أنه قال
إنما حسن التكرار لأن تحت كل لفظة معنى ليس هو تحت
الأخرى وتلخيص الكلام قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون
الساعة وفي هذه الحال ولا أنتم عابدون ما أعبد في هذه الحال أيضا
فاختص الفعلان منه ومنهم بالحال وقال من بعد ولا أنا عابد ما عبدتم
في المستقبل ولا أنتم عابدون ما أعبد فيما تستقبلون فاختلف
المعاني وحسن التكرار لاختلافها ويجب أن تكون السورة
على هذا الجواب مختصة بمن المعلوم أنه لا يؤمن ۝ وقد ذكر مقاتل
وغيره أنها نزلت في أبي جهل والمستهزئين ۝ ولم يؤمن من الذين
نزلت فيهم أحد والمستهزئون هم العاص بن وائل السهمي والوليد
ابن المغيرة والأسود بن المطلب والأسود بن عبد يغوث وعدي بن قيس

والجواب الثاني

وهو جواب الفراء أن يكون التكرار للتأكيد كقول المجيب مؤكدا
بلى بلى والممتنع مؤكدا لا لا ومثله قوله تعالى كلا سوف تعلمون ۝
كلا سوف تعلمون وأنشد الفراء ۝
وكائن وكم عندي لهم من صنيعة أيادي ثنوها علي وأوجبوا

وانشد ايضا: كم نعمة كانت لكم كم كم وكم

وقال اخر:

نعق الغراب ببين ليلى غدوة كم كم وكم بفراق ليلى ينعق

وقال الاخر:

اردت لنفسي بعض الامور فاولى لنفسي اولى لها

اولى له كلمة تحذير قال الاصمعي معناه قربه ما يهلكه والولي القرب وقد وليه يليه وقال ثعلب اصح ما ذكر في اولى قول الاصمعي وقد قيل فيه غير ذلك كان محمد بن الحنفية رضي الله عنه اذا مات جار له يقول اولى لي كدت اكون السواد المخترم

والجواب الثالث

ينوا غرضها اني لا اعبد الاصنام التي تعبدونها ولا انتم عابدون ما اعبد اي انتم غير عابدين الله تعالى الذي انا عابده اذ اشركتم به واتخذتم الاصنام وغيرها معبودين من دونه او معه وانما يكون عابدا له من اخلص العبادة له دون غيره وافرده بها وقوله ولا انا عابد ما عبدتم اي لست اعبد عبادتكم وما في قوله ما عبدتم في موضع المصدر كما قال تعالى والارض وما طحاها

ونفس

ونفس وما سويها اي وطحيه اياها وتسويته لها وقوله تعالى ذلك بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون يريد بفرحكم ومرحكم قال الشاعر:

يا ابن سلامة بالمنحنى تخف نبلغ جادك الوابل

الجمر وحشا بما قد ترى وانت معمور بها اهل

اراد فترويك معمورا اهلا ومعنى قوله تعالى ولا انتم عابدون ما اعبد اي لستم عابدين عبادتي على نحو ما ذكرناه ولم يتكرر الكلام الا لاختلاف المعاني والمختص ذلك ان النبي صلى الله عليه واله قال للكفار لا اعبد الهتكم وما تدعونه من دون الله ولا انتم عابدون الهي فانتم كاذبون اذ كنتم من غير الجهة التي امركم بها تعبدونه فانا لا اعبد مثل عبادتكم ولا انتم ما دمتم على ما انتم عليه تعبدون مثل عبادتي فان قيل اما اختلاف المعبودين فلا شبهة فيه فما الوجه في اختلاف العبادة قلنا انه صلى الله عليه واله كان يعبد من يخلص له العبادة ولا يشرك به شيئا وهم يشركون فاختلفت عباداتهما ولانه ايضا كان يتقرب الى معبوده بالافعال الشرعية التي تقع على وجه العبادة وهم لا يفعلون تلك الافعال ويتقربون بافعال غيرها يعتقدون جهلا

انما عبادة وقربة ٥ فان قيل فما معنى قوله لكم دينكم ولي ديني
وظاهر هذا الكلام يقتضي اباحتهم المقام على اديانهم قلنا
في هذا ثلثة اجوبة اولها ان ظاهر الكلام وان كان ظاهر
اباحة فهو وعيد ومبالغة في النهي والزجر كما قال تعالى
اعملوا ما شئتم ٥ وثانيها انه اراد لكم جزاء دينكم ولي جزاء ديني
فحذف الجزاء لدلالة الكلام عليه ٥ وثالثها انه اراد لكم جزاؤكم
ولي جزائي لان معنى الدين هو الجزاء قال الشاعر ٥

اذا ما لقونا لقيناهم ودناهم مثل ما يقرضونا

فاما التكرار في سورة الرحمن فانما حسن للتقرير بالنعم المختلفة
المعددة فكلما ذكر نعمة انعم بها قرر بها ووبخ على التكذيب
بها كما يقول الرجل لغيره الم احسن اليك بان خولتك الاموال
الم احسن اليك بان خلصتك من المكاره الم احسن اليك بان
فعلت بك كذا فيحسن منه التكرير لاختلاف ما يقرره
به وهذا كثير في كلام العرب واشعارهم ٥ قال مهلهل
ابن ربيعة يرثي اخاه كليبا ٥

على ان ليس عدلا من كليب اذا طرد اليتيم عن الجزور

يقال عندي غلام عدل غلامك اي مثله وهذا المال عدل

غلامك

غلامك اي قيمته قال الفراء العدل ما عادل الشيء من غير جنسه والعدل المثل ٥

على ان ليس عدلا من كليب اذا ما ضيم جيران المجير
على ان ليس عدلا من كليب اذا رجف العضاه من الدبور
اي كان الزمان شتاء
على ان ليس عدلا من كليب اذا خرجت مخباة الخدور
على ان ليس عدلا من كليب اذا ما اعلنت نجوى الامور
على ان ليس عدلا من كليب اذا خيف المخوف من الثغور
على ان ليس عدلا من كليب غداة بلابل الامر الكبير
على ان ليس عدلا من كليب اذا ما خار جاش المستجير

وقالت ليلى الاخيلية ترثي توبة بن الحمير ٥

لنعم الفتى يا توب كنت اذا التقت صدور العوالي واستشال الاسافل
ونعم الفتى يا توب كنت قد نهد على الخيل تمريها ونعم المنازل
ونعم الفتى يا توب لست ولم تكن لتسبق يوما كنت فيه تحاول
ونعم الفتى يا توب كنت لخائف اتاك لكي تحمي ونعم المجامل
ونعم الفتى يا توب جارا وصاحبا ونعم الفتى يا توب حين تناضل
لعمري لانت المرء ابكي لفقده بجد ولو لامت عليه العواذل
لعمري لانت المرء ابكي لفقده ولو لام فيه ناقص الراي جاهل
لعمري لانت المرء ابكي لفقده اذا كثرت بالملجمين البلابل

أبى لك ذم الناس يا توب كلما ذكرت أمور محكمات كوامل
أبى لك ذم الناس يا توب كلما ذكرت سماح حين تأوي الأرامل
فلا يبعدنك الله يا توب إنما لقيت حمام الموت والموت عاجل
ولا يبعدنك الله يا توب إنما كذاك المنايا عاجلات وآجل
ولا يبعدنك الله يا توب والتقت عليك الغوادي المدجنات
فخرجت في هذه الأبيات من تكرار إلى تكرار لاختلاف
المعاني التي عددتها على نحو ما ذكرناه وقال الحرث بن عباد
قربا مربط النعامة مني لقحت حرب وائل عن حيال
ثم كرر قوله قربا مربط النعامة مني في أبيات كثيرة من
القصيدة للمعنى الذي ذكرناه • وقالت عمرة ابنة
عم النعمان بن بشير ترثي زوجها •
وحدثني أصحابه أن مالكا أقام ونادى صحبه برحيل
وحدثني أصحابه أن مالكا ضروب بنصل السيف غير نكول
وحدثني أصحابه أن مالكا جواد بما في الرحل غير بخيل
وحدثني أصحابه أن مالكا خفيف على الحدثان غير ثقيل
وحدثني أصحابه أن مالكا صروم كماضي الشفرتين صقيل
وهذا المعنى أكثر من أن نحصيه وهذا هو الجواب عن
التكرار

التكرار في سورة المرسلات لقوله تعالى ويل يومئذ للمكذبين
مما قبل وإذا كان الذي حسن التكرار في سورة الرحمن ما عدد
من الآية ونعمه فقد عدد في جملة ذلك ما ليس بنعمة وهو قوله
يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران وقوله هذه
جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم
آن فكيف يحسن أن يقول عقيب هذا فبأي آلاء ربكما
تكذبان وليس هذا من الآلاء والنعم ه قلنا الوجه في ذلك
أن فعل العقاب وإن لم يكن نعمة فذكره ووصفه والإنذار
به من أكبر النعم لأن في ذلك زجرا عما يستحق به العقاب
~~وإن لم يكن نعمة فذكره ووصفه والإنذار به من أكبر~~
~~النعم لأن في ذلك زجرا عما يستوجب العقاب~~ وإنما أثبت بقوله تعالى
فبأي آلاء ربكما تكذبان بعد ذكر جهنم والعذاب فيها إلى
نعمة بوصفها والإنذار بعقابها وهذا مما لا شبهة في كونه
نعمة ه قال سيدنا الشريف المرتضى رضي الله عنه وكما أنه
كان في الجاهلية وقبل الإسلام في ابتدائه قوم يقولون بالدهر
وينفون الصانع وآخرون مشركون يعبدون غير خالقهم
ويستنزلون الرزق من غير رازقهم أخبر الله تعالى عنهم في كتابه

وضرب لهم الأمثال وكرر عليهم البينات والأعلام فقد نشأ بعد هؤلاء
جماعة ممن يتستر بإظهار الإسلام ويحقن بإظهار شعاره والدخول
في جملة أهله دمه وماله زنادقة ملحدون وكفار مشركون فمنعهم
الإسلام عن المظاهرة والمجاهرة وألجأهم خوف القتل إلى المساترة
فبلية هؤلاء على الإسلام وأهله أعظم وأغلظ لأنهم يدغلون في
الدين ويموهون على المستضعفين بجأش رابط ورأي جامع
فعل من قد أمن الوحشة ووثق بالأنسة لما يظهره من لباس الدين الذي
هو منه على الحقيقة عار وبأثوابه غير متوار كما يحكى
أن عبد الكريم بن أبي العوجاء قال لما قبض عليه محمد بن
سليمان وهو والي الكوفة من قبل المنصور وأحضره للقتل
وأيقن بمفارقة الحياة لئن قتلتموني لقد وضعت في أحاديثكم
أربعة آلاف حديث مكذوبة مصنوعة ۝ والمشهورون
من هؤلاء هم الوليد بن يزيد بن عبد الملك ۝ والحمادون حماد
الراوية وحماد بن الزبرقان وحماد عجرد وعبد الله بن
المقفع وعبد الكريم بن أبي العوجاء وبشار بن برد ومطيع بن
إياس ويحيى بن زياد الحارثي وصالح بن عبد القدوس الأزدي
وعلي بن الخليل الشيباني وغير هؤلاء ممن لم نذكرهم وإن

كان عددهم

كان عددهم كثيرا فقد أظلهم الله وأذلهم وأرذلهم بما تهدت به دلائله
الواضحة وحججه اللائحة في عقولهم من الضعف وآرائهم من السخف ونحن
نذكر من أخبار كل واحد ممن ذكرناه وتهمته في دينه
نبذة ونومي فيها إلى جملة والذي دعانا إلى التشاغل بذلك وإن
كانت عنايتنا بغيره أقوى مسألة من نرى إجابته ونؤثر
موافقته فتكلفنا له من أجله مع أنه غير خال من فائدة
ينفع علمها ويتأدب بروايتها وحفظها ۝

أما الوليد

فكان مشهورا بالإلحاد متظاهرا بالعناد غير محتشم في اطراح
الدين أحدا ولا مراقب فيه بشرا وفي الحديث أنه ولد لأخي أم
سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم غلام فسموه الوليد فقال
النبي صلى الله عليه وآله تسمونه بأسماء فراعنتكم ليكونن في
هذه الأمة رجل يقال له الوليد لهو شر على هذه الأمة من
فرعون على قومه قال الأوزاعي فسألت الزهري عنه
فقال إن استخلف الوليد بن يزيد وإلا فهو الوليد بن عبد الملك ۝
أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن إبراهيم

قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال كان الوليد بن يزيد بن عبد الملك
قد عزم على أن يبني فوق البيت الحرام قبة يشرب فيها الخمور ويشرف
على الطواف فقال بعض الحجبة لقد رأيت المجوسي البنا فوق الكعبة
وهو يقدر مواضع أركان القبة فلم تمض تلك الليلة حتى وافى الخبر
بقتل الوليد ۝ واخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال
أخبرني عبد الله بن يحيى العسكري عن أبي إسحق الطلحي قال
أخبرني أحمد بن إبرهيم بن إسحق بن إسماعيل عن أبي العالية
عن بعض أهل العلم قال قال يزيد بن الوليد وهو الملقب بالناقص
لما ولي أنشدت الله رجلا سمع شيئا من الوليد إلا أخبر به فقام نوذ
ابن يزيد فقال أشهد لسمعته يقول

أشقيانا وابن حرب واستنزانا بالزمان
وإذا كان من طلب الجنة يسعى في خسران
سأسوس الناس حتى يركبوا دين الحمار

واخبرنا المرزباني قال اخبرني أحمد بن خالد النحاس قال
حدثنا محمد بن مكحول قال نشر الوليد بن يزيد المصحف
وكان خطه كأنه أصابع وجعل يرميه بالسهام وهو يقول ۝
تذكرني الحساب ولست أدري أحقا ما تقول من الحساب

فقتل

هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك [illegible] بالفاسق [illegible] عبد الملك [illegible] وكان [illegible] ۝

فقتل الله من منعني طعامي وقتل الله من منعني شرابي
قال سيدنا الشريف المرتضى رضي الله عنه وتلك من هذه الجرأة
على الله تعالى وبلاطويلا وما اقدر الله تعالى على أن يمنعه طعامه وشرابه
وحياته دما أولاه اللعين بأليم العقاب وشديد العذاب لو لا ما
نتم به المحنة وينتظم به التكليف من ما خبر المستحق من
الثواب والعقاب ويتعيد بهما من أحوال الطاعات والمعاصي ۝
أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني أحمد بن كامل قال
كان الوليد بن يزيد زنديقا وإنه فتح المصحف يوما فرأى فيه
واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فاتخذ المصحف غرضا
ورماه بالنبل حتى مزقه وهو يقول

أتوعد كل جبار عنيد وها أنا ذاك جبار عنيد
فإن لاقيت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقني الوليد

وروى أيضا أن يزيد بن معوية لما جيء برأس الحسين عليه السلام
ووضع بين يديه ونظر إليه دعا بالمصحف وأخذ لا يقرأ فيه واستفتحوا
الآية فقال هذه الأبيات فقل يا رب خرقني يزيد ۝

وأما حماد الراوية

فكان مثلها من الدين أن أبا على أهله مدمنًا لشرب الخمور
وانه كان بالفجور. وقال عمرو بن بحر الجاحظ كان منقذ
ابن زياد الهلالي ومطيع بن اياس ويحيى بن زياد وحفص بن ابي وردة
وقاسم بن زنقطة وابن المقفع ويونس بن ابي فروة وحماد
عجرد وعلي بن الخليل وحماد بن ابي ليلى ويزيد بن الفيض
وجميل بن محفوظ المهلبي وبشار بن برد المرعث وابان
اللاحقي يجتمعون على الشرب وقول الشعر ويهجو بعضهم
بعضًا وكلهم كان متهمًا في دينه. وعمل يونس بن ابي
فروة كتابًا في مثالب العرب وعيوب الاسلام بزعمه وصار
به الى ملك الروم فاخذ منه مالًا. وقال احمد بن يحيى
النحوي يهجو حماد الراوية.

نعم الفتى لو كان يعرف ربه ويقيم وقت صلاته حماد
بسطت مشافره الشمول فانفه مثل القدوم يسنها الحداد
وابيض من شرب المدامة وجهه فبياضه يوم الحساب سواد
لا يعجبنك بزه ولسانه ان المجوس يرى لها اسباد

وكان حماد الراوية مشهورًا بالكذب في الرواية وعمل الشعر
واضافته الى الشعراء المتقدمين ودسه في اشعارهم حتى

حتى ان كثيرًا من الرواة قالوا قد افسد حماد الشعر
لانه كان رجلًا يقدر على صنعته فيدس في شعر كل
رجل منهم ما يشاكل طريقته فاختلط لذلك الصحيح بالسقيم
وهذا الفعل منه وان لم يكن دالًا على الالحاد فهو يشي بتهاونه
بالكذب في الرواية.

فاما حماد بن الزبرقان

فهذه طريقته في الخمر [في المجون]. اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد
الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال اخبرنا الاشنانداني
قال دعا حماد بن الزبرقان ابا الغول النهشلي الى منزله وكانا
يتقارضان فانتهره ابو الغول فلم يزل المفضل به حتى
اجابه وانطلق معه فلما رجع الى المفضل قال له ما صنعت
انت وحماد قال اصطلحنا على ان لا آمره بالصلاة ولا يدعوني
الى شرب الخمر. وانشد المفضل قوله

نعم الفتى لو كان يعرف ربه

وذكر الابيات التي تقدمت في الرواية الاولى منسوبة الى هجاء
حماد الراوية.

يتقارضان اي يتجازيان ويتبادلان في الخير والشر

وأما حماد عجرد

فشهرته في الضلالة كشهرة الحمادين وكان يرمى مع ذلك بالتثنية . اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن عبد الله الفارسي قال اخبرني ابي قال حدثني ابن مهرويه قال حدثني علي بن عبد الله بن سعيد قال حدثني السري بن الصباح الكوفي قال دخلت على بشار بالبصرة فقال يا ابا علي اما اني قد اوجعت صاحبكم وبلغت منه يعني حماد عجرد قلت بماذا يا معاذ قال بقولي فيه

يا ابن نهيا راس علي ثقيل واحتمال الراسين خطب جليل

فادع غيري الى عبادة ربين فاني بواحد مشغول

فقلت لم ادعه في عماه فقلت قد بلغ حمادا هذا الشعر وهو يرويه على خلاف ذلك قال فما يقول قلت

فادع غيري الى عبادة ربين فاني عن واحد مشغول

قال فلما سمعه اطرق وقال احسن والله ابن الفاعلة ثم قال اني لاحتشمك فلا تنشد احدا هذين البيتين وكان اذا سيل عنهما بعد ذلك قال ما هما لي . واخبرنا المرزباني قال حدثني علي بن هارون عن عمه يحيى بن علي

عن عمر

عن عمر بن شبة قال حدثني خلاد الارقط قال قال بشار بلغني ان رجلا كان يقرا القرآن وحماد ينشد الشعر فاجتمع الناس على القارئ فقال حماد علام تجتمعون فوالله ما اقول احسن مما يقول فمقته الناس على هذا . وروى ابن شبة عن ابي عبيدة قال كان حماد عجرد يعتبر بشارا بالقبح لانه كان عظيم الجسم مجدورا طويلا جاحظ العينين قد تغشاها لحم احمر فلما قال حماد فيه

والله ما الخنزير في نتنه بربعه في النتن او خمسه

بل ريحه اطيب من ريحه ومسه الين من مسه

ووجهه احسن من وجهه ونفسه افضل من نفسه

وعوده اكرم من عوده وجنسه اكرم من جنسه

قال بشار ويلي على الزنديق لقد نفث بما في صدره قيل كيف ذلك قال ما اراد الزنديق الا قول الله تبارك وتعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم فاخرج الجحود بها مخرج هجاي . قال المرتضى رضي الله عنه وهذا اخبث من بشار وتغلغل شديد لطيف واول من جعل معنى الالحاد ابدا للوصف واخرج ذلك مخرج المبالغة . سابق الوراق في حماد عجرد فقال .

لو ان مانى وديصانا وعصبتهم جاوا اليك لما قلنا لك زنديق
انت العبادة والتوحيد مذ خلقا وذا التزندق نيرنج مخاريق

فاما ابن المقفع

قال جعفر بن سليمان روى عن المهدى انه قال ما وجدت كتاب زندقة قط الا واصله ابن المقفع ٥ وروى ابن شبة قال حدثنى من سمع ابن المقفع وقد مر ببيت نار المجوس بعد ان اسلم فلمحه وتمثل ٥

يا بيت عاتكة الذى اتعزل حذر العدى وبه الفواد موكل
انى لامنحك الصدود وانني قسما اليك مع الصدود لاميل

وروى احمد بن يحيى ثعلب قال قال المقفع يرثى يحيى بن زياد وقال الاخفش والصحيح انه يرثى بها ابن العوجاء ٥

رزينا ابا عمرو ولا حى مثله فلله ريب الحادثات بمن وقع
فان تك قد فارقتنا وتركتنا ذوى خلة ما فى انسداد لها طمع
لقد جر نفعا فقدنا لك اننا امنا على كل الرزايا من الجزع

قال ثعلب انشدنى الاخفش بيت على مذهبهم فى ان الخير ممزوج بالشر والشر ممزوج بالخير ٥ واخبرنى على بن محمد

الكاتب

الكاتب قال اخبرنى محمد بن يحيى الصولى قال حدثنى المغيرة بن محمد المهلبى من حفظه قال حدثنى خالد بن خداش قال كان الخليل بن احمد يحب ان يرى عبد الله بن المقفع وكان ابن المقفع يحب ان يرى ذلك فجمعهما عباد بن عباد المهلبى فتحادثا ثلثة ايام ولياليهن فقيل للخليل كيف رايت عبد الله قال ما رايت مثله وعلمه اكثر من عقله ٥ وقيل لابن المقفع كيف رايت الخليل قال ما رايت مثله وعقله اكثر من علمه قال المغيرة فصدقا ادى عقل الخليل الخليل الى ان مات وهو ازهد الناس وجهل ابن المقفع اداه الى ان كتب امانا عن المنصور لعبد الله بن على فقال فيه ومتى غدر امير المومنين بعمه عبد الله فنساوه طوالق ودوابه حبس وعبيده احرار والمسلمون فى حل من بيعته فاشتد ذلك على المنصور جدا وخاصة امر البيعة وكتب الى سفين بن معوية المهلبى وهو امير البصرة من قبله بقتله فقتله ٥
وكان ابن المقفع مع قلة دينه جيد الكلام فصيح العبارة له حكم وامثال مستفادة ٥ من ذلك ما روى ان يحيى بن زياد الحارثى كتب اليه يلتمس معاقدة الاخاء والاجتماع على المودة والصفاء فاخر جوابه فكتب اليه ثانيا آخر يستبطئه فكتب اليه عبد الله

ان الاخارز و كرهت ان ابلاک ربی قبل ان اعرف حسن
ملكتك ، وكان يقول ذلل نفسك بالصبر على الجار السوء
والعشير السوء فان ذلك لا يكاد يخطيك ، وكان يقول اذا
نزل بك امر مهم فانظر فان كان مما له حيلة فلا تعجز وان
كان مما لا حيلة فلا تجزع ، ودعاه عيسى بن علي الى الغداء فقال
اعز الله الامير لست يومي للكرام اكيلا قال فلم قال لاني
مزكوم والزكمة قبيحة الجوار مانعة من عشرة الاحرار
وكتب الى بعض اخوانه اما بعد فتعلم العلم ممن هو اعلم به منك
وعلمه من انت اعلم به منه فانك اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت
وحفظت ما علمت ، وقال لبعض الكتاب اياك والتتبع لوحشي
الكلام طمعا في نيل البلاغة فان ذلك هو العي الاكبر ،
وقال لاخر عليك بما سهل من الالفاظ مع التجنب
لالفاظ السفلة ، وقيل له ما البلاغة فقال التي اذا سمعها
الجاهل ظن انه يحسن مثلها ، وقال لا تحدثن من تخاف
تكذيبه ولا تسال من تخاف منعه ولا تعد ما لا تقدر
على انجازه ولا تضمن ما لا تثق بالقدرة عليه ولا ترج ما تعنف
برجائه ولا تقدم على ما تخاف العجز عنه ، وقال لبعض اخوانه

اذا

٦٩

اذا صاحبت ملكا فاعلم انهم قد يتسمون بالي قلة الوفاء فلا تشغلن
قلبك انبساطه فانه لم يشعر احد قلبه شيئا الا ظهر على لسانه ان
كان سخيفا وعلى وجهه ان كان جليلا ، وكان يقول ما سخى بنفس
العالم عن الدنيا علمه بان الارزاق لم تقسم على قدر الاخطار ،

فاما ابن ابي العوجاء

فقد ذكرنا ما روي من اعترافه بدسه في احاديث النبي صلى الله عليه واله
احاديث مكذوبة ، وروي انه راى غزالا قد كتب عليه اية الكرسي
فقال لصاحبه لم كتبت هذا عليه فقال لئلا يسرق فقال قد رايت مصحفا
يسرق ولم يشار فيه ،

قل لعبد الكريم يا ابن ابي العوجاء بعت الاسلام بالكفر موقا
لا تصلي ولا تصوم فان صمت فبعض النهار صوما رقيقا
لا تبالي اذا اصبت من الخمر عتيقا الا تكون عتيقا
ليت شعري غداة حليت في الجيد حنيفا حليت ام زنديقا

فاما بشار بن برد

فروى المازني قال قال رجل لبشار اتاكل اللحم وهو مباين لديانتك

تذهب الى انه شنوي فقال بشار ان هذا الحكم يدفع عني شر هذه الظلمة ۞ قال المبرد ويروى ان بشارا كان يتعصب للنار على الارض ويصوب راي ابليس في الامتناع من السجود وروى له ؟

النار مشرقة والارض مظلمة والنار معبودة مذ كانت النار

وروى بعض اصحابه قال كنا اذا حضرت الصلاة نقوم اليها ونقعد بشار فيجعل حوالي ثوبه ترابا لننظر هل يصلي فنعود والتراب بحاله لم يقم الى الصلاة ؟ اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن ابي عبد الله الفارسي قال اخبرني ابي قال حدثني ابن مهروية عن احمد بن خلاد قال حدثني ابي قال كنت اكلم بشارا وارد عليه سوء مذهبه بميله الى الالحاد وكان يقول لا اعرف الا ما عاينته او عاينت مثله وكان الكلام يطول بيننا فقال لي ما اظن الامر يا ابا خالد الا انه كما يقال انه خذلان ولذلك اقول ۞

طبعت على ما فيّ غير مخير هواي ولو خيرت كنت المهذبا
اريد فلا اعطى واعطى فلم ارد وغيب عني ان انال المغيبا
واصرف عن قصدي وعلمي مبصر فامسى وما اعقبت الا التعجبا

قال الجاحظ كان بشار صديقا لواصل بن عطاء الغزال

قبل ان يظهر مذاهبه المكروهة وكان بشار يمدح واصل بن عطاء ويذكر خطبته التي نزع منها الراء وكانت على البديهة فقال ۞

تكلفوا القول والاقوام قد حفلوا وحبروا وخطبا ناهيك من خطب
فقام مرتجلا تغلي بداهته كمرجل القين لما حف باللهب
وجانب الراء لم يشعر به احد قبل التصفح والاغراق في الطلب

ومثل ذلك قول بعضهم في واصل ۞

ويجعل البر قمحا في تكلمه وجانب الراء حتى احتال للشعر
ولم يطق مطرا والقول يعجله فعاذ بالغيث اشفاقا من المطر

فلما اظهر بشار مذاهبه هتف به واصل وقام بذكره وتكفيره ونفيه فقال بشار فيه ؟

ما لي اشايع غزالا له عنق كنقنق الدو ان ولى وان مثلا
عنق الزرافة ما بالي وبالكم تكفرون رجالا كفروا رجلا

شبه واصلا بالزرافة وهي الحيوان المعروف وعنقه اصحابه يقال لهم البنة عنق فلما تتابع على واصل ما يشهد بالحاده ۞ قال عند ذلك اما لهذا الاعمى الملحد اما لهذا المشنف المكتني بابي معاذ من يقتله اما والله لولا ان الغيلة سجية من سجايا

الغالية لدببت اليه من يبعج بطنه في جوف منزله على مضجعه
او في يوم جفلة ثم لا يتولى ذلك الا عقيلي او سدوسي فبدل واصل
ابن عطاء من الضرير الاعمى ومن الكافر الى الملحد ومن المرعث
الى المنسف ومن بشار الى المعاذ ومن الفراش الى المضجع
وزاد قوم فقالوا ومن ارسلت الى دببت ومن يبقر الى يبعج
ومن داره الى منزله ومن المغيرية الى الغالية والاول اشبه بان
يكون مقصودا وما ذكرناه ثانيا فقد يتفق استعماله من
غير عدول عن استعمال الراء ٭ فاما قوله ولا يتولى ذلك الا
عقيلي او سدوسي فلان بشارا كان يتولى لهم وذكر بني
سدوس لان بشارا كان ينزل فيهم ٭ فاما لقب بشار بالمرعث
فقد قيل فيه ثلثة اقوال احدها انه لقب بذلك لبيت
قاله وهو ٭

قال ريم مرعث فاتر الطرف والنظر
لست والله نائلي قلت او يغلب القدر

والقول الثاني انه كان لبشار ثوب له جيبان احدهما عن يمينه والاخر
عن يساره فكان اذا اراد لبسه ضمه عليه ضما من غير ان يدخل
راسه فيه وشبه استرسال الجيبين وتدليهما بالرعاث وهي القرطة

فقيل

فقيل المرعث وقال ابو عبيدة انما سمي المرعث لانه كان يلبس في صباه
رعاثا وهذا هو القول الثالث ٭ وكان بشار مقدما في الشعر
جدا حتى ان كثيرا من الرواة يلحقه بمن تقدم عصره عليه
من المجودين ٭ وكان حماد عجرد قال في بشار ٭
له مقلة عميا واخرى بصيرة الى الاير من تحت الثياب تشير
فقال بشار وكتبها الى العباس بن محمد بن علي بن العباس
وكان حماد يعلم ولده ٭

يا ابا الفضل لا تنم وقع الذيب في الغنم
ان تخز به جرية في غلاف من الادم
كلما غنت ساعة نحنح الميم بالقلم

فقال العباس ما لي ولبشار اصرفوا حمادا فقال حماد لقد فرق بيني
وبين رزقي بشعره وسوف افرق بينه وبين حياته بشعري اقوله
فقال ٭

بنى ابيته هبوا البيتين ونسبهما الى بشار

فبلغ ذلك المهدي فقتله ٭ وكان حماد ينادم ابا حنيفة قبل ان يتفقه
فلما تفقه جعل يدق على حماد ويذكره في مجالسه
فقال حماد ٭

إن كان فيك لائم بغير شتمي وانتقاصي
فافعل وثم بي ليقتبس مع الأداني والأقاصي
فلطالما زادتني وأنا المقيم على المعاصي
أيام تأخذها وتعطي في أباريق الرصاص

فلما بلغته الأبيات أمسك عنه وذكر أن حماد عجرد هجا يعقوب بن داود على لسان بشار وكان يكتب على لسان بشار لبشار: بني أمية هبوا البيتين فجاء يعقوب إلى المهدي فقال إن هذا الأعمى الزنديق هجا أمير المؤمنين فقال وأي شيء قال فقال إني أخاف تخرج من أن أنشده بذلك فيغضب علي والزمه فقال قال لا قال

خليفة يزني بعماته يلعب بالدبوق والصولجان
أبدلنا الله به غيره ودس موسى في حر الخيزران

فأمر بقتله ويقال إنه تأول عليه قوله في الغزل قوله

لا يؤيسنك من مخبأة قول تغلظه وإن جرحا
عسر النساء إلى مياسرة والصعب يمكن بعدما جمحا

فذكر أنه قذف نساء المسلمين فأوجبوا عليه القتل
أخبرنا المرزباني عن محمد بن يحيى الصولي قال حدثنا محمد بن الخير

اليشكري

اليشكري قال قيل لأبي حاتم من أشعر الناس قال الذي يقول

ولها مبسم كغر الأقاحي وحديث كالوشي وشي البرود
نزلت في السواد من حبة القلب ونالت زيادة المستزيد
عندها الصبر عن لقائي وعندي زفرات يأكلن صبر الجليد

يعني بشارا قال وكان يقدمه على جميع الناس ولما قال بشار

بني أمية هبوا طال نومكم إن الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين الناي والعود

فبلغ ذلك المهدي فوجد عليه وكان ذلك سبب قتله

مجلس آخر

فأما مطيع بن إياس الكناني فأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني عن علي بن هارون عن عمه يحيى بن علي عن أبي أيوب المديني عن أحمد بن إبراهيم الكاتب قال أخبرني أبي قال رأيت بنتا لمطيع قد أتي بها في أول أيام الرشيد فأقرت بالزندقة وقرأتها وتابت وقالت هذا شيء علمنيه أبي فقبل الرشيد توبتها وردها إلى أهلها وقال محمد بن داود بن الجراح في أخبار مطيع بن إياس إنه كان يرمى بالزندقة وروي أنه لما حضرته الوفاة أحاط به أهل بيته فأقبلوا

يقولون له قل يا مطيع لا إله إلا الله فلا يقول حتى صارت نفسه
إلى ثغرة نحره ثم انتبه إلى الكلام فقالوا له قل لا إله إلا
الله فتكلم كلاماً ضعيفاً فتبعوه فإذا هو يقول

لهف نفسي على الزمان وفي أي زمان دهتني الأزمان
حين جاء الربيع واستقبل الصيف وطاب الطلاء والريحان

قال المرزباني وهذا الحديث يرويه الهيثم بن عدي ليحيى بن زياد فأما
يحيى بن زياد الحارثي فهو يحيى بن زياد بن عبيد الله بن عبد المدان
ابن الديان الحارثي الكوفي وزياد بن عبيد الله هو خال
أبي العباس السفاح ويكنى يحيى أبا الفضل وكان يعرف بالزنديق
وكانوا إذا وصفوا إنساناً بالظرف قالوا هو أظرف من الزنديق
يعنون يحيى لأنه كان ظريفاً وهذا المعنى قصد أبو نواس
بقوله أيه مغن وظريف زنديق قال الصولي وإنما قال
ذلك لأن الزنديق لا يرع عن شيء ولا يمتنع مما يدعى إليه
فنسبه إلى الظرف لمساعدته على كل شيء وقلة خلافه
وروي أنه قيل ليحيى بن زياد وهو يجود بنفسه قل لا إله إلا
الله فقال لم يبق إلا الغبط والجلاجل ثم أغمي عليه فلما
أفاق أعيد عليه القول فقال وبان لي تغابيه الرواحل

[illegible]

وروى محمد

وروى محمد بن يزيد قال قال مطيع بن إياس يرثي يحيى بن زياد
وكانا جميعاً يرميان بالخروج عن الملة

يا أهل بكوا لقلبي القرح وللدموع السواكب السفح
راحوا بيحيى إلى مغيبه في القبر بين التراب والصفح
راحوا بيحيى ولو تطاوعني الأقدار لم يبتكروا ولم يرح
يا خير من يحسن البكاء له اليوم ومن كان أمس للمدح
قد ظفر الحزن بالسرور وقد أديل مكروهنا من الفرح

ولمطيع يرثيه

انظر إلى الموت كيف بادهه والموت مقدامة على البهم
لو قد تدبرت ما صنعت به قرعت سناً عليه من ندم
ما ذهبت من شيء إذ ذهبت به ما بعد يحيى للرزء من ألم

فأما صالح بن عبد القدوس

فكان مشتهراً بمذاهب الثنوية ويقال إن أبا الهذيل العلاف ناظره
فقطعه ثم قال له على أي شيء تعزم يا صالح فقال أستخير الله وأقول
بالاثنين فقال أبو الهذيل فأيهما استخرت لا أم لك وروي
أن أبا الهذيل ناظره في مسألة مشهورة في الامتزاج الذي ادعوه

بين النور والظلمة فاقام عليه الحجة فانقطع فانشا يقول:

ابا الهذيل هداك الله يا رجل ... فانت حقا لعمري معضل جدل

وروي انه رأى يصلي صلاة تامة الركوع والسجود فقيل له ما هذا ومذهبك معروف فقال سنة البلد وعادة الجسد وسلامة للاهل والولد. ويقال انه لما اراد المهدي قتله على الزندقة وجاء اليه بكتاب فقال له اقرا هذا قال وما هو قال كتاب الزندقة قال صالح او تعرفه انت يا امير المؤمنين اذا قرأته قال لا قال افتقتلني على ما لا تعرف قال فاني اعرفه قال صالح فقد عرفته ولست بزنديق وكذلك اقرأه ولست بزنديق. وذكر محمد بن يزيد المبرد قال ذكر بعض الرواة ان صالحا لما نوظر فيما قرف به من الزندقة بحضرة المهدي قال له المهدي الست القايل في حفظك ما انت عليه:

رب سر كتمته فكاني ... اخرس او ثنى لساني خبل

ولو اني ابديت للناس علمي ... لم يكن لي في غير حبسي اكل

فقال صالح فاني اتوب وارجع فقال له المهدي هيهات الست القايل:

والشيخ لا يترك اخلاقه ... حتى يوارى في ثرى رمسه

اذا ارعوى عاود جهله ... كذي الضنا عاد الى نكسه

ثم قدم

ثم قدم فقتل ويقال انه صلب على الجسر ببغداد ومن شعره وهو في الحبس:

خرجنا من الدنيا ونحن من اهلها ... فلسنا من الاحياء فيها ولا الموتى

اذا دخل السجان يوما لحاجة ... عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

ونفرح بالرؤيا فجل حديثنا ... اذا نحن اصبحنا الحديث عن الرؤيا

فان حسنت لم تات عجلى وابطات ... وان قبحت لم تحتبس واتت عجلى

طوى دوننا الاخبار سجن ممنع ... له حارس تهدا العيون ولا يهدا

قبرنا ولم ندفن ونحن بمعزل ... من الناس لا نخشى فنغشى ولا نغشى

الا احد ياوي لاهل محلة ... مقيمين في الدنيا وقد فارقوا الدنيا

واول هذه الابيات:

الى الله اشكو انه موضع الشكوى ... وفي يده كشف المضرة والبلوى

في هذا المعنى للاحنف العكبري وان كان غريب اللفظ:

واحلم في المنام بكل خير ... فاصبح لا اراه ولا يراني

وان ابصرت شرا في منامي ... لقيت الشر من قبل الاذان

قال سيدنا الشريف المرتضى رضي الله عنه واظن ان ابن الجهم لحظ قول صالح بن عبد القدوس فنغشى ولا نغشى في قوله يصف الحبس:

بيت يجدد للكريم كرامة ... ويزار فيه ولا يزور ويحفد

فاما علي بن الخليل

فذكر محمد بن داود بن الجراح قال كان علي بن الخليل وهو مولى يزيد بن
مزيد الشيباني ويكنى ابا الحسن وهو كوفي متهما بالزندقة فطلبه
الرشيد عند قتله الزنادقة فاستتر طويلا ثم نصب الرقة وبها
الرشيد فمدحه ومدح الفضل بن الربيع وروي انه لما قعد
الرشيد للمظالم بالرقة حضر شيخ حسن الهيئة حسن الخطاب
ومعه قصيدة فاستاذن بها فامر الرشيد باخذها منه فقال
يا امير المؤمنين انا احسن قراءة لها من غيري فاذن له في قراءتها
فتهيأ فقال اني شيخ كبير ولا امن الاضطراب اذا قمت فان
رايت ان تاذن لي في الجلوس فعلت فقال اجلس فجلس ثم
انشا يقول ∘

يا خير من وخدت بارحله نجب الركاب ببهمة جلس
تطوي السباسب في ازمتها طي التجار عمائم البرس
لما راتك الشمس طالعة سجدت لوجهك طلعة الشمس
خير الخلايف انت كلهم في يومك الماضي وفي امس
وكذاك لا تنفك خيرهم تمسي وتصبح فوق ما تمسي
من عصبة طابت ارومتها اهل العفاف ومنتهى القدس
فوق النجوم فروع نبعتهم ومع الحضيض منابت الغرس

اني تحملت اليك من فزع كان التوكل عند نترسي
ماذاك الا انني رجل اسمو الى نفر من الانس
نفر اوانس لا قرون لها يقتلن بالتطويل والحبس
واجاذب الفتيان بينهم صهبا مثل مجاجة الورس
للماء في حافاتها حبب نظم كطي صحايف الفرس
والله يعلم في بقيته ما ان اضعت اقامة الخمس

فقال له هرون من انت قال انا علي بن الخليل الذي يقال انه زنديق
قال انت امن وكتبنا الى حمدويه ان لا يعرض له ∘ قال المرتضى رضي
الله عنه ومن تركنا ذكره من هولاء اكثر ممن ذكرناه ∘
وانما اعتمدنا من كان بهذه البلية اشهر وامره فيها اظهر ∘ واوردنا
مع ذلك قليلا من كثير وجملة من تفصيل ∘ واذ قد ذكرنا
جملة من اخبار اهل الضلالة والمعاندين للحق على حسب ما
سالنا فنحن نتبعها بشيء من اخبار اهل التوحيد والعدل
وملح حكاياتهم ومستحسن الفاظهم ليعلم الفرق بين من
رجحت نعمته ومن خسرت صفقته ∘ فقد سالنا ايضا ذلك
اعلم ان اصول العدل والتوحيد ماخوذة من كلام
امير المؤمنين علي صلوات الله عليه وخطبه فانها تتضمن

من ذلك ما لا زيادة عليه ولا غاية وراءه ومن تامل المأثور في ذلك من
كلامهم علم ان جميع ما اسهب المتكلمون من بعد في تصنيفه وجمعه
انما هو تفصيل لتلك الجمل وشرح لتلك الاصول وروي عن
الائمة من ابنائه عليهم السلام من ذلك ما لا يكاد يحاط به كثرة
ومن احب الوقوف عليه وطلبه من مظانه اصاب منه الكثير
الغزير الذي في بعضه شفاء للصدور السقيمة ونتاج
للعقول العقيمة ٥ ونحن نقدم على ما نريد ذكره شيئا
مما روي عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال وهو يصف الله
تعالى بمضادته بين الاشياء علم ان لا ضد له وبمقارنته بين الامور
علم ان لا قرين له ضاد النور بالظلمة والخشونة باللين واليبس
بالبلل والصرد بالحرور مؤلف بين متعادياتها مفرق بين
متدانياتها ٥ وروي عنه عليه السلام انه سئل بم عرفت ربك
فقال بما عرفني نفسه فقيل وكيف عرفك فقال لا تشبهه صورة ولا
يحس بالحواس ولا يقاس بالناس ٥ وقيل له عليه السلام كيف
يحاسب الله الخلق فقال كما يرزقهم فقيل له كيف يحاسبهم ولا
يرونه فقال كما يرزقهم ولا يرونه ٥ وسئل اين كان
ربك قبل ان يخلق السماء والارض فقال عليه السلام اين سؤال عن مكان

وكان

وكان الله ولا مكان ٥ وروي عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام انه
سأله محمد الحلبي فقال هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله ربه قال نعم رآه
بقلبه فاما ربنا جل جلاله فلا تدركه ابصار الناظرين ولا يحيط به اسماع
السامعين ٥ وروي صفوان بن يحيى قال دخل ابو قرة المحدث على ابي
الحسن الرضا عليه السلام فسأله عن اشياء من الحلال والحرام والاحكام
والفرائض حتى بلغ سؤاله الى التوحيد فقال له ابو قرة انا روينا
ان الله تعالى قسم الكلام والرؤية فقسم لموسى الكلام ولمحمد صلى الله
عليه وآله الرؤية فقال الرضا عليه السلام فمن المبلغ عن الله تعالى
الى الثقلين الجن والانس انه لا تدركه الابصار ولا يحيطون به
علما وليس كمثله شيء اليس محمد صلى الله عليه نبيا صادقا قال
بلى قال وكيف يجيء رجل الى الخلق جميعا فيخبرهم انه جاء من عند الله
تعالى يدعوهم اليه بامره ويقول لا تدركه الابصار ولا يحيطون به علما
وليس كمثله شيء ثم يقول انا رأيته بعيني واحطت به علما اما تستحيون
ما قدرت الزنادقة ان ترميه بهذا ان يكون يأتي عن الله بشيء ثم يأتي
بخلافه من وجه آخر قال ابو قرة فانه يقول ولقد رآه نزلة اخرى
عند سدرة المنتهى فقال عليه السلام ما بعد هذه الآية يدل على ما
رأى حيث يقول ما كذب الفؤاد ما رأى يقول ما كذب فؤاد

بحمد ما رأت عيناه ثم أخبر بما رأى فقال لقد رأى من آيات ربه الكبرى
وآيات الله غير الله وقد قال الله ولا يحيطون به علما فإذا رأته الأبصار
فقد أحاطت به العلم ⁂ فقال أبو قرة أفتكذب بالرواية فقال الرضا
عليه السلام إذن القرآن كذبها وما أجمع عليه المسلمون من أنه
لا يحاط به علما ولا تدركه الأبصار وليس كمثله شيء ⁂
وأتى أعرابي أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام فقال هل رأيت ربك
حين عبدته فقال لم أكن لأعبد شيئا لم أره فقال كيف رأيته
فقال لم تره العيون بمشاهدة الأبصار بل رأته القلوب بحقائق الإيمان
لا يجور في قضيته هو الله الذي لا إله إلا هو ⁂ فقال الأعرابي الله
أعلم حيث يجعل رسالاته ⁂ وروي أن شيخا حضر صفين مع
أمير المؤمنين عليه السلام فقال له أخبرنا يا أمير المؤمنين عن
مسيرنا إلى الشام أكان بقضاء من الله وقدر فقال له نعم يا أخا أهل
الشام والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما وطئنا موطئا ولا هبطنا
واديا ولا علونا تلعة إلا بقضاء من الله وقدر فقال الشامي عند
الله أحتسب عنائي يا أمير المؤمنين وما أظن أن لي أجرا
في سعيي إذا كان الله قضاه علي وقدره فقال له عليه السلام إن الله
قد أعظم لكم الأجر على مسيركم وأنتم سائرون وعلى مقامكم وأنتم مقيمون

ولم تكونوا

ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين ولا إليها مضطرين
ولا عليها مجبرين فقال الشامي وكيف كان ذلك والقضاء والقدر ساقانا
وعنهما كان مسيرنا وانصرافنا فقال له عليه السلام ويحك يا أخا
أهل الشام لعلك ظننته قضاء لازما وقدرا حتما لو كان ذلك
كذلك لبطل الثواب والعقاب وسقط الوعد والوعيد
والأمر من الله والنهي وما كان المحسن أولى بثواب الإحسان من
المسيء ولا المسيء أولى بعقوبة الذنب من المحسن تلك مقالة عبدة الأوثان
وحزب الشيطان وخصماء الرحمن وشهداء الزور وقدرية هذه
الأمة ومجوسها إن الله تعالى أمر عباده تخييرا ونهاهم تحذيرا
وكلف يسيرا وأعطى على القليل كثيرا ولم يطع مكرها ولم
يعص مغلوبا ولم يكلف عسيرا ولم يرسل الأنبياء لعبا ولم ينزل
الكتب إلى عباده عبثا ولا خلق السماوات والأرض
وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا
من النار ⁂ قال الشامي فما القضاء والقدر اللذان كان مسيرنا بهما
وعنهما قال الأمر من الله تعالى بذلك والحكم ثم تلا وكان أمر الله قدرا
مقدورا فقام الشامي فرحا مسرورا لما سمع هذا المقال وقال
فرجت عني يا أمير المؤمنين فرج الله عنك وأنشأ يقول ⁂

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته يوم المآب من الرحمن غفرانا

أوضحت من أمرنا ما كان ملتبسًا جزاك ربك بالإحسان إحسانا

وروي أن أبا حنيفة النعمان بن ثابت قال دخلت المدينة فأتيت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلم في دهليزه قاعدًا في مكينته وهو صغير السن فقلت أين يحدث الغريب إذا كان عندكم إذا أراد ذلك فنظر إلي ثم قال يجتنب شطوط الأنهار ومساقط الثمار وأفنية الدور والطرق النافذة ويضع بعد ذلك حيث شاء فلما سمعت هذا القول نبل في عيني وعظم في قلبي فقلت له جعلت فداك ممن المعصية فنظر إلي ثم قال اجلس حتى أخبرك فجلست فقال إن المعصية لا بد أن تكون من العبد أو من ربه تعالى أو منهما جميعا فإن كانت من الله تعالى فهو أعدل وأنصف من أن يظلم عبده ويأخذه فهو بما لم يفعله وإن كانت منهما فهو شريكه والقوي أولى بإنصاف عبده الضعيف وإن كانت من العبد وحده فعليه وقع الأمر وإليه توجه النهي وله حق الثواب والعقاب ووجبت الجنة والنار قال فلما سمعت ذلك قلت ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم • وقد نظم هذا المعنى شعرا فقيل •

لم تخل أفعالنا اللاتي نذم لها إحدى ثلاث خلال حين نأتيها

أما تفرد بارينا بصنعتها فيسقط اللوم عنا حين ننشيها

أو كان يشركنا فيها فيلحقه ما سوف يلحقنا من لائم فيها

أو لم يكن لإلهي في جنايتها ذنب فما الذنب إلا ذنب جانيها

واحد من نظائر من

المتقدمين

بالقول بالعدل الحسن بن أبي الحسن البصري واسم أبيه يسار من أهل ميسان مولى لبعض الأنصار وكان اسم أمه خيرة مملوكة لأم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله • ويقال إن أم سلمة كانت تأخذ الحسن إذا بكى فتلقمه ثديها مكان يديه تعلله ويقال إن الحكمة التي أوتيها الحسن من ذلك وبلغ الحسن من السن تسعا وثمانين سنة • فمن تصريحه بالعدل ما رواه علي بن الجعد قال سمعت الحسن يقول من زعم أن المعاصي من الله عز وجل جاء يوم القيامة مسودا وجهه ثم قرأ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة • وقال داود بن أبي هند سمعت الحسن يقول كل شيء بقضاء وقدر إلا المعاصي وكان الحسن بارع الفصاحة بليغ المواعظ

كتب العلم وجميع كلامه في الوعظ وذم الدنيا او جله
ماخوذ لفظا ومعنى او معنى دون لفظ من كلام امير
المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام فهو في ذلك القدوة والغاية
فمن ذلك قوله عليه السلام شتان احدهما ماخوذ من الاخر
احدهما الزهد في الدنيا والاخرة اقل شي في الدنيا العبر والاعتبار
وقوله عليه السلام مثل الدنيا والاخرة مثل المشرق والمغرب
متى ازددت من احدهما قربا ازددت من الاخر بعدا   وقوله
عليه السلام شتان بين عملين عمل تذهب لذته وتبقى اجره
وقوله عليه السلام في وصف الدنيا ما اصف من دار اولها
عنا واخرها فنا في حلالها حساب وفي حرامها
عقاب من صح فيها امن ومن مرض فيها ندم ومن استغنى فيها
فتن ومن افتقر حزن   وقوله عليه السلام في كلام
له فيا ايها الذام الدنيا المغتر بغرورها متى استذمت اليك
بل متى غرتك ابمضاجع ابائك من الثرى بمنازل امهاتك
من البلى كم مرضت بكفيك وكم عالجت بيديك تبتغي لهم
الشفا وتستوصف لهم الاطبا مثلت لك بهم الدنيا نفسك
وبمصرعهم مصرعك   قال المرتضى رضي الله عنه هذا باب

[illegible]

ان وجناه

ان وجناه اغترفنا من بحر لجي او شؤبوب غمام ماطر وكل
قول في هذا الباب لقايل اذا اضيف اليه او قرن به كان اضافة
القطرة الى الغمرة او الحصاة الى الجمرة وانما اشرنا اليه اشارة واومانا
اليه ايماء ثم نعود الى ما كنا فيه   روي ان اعرابيا سمع كلام الحسن
البصري فقال المؤمن فصيح اذا لفظ فصيح اذا وعظ   وروي
ان الحسن تلا يوما انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال
ثم قال ان قوما غدوا في المطارف العتاق والعمايم الرقاق يطلبون
الامارات ويضيعون الامانات يتعرضون للبلاء وهم منه في
عافية حتى اذا اخافوا من فوقهم من اهل العفة وظلموا من تحتهم
من اهل الذمة اهزلوا دينهم واسمنوا براذينهم ووسعوا دورهم
وضيقوا قبورهم الم ترهم قد جددوا الثياب واخلقوا
الدين يتكي احدهم على شماله وياكل من غير ماله طعامه
غصب وخدمه سخرة يدعو بحلو بعد حامض وبحار
بعد بارد ورطب بعد يابس حتى اذا اخذته الكظة
تجشا من البشم ثم قال يا جارية هاتي حاطوما يعني هاضوما
يهضم الطعام يا احمق لا والله لن تهضم الا دينك اين جارك
اين يتيمك اين مسكينك اين ما اوصاك الله تعالى به

وذكر يوما الحجاج فقال اما انا اعيمش اخيفش له جميمة يرجّلها
فاخرج الينا بنانا قصارا والله ما عرق فيها عنان في سبيل الله
فقال بايعوني فبايعناه ثم رقى هذه الاعواد ينظر الينا
بالتصغير وننظر اليه بالتعظيم يامرنا بالمعروف ويجتنبه وينهانا
عن المنكر ويرتكبه ❊ وروى عيسى بن عمر قال قال
الحسن البصري ان هذه القلوب طُلَعة فاقدعوها فانكم
ان تطيعوها تنزع بكم الى شر غاية وحادثوا هذه النفوس
فانها سريعة الدثور قال عيسى بن عمر فحدثت بذلك
ابا عمرو بن العلاء فعجب من فصاحته ❊ وكان يقول في بعض كلامه
ما شئت ان ترى احدهم ابيض بضا يملخ في الباطل ملخا
ينفض مذرويه ويقول ها انا ذا فاعرفوني قال فالبض
هو الرخص اللحم وليس هو من البياض على ما يظنه قوم لانه
قد يكون الرخاصة مع الادمة ❊ فاما قوله يملخ فان الملخ هو
التثني والتكسر يقال ملخ الفرس اذا لعب قال رؤبة يصف الحمار ❊

معتزم التجليح ملاخ الملق

والمذروان فرعا الاليتين قال عنترة ❊

احولي تنفض استك مذرويها لتقتلني فها انذا عمارا

هذا قول

هذا قول ابي عبيدة وقال ابن قتيبة رادا عليه ليس المذروان فرعي
الاليتين حسب بل هما الجانبان من كل شي تقول العرب جا فلان
يضرب اصدريه ويضرب عطفيه وينفض مذرويه وهما
منكباه ❊ وذكر انه سمع رجلا من فصحاء العرب
يقول قنّع مذرويه يريد جانبي راسه وهما فوداه وانما سميا
بذلك لانهما يذريان اي يشيبان والذرى الشيب قال وهذا اصل
الحرف ثم استعير للمنكبين والاليتين والطرفين من كل
شي قال امية بن ابي عائذ الهذلي يذكر قوسا ❊

على عجس هتافة المذروين زوراء مضجعة في الشمال

اراد قوسا ينبض طرفاها قال ولا معنى لوصف الرجل الذي ذكر
الحسن بانه يحرك اليتيه ولا من شان من يتنخ ويتيه على نفسه
يقول ها انا ذا فاعرفوني ان يحرك اليتيه وانما اراد انه يضرب
عطفيه وهذا مما يوصف به المرح المختال وربما قالوا جا فلان
ينفض مذرويه اذا تهدد وتوعد لانه اذا تكلم وحرك راسه
نفض فوديه وهما مذرواه ❊ قال المرتضى
قدس الله روحه والبض الذي ذكره ابو عبيد يحتمل لان من شان
المختال الذي يزهى بنفسه ان يهتز ويتثنى فيتحرك اعطافه

واعضاؤه ومذرواه من جملة ما يهتز ويتحرك لانهما بائنان من
جسمه فتظهر فيهما الاهتزاز وانما خص المذروين بالذكر مع
ان غيرهما يتحرك ايضا على طريق التقبيح على هذا المختال والتهجين
لفعله وقول ابن قتيبة ليس من شان من يتبذخ ان يحرك البتة
ليس بشيء لان الاغلب من شان المختال البذاخ الاهتزاز وتحريك
الاعطاف على ان هذا يلزمه فيما قاله لانه ليس من شان كل متوعد
ان يحرك راسه وينفض مذرويه فاذا قال ان ذلك
في الاكثر قيل له مثله ۞ وكان الحسن البصري
يقول يا ابن ادم جمعا انشطا جمعا في وعاء وشدا في
وكاء وركوب الذلول ولبس اللين حتى قيل مات فافضى والله
الاخرة فطال حسابه ۞ وكان يقول مسكين ابن
ادم مكتوم الاجل مكنون العلل اسير جوع صريع
شبع ان من تؤلمه البقة وتقتله الشرقة لبادي الضعف قريب
الحتف ۞ وكان يقول ما اطال احد الامل الا اساء العمل ۞
وكتب الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان طول البقاء الى
فناء فخذ من فنائك الذي لا يبقى لبقائك الذي لا يفنى والسلام ۞
وكان يقول اذا رايت رجلا ينافسك في الدنيا فنافسه في

الاخرة

فقال

الاخرة ۞ وسأله رجل ما حالك قال باشد حال وما حال من اصبح وامسى
ينتظر الموت ولا يدري ما يفعل الله به ۞ وكان يقول يا ابن ادم بسطت
لك صحيفة ووكل بك ملكان كريمان يكتبان عملك فامل
ما شئت واكثر او اقلل ۞ وفي خبر اخر ووكل بك ملكان كريمان
ريقك مدادهما ولسانك قلمهما ۞ وروى ابو بكر الهذلي قال
لما قدم عمر بن هبيرة واليا على العراق نزل واسطا فبعث الى الشعبي
والى الحسن البصري وقال لهما ان يزيد بن عبد الملك عبد اخذ
الله ميثاقه وانتجبه لخلافته وقد اخذ بنواصينا واعطيناه
عهودنا ومواثيقنا وصفقة ايدينا فوجب علينا السمع والطاعة
له وانه يبعثني الى عراقكم غير سائل اياه الا انه لا يزال يبعث الينا
في القوم نقتلهم وفي الضياع نقبضها وفي الدور نهدمها
فتوليته من ذلك ما ولاه الله فما تريان فاما الشعبي فقال
قولا فيه بعض اللين واما الحسن فانه قال له يا عمر اني انهاك عن الله
ان تتعرض له فان الله مانعك من يزيد ولا يمنعك يزيد من
الله انه يوشك ان ينزل اليك ملك من السماء فيستنزلك
من سريرك ويخرجك من سعة قصرك الى ضيق قبرك
ثم لا يوسعه عليك الا عملك ان هذا السلطان انما جعل ناصرا

لدين الله فلا تركبوا دين الله وعباد الله بسلطان الله تذلونهم به
فان لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق جل ذكره ۝ وذكر عن
الشعبي انه قال كان والله الحسن اكرمنا عليه ۝ وروى ابو بكر
ابن عياش قال قال مسلمة بن عبد الملك للحسن عظني قال اوليت
قط قال نعم قال فالست تحب ان يوتى اليك فاته الى من
وليته ۝ وعن ثابت البناني قال قال رجل للحسن آخذ
عطائي ام ادعه حتى آخذ من حسناتهم يوم القيمة فقال
له قم ويحك فخذ عطاك فان القوم مفاليس من الحسنات
يوم القيمة ۝ وولد للحسن غلام فهناه بعض اصحابه
فقال الحسن نحمد الله على هبته ونستزيده من نعمه ولا مرحبا
بمن ان كنت غنيا اذهلني وان كنت فقيرا اتعبني لا ارضى بسعيي
له سعيا ولا بكدي له في الحياة كدا حتى اشفق عليه من الفاقة
بعدي فاني وانا في حال لا يصل الي من همه حزن ولا من فرحه
سرور ۝ وكان الحسن يقول لو لم يكن من شوم الشراب
الا انه جا الى احب خلق الله الى الله فافسده لكان ينبغي للعاقل
ان يتركه يعني العقل ۝ وعزى جارا له يهوديا فقال له جزاك
الله على مصيبتك باعظم ما جازى به احدا من اهل ملتك فهذا

غلطه

٨٤

تخلص مليح لانه لم يدع له بالثواب الذي لا يستحقه الكفار واراد
بالجزاء العوض الذي يستحقه الكافر مع استحقاق العقاب ۝
وكان الحسن البصري يقول ليس للفاسق المعلن بالفسق غيبة ولا
لاهل الاهواء والبدع غيبة ولا للسلطان الجائر غيبة ۝
وقال في قوله تعالى ربنا آتنا في الدنيا حسنة قال العلم وفي الآخرة
حسنة قال الجنة ۝ وخرج الحسن في جنازة معها نوائح
فقال له رجل اما ترى يا ابا سعيد هذا وهم الرجل بالرجوع فقال
له الحسن ان كنت كلما رأيت قبيحا تركت له حسنا اسرع ذلك
في دينك ۝ وذكرت عنده الدنيا فقال

احلام نوم او كظل زائل ان اللبيب بمثلها لا يخدع

وكان يتمثل ۝

اليوم عندك دلها وحديثها وغدا لغيرك كفها والمعصم

وعن ابي عبيدة قال لما فرغ الحجاج من خضرا واسط نادى في الناس
ان يخرجوا فيدعوا له بالبركة فخرج الناس وخرج الحسن
فاجتمع عليه الناس فخاف اهل الشام على نفسه ان يقتلوه فرجع وهو
يقول قد نظرنا يا اخبث الاخبثين ويا افسق الفاسقين فاما
اهل السماء فمقتوك واما اهل الارض فغروك ثم قال ابى الله

للبنا في الذي أخذه على أهل العلم ليبيننه للناس ولا يكتمونه
ثم انصرف وبلغ ذلك الحجاج فقال يا أهل الشام ويحكم حوله الله
ليبقى من عبيد من عبيد أهل البصرة فيتكلم فيّ بما تكلم
به ولا يكون عند أحد منكم تغيير ولا نكير قالوا
ومن ذاك أصلحك الله استعاده فقال عليّ به وأمر بالنطع
والسيف فأحضرا ووجه إليه فلما دنا الحسن من الباب
حرك شفتيه والحاجب ينظر إليه فلما دخل قال له الحجاج
هاهنا وأجلسه قريبا من فرشه وقال له ما تقول في علي وعثمان قال
أقول قول من هو خير مني عند من هو شر منك قال موسى عليه
لفرعون إذ قال له ما بال القرون الأولى قال علمها عند ربي في
كتاب لا يضل ربي ولا ينسى علم علي وعثمان عند الله تعالى
فقال له الحجاج أنت سيد العلماء يا أبا سعيد ثم دعا بغالية
فغلل بها لحيته فلما خرج الحسن اتبعه الحاجب فقال يا أبا سعيد
والله لقد دعاك لغير ما فعل بك ولقد أحضر السيف والنطع
فلما أقبلت رأيتك قد حركت شفتيك بشيء فما قلت قال قلت
يا عدتي عند كربتي ويا صاحبي عند شدتي ويا ولي نعمتي ويا إلهي
وإله آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب ارزقني مودته واصرف عني

أذاه

إذاه

أذاه ومعرته فيفعل ربي عز وجل ذلك ° وكان الحسن يقول ما زال
النفاق مقموعا حتى عمم هذا عمامة وقلد سيفا يعني الحجاج °
وروى أبو بكر الهذلي أن رجلا قال للحسن يا أبا سعيد إن الشيعة
تزعم أنك تبغض عليا عليه السلم قال فبكى طويلا ثم رفع رأسه فقال
لقد فارقكم بالأمس رجل كان سهما من مرامي الله عز وجل
على عدوه رباني هذه الأمة وذو شرفها وفضلها وذو قرابة
من النبي صلى الله عليه وآله قريبة لم يكن بالنؤومة عن أمر الله ولا
بالغافل عن حق الله ولا بالسروقة من مال الله أعطى القرآن عزائمه
فيما له وعليه فأشرف منها على رياض مونقة وأعلام بينة ذاك
ابن أبي طالب يا لكع ° وكان الحسن إذا أراد أن يحدث في
زمن بني أمية عن أمير المؤمنين عليه السلم قال قال أبو زينب °
وشهد الحسن جنازة فقال إن أمرا هذا آخره لينبغي أن
يزهد فيه وإن أمرا هذا أوله لينبغي أن يحذر نعته °
وعن حميد الطويل قال خطب رجل إلى الحسن ابنته فكنت
السفير بينهما فرضيه وأراد أن يزوجه فأثنيت عليه ذات
يوم فقلت وأزيدك يا أبا سعيد أن له خمسين ألفا قال
له خمسين ألفا ما اجتمعت من حلال قلت له يا أبا سعيد إنه والله

حق

ما علمت لو بع سلم فقال ان كان جمعها من حلال لقد ضن بها على حق
لا تجري والله بيني وبينه صهرا ابدا ۝ وقيل لعلي بن الحسين
عليهما السلام قال الحسن البصري ليس العجب ممن هلك لنفسه هلك
وانما العجب ممن نجا كيف نجا ۝ وانما العجب ممن هلك كيف هلك
مع سعة رحمة الله ۝ واتى عليه السلام يوما الحسن البصري
وهو يقص عند الحجر فقال ارضيت يا حسن نفسك للموت
قال لا قال فعملك للحساب قال لا قال فثم دار للعمل غير هذه
الدار قال لا قال فلله في ارضه معاذ غير هذا البيت قال لا قال
فلم تشغل الناس عن الطواف ۝

مجلس آخر

وممن تظاهر بالقول بالعدل واشتهر به واصل بن عطاء الغزال ويكنى
ابا حذيفة وقيل انه مولى بني ضبة وقيل مولى بني مخزوم
وقيل مولى بني هاشم ۝ وروي انه لم يكن غزالا وانما لقب بذلك
لانه كان يكثر الجلوس في الغزالين وقيل كان يجلس في الغزالين
عند صديق له يعرف بابي عبد الله الغزال ۝ وذكر المبرد ان واصلا
كان يلزم الغزالين ليعرف المتعففات من النساء فيصرف صدقته

اليهن

اليهن ولقب بذلك كما لقب ابو سلمة حفص بن سليمان الخلال وهو
وزير ابي العباس السفاح ولم يكن خلالا وانما كان منزله بالكوفة يقرب
الخلالين وكان يجلس عندهم فسمي خلالا ۝ ومثله ابو علي الجرماذي
وهو مولى لبني هاشم وانما لقب بذلك لانه كان ينزل في بني الجرماذ
وابراهيم بن يزيد الخوزي وليس بخوزي ولكنه ينزل بمكة
بشعب الخوز ۝ وابو سعيد المقبري لانه نزل المقابر ۝
وكان واصل الثغ في الراء فبيح اللثغة وكان يخلص كلامه الراء
ويعدل عنها في سائر محاوراته وقد ذكرنا طرفا من ذلك
في الخباب بتنا بين بريد ۝ وذكر ابو الحسن البردعي المتكلم
ان انسانا سال عمرو بن عبيد او غيره عن شيء في العدل بحضرة
واصل بن عطاء فتكلم السائل بشيء اغضب عمرا فاجابه
عمرو بجواب لم يرضه واصل فقال له واصل اياك واخوته
الغضب فانها مندمة والشيطان يكون معها وله في تضاعيفها
همزة وقد اوجب الله عز وجل على نبيه على نبيه صلى الله عليه
واله ان يتعوذ من همزات الشياطين وان يكونوا معه
بقوله اعوذ بك من همزات الشياطين الى اخر الاية
فما شاهدت احدا اجاب فتثبت في جوابه وما يطلق به

لسانه ملحقة لوم قال البرذعي انظروا الى واصل كيف كلّم عمرا فاخرج
الراء من كلامه فقال موضع والشيطان تحضرهما بلون معها
وقال فيما احب الله على نبيه ولم يقل امره وقال وان يكونوا معه
بدلا من قوله وان يحضرون ثم قال الى خاتمة الآية ولم يقل الى
آخر الآية ٭ قال المرتضى ومما يذكره البرذعي
انه عدل عن افتتاح الآية من اجل الراء ايضا لان اولها وقل رب
اعوذ بك من همزات الشياطين ولولا قصده الى العدل
لكان ذكرها او احبا من ابتدائها لا سيما وفي ابتدائها
تعليم وتوقيف على كيفية دعائه والاستعاذة
به ٭ وقيل ان رجلا قال له كيف تقول اسرج الفرس
فقال ألبد الجواد وقال له آخر كيف تقول ركب فرسه وجر
رمحه فقال استوى على جواده وسحب عامله ٭ وذكر
ابو الحسين الخياط ان واصلا كان من مدينة الرسول صلى الله
عليه وآله ومولده سنة ثمانين ومات سنة احدى وثلثين
ومائة ٭ وكان واصل ممن لقي ابا هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية
وصحبه واخذ عنه ٭ وقال قوم انه لقي اباه محمدا عليه السلام
وذلك غلط لان محمدا توفي سنة ثمانين او احدى وثمانين و[illegible]

ولد

ولد في سنة ثمانين وواصل هو اول من اظهر المنزلة بين المنزلتين
لان الناس كانوا في اسماء اهل الكبائر من اهل الصلاة على اقوال
كانت الخوارج تسميهم بالكفر والشرك والمرجئة تسميهم بالايمان
وكان الحسن البصري واصحابه يسمونهم بالنفاق فاظهر واصل
القول بانهم فساق غير مؤمنين ولا كفار ولا منافقين وكان
عمرو بن عبيد من اصحاب الحسن فالتمس جمع بينه وبين واصل
ليتناظرا فيما اظهره من القول بالمنزلة بين المنزلتين فلما وقفوا
على الاجتماع ذكر ان واصلا اقبل ومعه جماعة من اصحابه
الى حلقة الحسن وفيها عمرو بن عبيد جالس فلما نظر الى واصل
وكان في عنقه طول واعوجاج قال ارى عنقا لا يفلح
صاحبها وسمع ذلك واصل فلما سلم عليه ~~فلما سلم عليه~~ قال
يا ابن اخي ان من عاب الصنعة عاب الصانع للتعلق الذي
بين الصنعة والصانع فقال له عمرو بن عبيد يا ابا حذيفة قد
وعظت فاحسنت ولن اعود الى مثل الذي كان مني وجلس
واصل في الحلقة وسئل ان يكلم عمرا فقال واصل لعمرو ولم
قلت ان من اتى كبيرة من اهل الصلاة استحق اسم النفاق فقال
عمرو لقول الله عز وجل والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا

باربعة شهدا فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا
واولئك هم الفاسقون ثم قال في موضع اخر ان المنافقين هم
الفاسقون فكان كل فاسق منافقا اذ كانت الالف واللام
للمعرفة موجودتين في الفاسق فقال له واصل الناس قد
وجدت الله تعالى يقول ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم
الظالمون واجمع اهل العلم على ان صاحب الكبيرة يستحق
اسم ظالم كما يستحق اسم فاسق فالا تكون صاحب الكبيرة
من اهل الصلوة بقول الله تعالى والكافرون هم الظالمون
كما قال في القاذف واولئك هم الفاسقون فسميته منافقا
لقوله تعالى ان المنافقين هم الفاسقون فامسك عمرو
ثم قال له واصل يا ابا عثمان ايما اولى ان تستعمل في اسماء المحدثين
من اسمائنا ما اتفق عليه اهل الفرق من اهل القبلة او ما اختلف
فيه فقال عمرو بل ما اتفقوا عليه اولى فقال له واصل
الست تجد اهل الفرق من اهل القبلة على اختلافهم يسمون
صاحب الكبيرة فاسقا ويختلفون فيما عدا ذلك من اسمائه
لان الخوارج تسميه مشركا فاسقا والشيعة تسميه
كافر نعمة فاسقا قال السيد رضي الله عنه يعني بالشيعة
الزيدية

الزيدية والمرجئة تسميه مومنا فاسقا والحسن يسميه منافقا
فاسقا فاجتمعوا على تسميته بالفسق واختلفوا فيما عدا ذلك من
اسمائه والواجب ان يسمى بالاسم الذي اتفق عليه وهو الفسق لاتفاق
المختلفين عليه ولا يسمى بما عدا ذلك من الاسماء التي اختلف فيها
فيكون صاحب الكبيرة فاسقا ولا يقال فيه انه مومن ولا منافق
ولا مشرك ولا كافر نعمة فهذا اشبه باهل الدين فقال
عمرو بن عبيد ما بيني وبين الحق عداوة والقول قولك فليشهد
علي من حضر اني تارك المذهب الذي كنت اذهب اليه من نفاق
صاحب الكبيرة من اهل الصلاة وقائل بقول ابي حذيفة
في ذلك واني قد اعتزلت مذهب الحسن في هذا الباب
فاستحسن الناس ذلك من عمرو وقيل ان اسم الاعتزال انما
اختص بهذه الفرقة لاعتزال عمرو بن عبيد واعتزالهم مذهب الحسن
ابن ابي الحسن في تسمية مرتكب الكبيرة من اهل الصلاة
بالنفاق وحكى غير ذلك وقيل ان قتادة بعد موت
الحسن البصري كان يجلس مجلسه وكان هو وعمرو بن عبيد
جميعا ممن يتقدم في اصحاب الحسن فجرت بينهما
نفرة فاعتزل عمرو مجلس قتادة واجتمع اليه جماعة من اصحاب

الحسن فكان قتادة اذا جلس مجلسه سال عن عمرو واصحابه فيقول ما
فعلت المعتزلة فسموا بذلك ٥ قال سيدنا الشريف رضي الله
عنه اما ما الزمه واصل بن عطاء لعمرو بن عبيد اولا فقد بينا لا نلزم
واما ما كلمه به ثانيا فغير واجب ولا لازم لان الاجماع وان
يوجد في تسمية صاحب الكبيرة بالنفاق او غير ذلك
من الاسماء كما وجد في تسميته بالفسق فغير ممتنع ان يسمى
بذلك لدليل غير الاجماع ووجود الاجماع في الشي وان كان
دليلا على صحته فليس فقده دليلا على فساده ٥ وواصل انما الزم
عمرا ان يعدل عن النفاق لا للاختلاف فيه ونقتصر على التسمية
بالفسق للاتفاق عليه وهذا باطل ولو لزم ذلك ما ذكرناه
للزمه ان يقال له قد اتفق اهل الصلاة على استحقاق
صاحب الكبيرة من اهل القبلة الذم والعقاب ولم يتفقوا
على استحقاقه للتخليد في العقاب وتقول انهم اجمعوا على استحقاقه
للعقاب ولم يجمعوا على فعل المستحق به فيجب ان اقول بما اتفقوا
عليه وانفي ما اختلفوا فيه فاذا قيل له استحقاقه للخلود او فعل
المستحق به من العقاب وان لم يجمعوا عليه فقد علم بدليل
غير الاجماع قيل له مثل ذلك فيما عول عليه وبطل على كل
حال

حال ان يكون الاختلاف في القول دليلا على وجوب الامتناع منه وهذا
ينتقض بما لا نلتزم ذكرها لطوله ٥ على ان المقدمة التي قدمها
لا تثبت ما الزمه عليها لان الاجماع اولى من الاختلاف في الموضع الذي
كلم عليه واصل عمرا في مكانين لان الاجماع هو على تسميته بالفسق
والاختلاف هو في تسميته بما عداه من الاسماء فلا تعارض بينهما
وله ان ياخذ بالاجماع في موضعه ويعول فيما الاختلاف فيه على
دلالة غير الاجماع لان فقد الاجماع من القول لا يوجب بطلانه ٥
وحكي ان واصلا كان يقول اراد الله من العباد ان يعرفوه ثم يعملوا
ثم يعلموا قال الله تعالى يا موسى اني انا ربك فعرفه نفسه ثم قال فاخلع
نعليك فبعد ان عرفه نفسه امره بالعمل قال والدليل على ذلك قوله
تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر علموا وعملوا وروى المبرد قال
حدثنا ان واصل بن عطاء اقبل في رفقة فاحسوا بالخوارج وكانوا
قد اشرفوا على العطب فقال واصل لاهل الرفقة ان هذا ليس من شانكم
فاعتزلوا ودعوني واياهم فقالوا شانك فقال الخوارج له
ما انت واصحابك قال مشركون مستجيرون ليسمعوا كلام
الله ويفهموا حدوده فقالوا قد اجرناكم قال فعلموا احكامكم وجعل

جبين

يعلمونه احكامهم وجعل يقول قد قبلت انا ومن معي قالوا فامضوا مصا
فانكم اخواننا قال لهم ليس ذلك لكم قال الله تعالى وان احد من المشركين
استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله ثم ابلغه مامنه فابلغونا
مامننا فساروا باجمعهم حتى بلغوهم الامن . وحكى ان محمدا
وابرهيم ابني عبد الله بن الحسن كانا ممن دعاهما واصل الى القول بالعدل
فاستجابا له وذلك لما حج واصل ودعا الناس بمكة والمدينة
وحكى ابو القاسم البلخي ان عبد الله قال لابنه محمد كل خصالك محمودة
يا بني الا قولك بالقدر فقال له يا ابه افتني اقدر على تركه
او لا اقدر على تركه فورد الكلام على رجل عاقل فقال لا اعاتبك
عليه ابدا . قال ابو القاسم البلخي يقول ان كنت اقدر على
تركه فهو اولى وان كنت لا اقدر فلم تعاتبني على شي لا اقدر عليه

فاما عمرو بن عبيد

فكنيته ابا عثمان وهو مولى لبني العدوية من بني تميم قال الجاحظ
وهو عمرو بن عبيد بن باب وباب نفسه من سبي كابل من
سبي عبد الرحمن بن سمرة وكان باب مولى لبني العدوية والسر
وكان ابوه عبيد شرطيا وكان عمرو متزهدا وكانا اذا اجتازا

هو

معا على الناس قالوا هذا شر الناس ابو خير الناس فيقول ابو عبيد صدقتم
هذا ابرهيم واما انا ابرح . قال علي بن الجعد هو عبيد بن باب وكان بوابا
للحكم بن ايوب وكان باب مكاتبا له دكان معروف يقال له دكان
باب وكان فارسيا وللفرزدق معه خبر مشهور تركنا ذكره
لشهرته ولغيرنيه . وذكر ابو الحسين الخياط ان مولد
عمرو بن عبيد وواصل بن عطا جميعا في سنة ثمانين قال
ومات عمرو بن عبيد في سنة اربع واربعين ومائة وهو ابن اربع
وستين سنة . وروي ان عمرا استاذن على المنصور فدخل عليه
الربيع فقال بالباب رجل فقال اي عمرو بن عبيد وكانت على المنصور
جبة يمانية مخففة فقال ويلك يا ربيع عمرو بالباب
قال نعم هات قميصا ابيض فاتاه به فالقاه عليه ثم قال له ذر
من خلفي فغط الجبة وازرر علي قال الربيع ولم اكن ارى
ان احدا يوقره المنصور حتى رايت عمرو بن عبيد قال فدخل
عليه رجل ادم مربوع الكدنة بين عينيه اثر السجود حسن
الادب حسن اللسان كانه لم يزل مع الملوك في توقيره الخليفة
واعظامه اياه قال فسلم فاجلسه المنصور بجانبه معه فابى وطرح
نفسه بين يديه فسأله واحتفى به فلما اراد عمرو القيام قال له اعطني

يا ابا عثمان واوجز فقال ان ما في يديك لست بوارثه عن احد وانما هو
شيء صار اليك وقد كان في يد غيرك قبلك ولو دام لك لبقي في يد الاول
والسلام ۝ وعن الاصمعي قال قال المطرف الوراق لعمرو بن عبيد
اني لارحمك مما يقول الناس فيك ۝ فقال عمرو اسمعتني اقول فيهم شيئا
قال لا قال فاياهم فارحم ۝ وقال خالد بن صفوان لعمرو بن عبيد
لم لا تاخذ مني فتقضي دينا ان كان عليك وتصل رحمك فقال له عمرو
اما ديني فليس علي واما صلة رحمي فلا تجب علي وليس عندي
قال فما يمنعك ان تاخذ مني قال يمنعني انه لم ياخذ احد من احد
شيئا الا ذل له وانا والله اكره ان اذل لك ۝ ويقال ان ابن لهيعة
اتى عمرو بن عبيد في المسجد الحرام فسلم عليه وجلس اليه وقال
له يا ابا عثمان ما تقول في قوله تعالى ولن تستطيعوا ان
تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فقال له ذلك في محبة القلوب
التي لا تستطيعها العبد ولا يكلفها ۝ فاما العدل بينهن
في القسمة من النفس والكسوة والنفقة فهو مستطيع
لذلك وقد كلفه بقوله تعالى فلا تميلوا كل الميل فيما
تطيقون فتذروها كالمعلقة بمنزلة من ليست ايما
ولا ذات زوج فقال ابن لهيعة هذا والله هو الحق ويقال ان

عمرو بن عبيد اتي بوزير يعزيه عن ابن له فقال ان اباك كان اصلك
وان ابنك كان فرعك وان امرا ذهب اصله وفرعه لحري ان يقل بقاؤه
فقيل ان عبد الله بن عبد الاعلى اخذ هذا المعنى فقال ۝

صحبتك قبل الروح اذ انا نطفة ... تصان فما تبدو والعين مصونها
ارى الارض دنيا للمنايا ودينها ... مطال اذا حلت بنفس ديونها
فماذا بقاء الفرع من بعد اصله ... ستلقى الذي لاقى الاصول غصونها

واول من سبق الى هذا المعنى امرؤ القيس في قوله ۝

فبعض اللوم عاذلتي فاني ... ستكفيني التجارب وانتسابي
الى عرق الثرى وشجت عروقي ... وهذا الموت يسلبني شبابي

واخذ ذلك لبيد في قوله ۝

فان انت لم تصدقك نفسك فانتسب ... لعلك تهديك القرون الاوائل
فان لم تجد من دون عدنان والدا ... ودون معد فلتزعك العواذل

قال قرات بخط ابن السكيت فلتزعك العواذل ولتزعك من
زاع يزوع بمعنى وزع ولتزعك من الزوع ۝ واخذه
ايضا في قوله ۝

يود ابنتاي ان يعيش ابوهما ... وهل انا الا من ربيعة او مضر

ونظر اليه محمود الوراق وابراهيم بن العباس الصولي فاما محمود

إذا ما انتسبت إلى آدم فلم يك بينكما من أب
وجانبت شوكك إلا بعين وصرت إلى الجانب الأجنب
ودب البياض خلال السواد فأصبحت في شبه الأشهب
فكيف تؤمل طول الحياة إذ كان حلمك لم يعزب

وأما ابن هشيم ففي قوله

نعى نفسي إلى أبي وحسب ابن منقلبي
لموعظة رآها في أبيه كما ابنٌ أبي

وكان أبا نواس لاحظ هذا المعنى في قوله

وما الناس إلا هالك وابن هالك وذو نسب في الهالكين عريق
إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

مجلس آخر

قال روي أن عمرو بن عبيد دخل على معوية بن عمرو الغلابي وهو يجود بنفسه فقال له إن الله تعبدك في حال الصحة بالعمل بجوارحك وقلبك ورفع عنك في هذه الحال عمل الجوارح ولم يكلفك إلا العمل بقلبك فأعطه بقلبك ما يجب عليك ٥ وروي أن قوما اجتمعوا إلى عمرو بن عبيد

فتذاكروا

فتذاكروا السخاء فأكثروا في وصفه وعمرو ساكت فسألوه عما عنده فقال ما أصبتم صفته إن السخي من جاد بماله تبرعا وكف عن أموال الناس تورعا ٥ وذكر إسحق بن الفضل الهاشمي قال إني لعلى باب المنصور يوما وإلى جنبي عمارة بن حمزة إذ طلع عمرو بن عبيد على حمار فنزل عن حماره ثم دفع البساط برجله وجلس دونه فالتفت إلي عمارة فقال لا تزال بصرتكم ترمينا منها بأحمق فما فصل كلامه من فيه حتى خرج الربيع وهو يقول أبو عثمان عمرو بن عبيد قال فوالله ما دل على نفسه حتى أرشد إليه فأتكاه يده ثم قال أجب أمير المؤمنين جعلت فداك فمر متوكئا عليه فالتفت إلى عمارة فقلت إن الرجل الذي استحمقت قد أدخل وتركنا فقال كثيرا ما يكون ذلك فأطال اللبث ثم خرج الربيع وهو متوكئ عليه والربيع يقول يا غلام حمار أبي عثمان فما برح حتى أقره على سرجه وضم إليه نشر ثوبه واستودعه الله فأقبل عمارة على الربيع فقال لقد فعلتم اليوم بهذا الرجل ما لو فعلتموه بولي عهدكم لقضيتم ذمامه قال فما غاب عنك مما فعل به أكثر وأعجب قال عمارة فإن اتسع لك الحديث

اتكاه [illegible] ... او جعله يتكا ٥

فحدثنا قال الربيع فما هو الا ان سمع الخليفة بمكانه فما امهل
حتى امر بمجلس ففرش لبود ثم انتقل اليه والمهدي معه عليه
سواده وسيفه ثم اذن له فلما دخل عليه سلم بالخلافة
فرد عليه وما زال يدنيه حتى اتكاه فخذه وتحفى به ثم سأله
عن نفسه وعن عياله يسميهم رجلا رجلا وامراة امراة ثم قال
له يا ابا عثمان عظنا فقال اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم
بسم الله الرحمن الرحيم والفجر وليال عشر ومر فيها الى اخرها وقال
ان ربك يا ابا جعفر بالمرصاد قال فبكى بكاء شديدا كانه لم
يسمع تلك الايات الا تلك الساعة ثم قال زدني فقال
ان الله قد اعطاك الدنيا باسرها فاشتر نفسك منه ببعضها
واعلم ان هذا الامر الذي قد صار اليك انما كان في يد من كان
قبلك ثم افضى اليك وكذلك يخرج منك الى من هو بعدك
واني احذرك ليلة تمخض صبيحتها عن يوم القيامة قال
فبكى اشد من بكائه الاول حتى جف جفناه ۞ وفي
رواية اخرى انه لما انتهى الى اخر السورة وقال ان ربك لبالمرصاد
يا امير المؤمنين لمن عمل مثل عملهم ان ينزل به مثل ما نزل بهم فاتق الله
فان من وراء بابك نيرانا تاجج من الجور ما يعمل فيها بكتاب الله

ولا بسنة

ولا بسنة رسول الله فقال يا ابا عثمان انا لنكتب اليهم في الطوامير
نامرهم بالعمل بالكتاب والسنة فان لم يفعلوا فما عسى ان نصنع فقال له مثل
اذن الفارة يجزيك من الطوامير الى الله تكتب اليهم في حاجة نفسك
فينفذونها وتكتب اليهم في حاجة الله فلا ينفذونها انك والله لو لم
ترض من عمالك الا بالعدل اذن لتقرب اليك به من لا نية له فيه ۞
قال المرتضى رضي الله عنه رجعنا الى تمام الحديث فقال له
سليمان بن مجالد رفقا يا امير المؤمنين فقد اتعبته منذ اليوم فقال
له عمرو بمثلك ضاع الامر وانتشر لا ابا لك وماذا خفت على
امير المؤمنين ان بكى من خشية الله ۞ وفي رواية
اخرى ان سليمان بن مجالد لما قال له ذلك رفع عمرو راسه
فقال له من انت فقال له ابو جعفر اذ لا تعرفه يا ابا عثمان قال لا
ولا ابالي ان لا اعرفه فقال هذا اخوك سليمان بن مجالد فقال
هذا اخو الشيطان ويلك يا ابن ام مجالد خزنت نصيحتك عن امير
المؤمنين ثم اردت ان تحول بينه وبين من اراد نصيحته يا امير
المؤمنين ان هولاء اتخذوك سلما لشهواتهم فانت كالآخذ بالقرنين
وغيرك يحلب فاتق الله فانك ميت وحدك وتحاسب وحدك
وتبعث وحدك ولن يغني هولاء عنك من ربك شيا فقال

له المنصور يا ابا عثمان اعني باصحابك استعن بهم فقال اظهر الحق
يتبعك اهله قال بلغني ان محمد بن عبد الله بن الحسن كتب
اليك كتابا قال قد جاءني كتاب يشبه ان يكون كتابه قال
فبماذا اجبته قال او ليس قد عرفت رأيي في السيف ايام كنت تختلف
الينا واني لا اراه قال اجل ولكن تحلف لي ليطمئن قلبي قال لئن كذبتك
تقية لأحلفن لك تقية قال له انت الصادق البار وقد امرت لك
بعشرة آلاف درهم تستعين بها على زمانك فقال لا حاجة لي فيها
قال والله لتأخذنها قال والله لا آخذنها فقال له المهدي يحلف
امير المؤمنين وتحلف فترك المهدي واقبل على المنصور وقال
من هذا الفتى فقال هذا ابني محمد وهو المهدي وهو ولي العهد فقال
والله لقد سميته اسما ما استحقه بعمل ولا قول والبسته
لبوسا ما هو من لبوس الابرار ولقد مهدت له امرا امتع ما يكون به
اشغل ما يكون عنه ۞ ثم التفت الى المهدي نعم يا ابن اخي اذا حلف
ابوك حلف عمك لان اباك اقدر على الكفارة من عمك
فقال المنصور يا ابا عثمان هل من حاجة قال نعم قال ما هي
قال ان لا تبعث الي حتى آتيك قال اذن لا نلتقي قال عن حاجتي
سألتني ثم ودعه ونهض فلما ولى اتبعه بصره وانشأ يقول ۞
كلكم

كلكم طالب صيد كلكم يمشي رويد
غير عمرو بن عبيد

وروي ان هشام بن الحكم قدم البصرة فاتى حلقة عمرو بن عبيد
فجلس فيها وعمرو لا يعرفه فقال لعمرو اليس قد جعل الله لك
عينين قال بلى قال ولم قال لانظر بهما في ملكوت السموات والارض
فاعتبر قال وجعل لك فما قال نعم قال ولم قال لاذوق الطعوم واجيب
الداعي ثم عدد عليه الحواس كلها ۞ ثم قال وجعل لك قلبا قال
نعم قال ولم قال لتؤدي اليه الحواس ما ادركته فيميز بينها قال
فانت لم يرض لك ربك تعالى اذ خلق لك خمس حواس حتى جعل
لها اماما ترجع اليه فكيف يرضى لهذا الخلق الذي جشا بهم
العالم ان لا يجعل لهم اماما يرجعون اليه فقال له عمرو ارتفع
حتى ننظر في مسألتك وعرفه ثم دار هشام في حلق البصرة فما
امسى حتى اختلفوا ۞ وروى ابو عبيدة قال دخل عمرو بن عبيد
على سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بالبصرة فقال له سليمان
اخبرني عن صاحبك يعني الحسن حين يزعم ان عليا عليه السلام
قال وددت اني كنت آكل الحشف بالمدينة ولم اشهد مشهدي هذا
يعني يوم صفين فقال له عمرو بن عبيد لم يقل هذا لانه ظن ان امير المؤمنين

عليه الناس شك ولكنه تقول وددت انه كان يأكل الخشف بالمدينة
ولم تكن هذه الفتنة قال فتقوله في عبد الله بن العباس تعيبنا في
القلة والقملة وطأتنا باموالنا في ليلة فقال له ولكيف تقول هذا
وابن عباس رحمه الله لم يفارق عليا عليه السلام حتى قتل
وشهد صلح الحسن بن علي عليه السلام لمعاوية واي مال
تجتمع في بيت مال البصرة مع حاجة علي عليه السلم
الى الاموال وهو يفرغ بيت مال الكوفة في كل خميس
ويرشه وقالوا انه كان يقيل فيه فكيف يترك المال المجتمع
بالبصرة وهذا باطل. قال الجاحظ نازع رجل
عمرو بن عبيد في القدر فقال له عمرو ان تعالى قال في كتابه
ما يزيل الشك عن قلوب المؤمنين في القضاء والقدر قال الله
تعالى فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون ولم يقل
لنسألنهم عما قضيت عليهم او قدرته فيهم او اردته منهم او شئته
لهم وليس هذا الا الاقرار بالعدل والسكوت عن الجور الذي
لا يجوز على الله تعالى. قال خلاد الارقط حدثني
زميل بن عمرو بن عبيد قال سمعته في الليلة التي مات فيها
يقول اللهم ان كنت تعلم اني لم يعرض لي امران قط احدهما

لك فيه رضى والآخر لي فيه هوى الا قدمت رضاك على هواي فاغفر
لي. ومر ابو جعفر المنصور على قبره بمران وهو موضع على
ليال من مكة على طريق البصرة فانشأ يقول.

صلى الإله عليك من متوسد قبرا مررت به على مران
قبرا تضمن مؤمنا متخشعا عبد الإله ودان بالفرقان
واذا الرجال تنازعوا في شبهة فصل الخطاب بحكمة وبيان
فلو ان هذا الدهر ابقى صالحا ابقى لنا عمرا ابا عثمان

واما ابو الهذيل العلاف

فهو محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي وقال ابو القاسم
البلخي هو مولى عبد القيس وولد في سنة اربع وثلثين ومائة وقال
ابو الحسين الخياط ولد سنة احدى وثلثين ومائة. وقيل
انه توفي في اول ايام المتوكل سنة خمس وثلثين ومائتين وكانت سنه
مائة سنة. قال البرذعي لحق ابا الهذيل في اخر عمره خرف
الا انه لم يكن يذهب عليه معرفة المذهب والقيام بحجته ولقد
تبصر قبل وفاته. واخذ ابو الهذيل الكلام عن عثمان الطويل
صاحب واصل بن عطاء وقيل ان ابا الهذيل في حداثته بلغه ان رجلا

يهوديا قدم البصرة وقطع جماعة من متكلميها فقلت لعمي يا عم
امض بي إلى هذا اليهودي حتى أكلمه فقال لي يا بني كيف
تكلمه وقد عرفت خبره وأنه قطع مشايخ المتكلمين فقال
لا بد من أن تمضي بي إليه فمضى بي إليه قال فوجدته يقرر الناس
على نبوة موسى عليه السلم فإذا اعترفوا له بها قال نحن على ما
اتفقنا عليه إلى أن نجتمع على ما تدعونه فتقدمت إليه
فقلت أسألك أم تسألني فقال بل أسألك فقلت ذاك إليك
فقال أتعترف أن موسى نبي صادق أم تنكر ذلك فتخالف
صاحبك فقلت له إن كان موسى الذي تسألني عنه هو الذي بشر
بنبيي عليه السلم وشهد بنبوته وصدقه فهو نبي صادق
وإن كان غير من وصفت فذلك شيطان لا أعترف بنبوته
فورد عليه ما لم يكن في حسابه فقال لي أتقول إن التوراة
حق فقلت هذه المسألة تجري مجرى الأولى إن كانت
هذه التوراة التي تسألني عنها هي التي تتضمن البشارة
بنبيي محمد عليه السلام فتلك حق وإن لم تكن كذلك فليست
بحق ولا أقر بها فبهت وأفحم ولم يدر ما يقول ثم قال لي أحتاج
أن أقول لك شيئا بيني وبينك فظننت أنه يقول شيئا من

الخبر

الخبر فتقدمت إليه فسارني فقال لي أمك كذي وكذي وأم
من علمك لا يكني وقد ظن أني أثب به فيقول وثبوا بي وشغبوا علي فأقبلت
على من كان في المجلس فقلت أعزكم الله ألستم قد وقفتم على مسألته
إياي وعلى جوابي إياه قالوا بلى قلت أفليس عليه أن يرد جوابي أيضا
قالوا بلى قلت لهم فإنه لما سارني شتمني بالشتم الذي يوجب الحد
وشتم من علمني وإنما قد ظن أني أثب عليه فيدعي أننا واثبناه وشغبنا
عليه وقد عرفتكم شأنه بعد الانقطاع فانصرف وفي ما أخذته
الأيدي من كل جهة فخرج هاربا من البصرة وعن أبي
العيناء قال قال أبو الهذيل ما معنى الخسف فقلت أن تنقلب
الأرض أعلاها أسفلها فقال إن لم يكن هذا اليوم بالأرض
فإنه بالناس وقال أبو الهذيل قال لي المعذل بن غيلان
العبدي وكان من سادة عبد القيس وكان يجتمع إليه
أهل النظر يا أبا الهذيل إن في نفسي شيئا من قول القوم في
الاستطاعة فبين لي ما يذهب بالريب عني فقال له خبرني عن
قول الله تعالى وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم
يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون هل يخلو من أن
يكونوا كذبهم لأنهم مستطيعون للخروج وهم يكذبون

لسنا نستطيع ولو استطعنا لخرجنا فاكذبهم الله تعالى على هذا
الوجه او يبلون على وجه اخر يقول انهم لكاذبون اي ان
اعطيتهم الاستطاعة لن يخرجوا فيكون معهم الاستطاعة
على الخروج ولا يبلون الخروج ولا يعقل للاية معنى ثالث غير
الوجهين اللذين ذكرنا ٭ وحكى سليمان الرقي ان ابا
الهذيل لما ورد سر من راى نزل في غرفة الى ان نطلب له دار
تصلح له قال فمررت به فقلت له يا ابا الهذيل اتنزل في مثل هذا
المنزل فانشدني ٭

يقولون زين المرء ما في رحله الا ان زين الرحل يا فتى راكبه

وعن مجالد قال رايت رجلا وقد سال ابا الهذيل وهو في الوراقين
بالبصرة وصاح فقال له من جمع بين الزانيين فقال له يا ابن
اخي انا بالبصرة فانهم يقولون القوادون ولا احسب
اهل بغداد يخالفونهم في هذا القول فما تقول انت فخجل الرجل
وسكت ٭ وقال ابو الهذيل قلت لرجل ممن ينفي الخبر كله
ولم يسمه وزعم قوم انه الاصم حدثني عن قول الله الزانية
والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة وذكر القاذف
فقال اجلدوهم ثمانين جلدة فايهما اكثر قال جلد الزاني

فقلت

فقلت بكم قال بعشرين قال فحدثني عن الجلد امن يد الجلاد قال
لا قلت افهو السوط قال لا قلت فهو ظهر المجلود قال لا قلت افهو
الانفراج الذي بين السوط وظهر المجلود قال لا قلت افثم شي
اخر غير هذا الجلد قال لا قال فانما تقول لا شي اكثر من لا
شي بعشرين فانقطع ٭ وقال ابو الهذيل قلت لمجوسي ما تقول
في النار قال بنت الله قلت فالبقر قال ملائكة الله قص
اجنحتها وحطها الى الارض يحرث عليها فقلت فالماء قال
نور الله قلت فما الجوع والعطش قال انما فقر الشيطان وفاقته
قلت فمن يحمل الارض قال بهمن الملك قلت فما في الدنيا شر
من المجوس اخذوا ملائكة الله فذبحوها ثم غسلوها بنور الله
ثم شووها ببنت الله ثم دفعوها الى فقر الشيطان وفاقته
ثم سلحوها على راس بهمن اعز ملائكة الله فانقطع المجوسي
وخجل مما لزمه ٭ ودخل ابو الهذيل يوما على الحسن بن سهل
بفم الصلح وعنده فتى قد رفع مجلسه فقال ابو الهذيل من هذا
الفتى الذي قد تعمد الامير للتنويه بمعرفة حقه ٭
قالوا رجل من اهل النجوم قال من اهل صناعة الحساب ام
الاحكام قال الاحكام قال ذلك علم باطل افاسله قال

سلة فاخذ ابو الهذيل تفاحة من بين يديه وقال اكل هذه
التفاحة ام لا قال بل كلها فوضعها ابو الهذيل وقال لست اكلها
قال فتعيدها الى يدك واعيد النظر فوضعها واخذ غيرها
فقال له الحسن لم اخذت غيرها قال لئلا تقول لي لا تاكلها
فاكلها خلافا عليه فتقول لي قد اصبت في المسالة الاولى
وقال النعمان الثنوي يوما لابي الهذيل دل على حدث العالم
بغير الحركة والسكون فقال له ابو الهذيل مثلك مثل
رجل قال لخصمه احضر معي الى القاضي ولا تحضر بينتك
وذكر محمد بن الجهم صاحب الفتاء قال رايت ابا الهذيل
وقد جا الى الديوان في ايام المامون فسال سهل بن هرون
ابن راهبون ان يكتب له كتابا في حاجة له الى
حفصويه صاحب الجيش ونهض ابو الهذيل فاملى على
سهل بن هرون

ان الضمير اذا سالتك حاجة لابي الهذيل خلاف ما ابدي
فاذا اتاك لحاجة فامدد له حبل الرجاء بمخلف الوعد
والن له كنفا ليحسن ظنه في غير منفعة ولا رفد
حتى اذا طالت شقاوة حاله وجفا الغنى فاجبهه بالرد

وان استطعت له المضرة فاجتهد فيما يضر بابلغ الجهد
وانظر كلامي فيه وائتم به خلف الرجا بامنك في البعد
وكذاك فافعل غير محتشم ان جئت اسال في ابي الهذيل

قال السيد رضي الله عنه ويشبه هذا المعنى ما اخبرنا به
ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابي الازهر قال حدثنا
ابو العيناء قال كان لي صديق فجاءني يوما فقال لي اريد الخروج الى
فلان العامل واحببت ان يكون معي اليه وسيلة وقد
سالت من صديقه فقيل لي ابو عثمان الجاحظ وهو صديقك
فاحب ان تاخذ لي كتابه اليه بالعناية قال فصرت
الى الجاحظ فقال لي في اي شي جا ابو عبد الله فقلت مسلما
وقاضيا للحق وفي حاجة لبعض اصدقائي وهي كذا وكذا
فقال لا تشغلنا الساعة عن المحادثة فاني في غد اوجه اليك
بالكتاب فلما كان من الغد وجه الي بالكتاب مختوما فقلت
لابني وجه بهذا الكتاب الى فلان ففيه حاجته فقال لي
ان ابا عثمان بعيد الغور فينبغي ان نفضه وننظر ما فيه
ففعلت فاذا في الكتاب هذا الكتاب مع من لا اعرفه وقد
كلمني فيه من لا اوجب حقه فان قضيت حاجته لم احمدك

وان تردد ثم اذ نمك فلما قرأت الكتاب مضيت من فوري الى
الجاحظ فقال لي يا ابا عبد الله قد علمت انك انكرت ما
في الكتاب فقلت اوليس موضع نكرة فقال
لا هذه علامة بيني وبين الرجل فيمن اعتني به فقلت لا
والله ما رأيت رجلا اعلم بطبعك وما جبلت عليه
من هذا الرجل اعني صاحب الحاجة اعلمت انه لما
قرأ الكتاب قال ام الجاحظ عشرة الف وام من يسأل له
فقلت له يا هذا اتشتم صديقنا فقال هذه علامتي
فيمن اشكره ٭ وفي رواية اخرى ان ابا العيناء سلم
الكتاب الى صاحب الحاجة وقال له فض الكتاب
فقال انه مختوم فقال ابو العيناء طينته اهون من طينته
قال السيد رضي الله عنه واظن ان ابا العيناء
نبهه على فض الكتاب وقرأته لخبر طرفة بن
العبد والمتلمس الضبعي المشهورين وذلك انهما وفدا
على عمرو بن هند فنادماه واختصا به ثم افضى الامر الى ان
هجاه كل واحد وعرض بشتمه في الشعر المشهور في الرواية
فحنق عليهما وهم بقتلهما ثم اشفق من ذلك واراد قتلهما

بيد غيره

بيد غيره وكان على طرفة احنق فعلم انه ان قتله هجاه المتلمس
فكتب لهما كتابين الى البحرين وقال اني قد كتبت لكما بصلة
فاشخصا لقبضها فخرجا من عنده والكتابان في ايديهما
فمرا بشيخ جالس على ظهر الطريق يتكشف ببطن ومعه
كسرة خبز ياكل منها ويتناول القمل من ثيابه فيقصعه
فقال احدهما لصاحبه هل رأيت اعجب من هذا الشيخ فسمع الشيخ
مقالته فقال وما ترى من عجبي ادخل طيبا واخرج خبيثا واقتل
عدوا وان اعجب مني من يحمل حتفه بيده وهو لا يدري فاوجس
المتلمس في نفسه خيفة وارتاب بكتابه فلقيه غلام من اهل
الحيرة فقال له اتقرأ يا غلام قال نعم ففض خاتم كتابه
ودفعه الى الغلام فقرأه فاذا فيه اذا اتاك المتلمس فاقطع يديه
ورجليه واصلبه حيا فاقبل على طرفة فقال له تعلم
والله لقد كتب فيك مثل هذا فادفع كتابك الى الغلام
يقرأه عليك فقال كلا والله ما كان ليجترئ على قومي بمثل
هذا ولم يلتفت الى قول المتلمس فالقى المتلمس كتابه في
نهر الحيرة وقال ٭
قذفتها بالثني من جنب كافر كذلك اقنو كل قط مضلل

رضيت لها بالماء لما رأيتها ... يجول بها التيار في كل جدول
كافر نهر بالحيرة وأقنو أقتني والقط الكتاب والتيار معظم
الماء وكثرته وقال المتلمس أيضا
من مبلغ الشعراء عن أخويهم ... نبأ فتصدقهم بذاك الأنفس
أودى الذي علق الصحيفة منهما ... ونجا حذار حبائه المتلمس
ألقى صحيفته ونجت كورها ... وجناء مجمرة المناسم عرمس
عيرانة طبخ الهواجر لحمها ... فكأن نقبتها أديم أملس
أطرفة بن العبد إنك جاهل ... إن الباحة الملك الهمام تمرس
ألق الصحيفة لا أبا لك إنه ... يخشى عليك من الحباء النقرس
النقرس ههنا الداهية ومضى طرفة بكتابه إلى البحرين
فأمر به المعلى بن حنش العبدي فقتل فقال المتلمس
عصاني فلا ألقى رشادا وإنما ... تبين في أمر الغوي عواقبه
فأصبح محمولا على ظهر آلة ... تمج نجيع الجوف منه ترائبه
فإن لا تخللها تعالوك فوقها ... وكيف توقى ظهر ما أنت راكبه
ولحق المتلمس ببلاد الشام وهجا عمرا وبلغه أن عمرا يقول لئن
وجد بالعراق ليقتلنه فقال
آليت حب العراق الدهر أطعمه ... والحب يأكله في القرية السوس

وجرى المثل بصحيفة المتلمس فقال الفرزدق يذكر الشعراء
الذين أورثوه أشعارهم
وهب القصائد لي النوابغ إذ مضوا ... وأبو يزيد وذو القروح وجرول
وأخو بني قيس وهن قتلنه ... ومهلهل الشعراء ذاك الأول
يعني بالنوابغ النابغة الذبياني والنابغة الجعدي وذو القروح
امرؤ القيس وأخو بني قيس هو طرفة ومعنى قوله وهن قتلنه
يعني القصائد التي هجا بها عمرو بن هند ويقال إن صاحب
المتلمس وطرفة في هذه القصة هو النعمان بن المنذر
وذلك أشبه بقول طرفة
أبا منذر كانت غرورا صحيفتي ... ولم أعطكم في الطوع مالي ولا عرضي
أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا ... حنانيك بعض الشر أهون من بعض
وأبو منذر هو النعمان بن المنذر وكان النعمان بعد عمرو بن هند
وقد مدح طرفة النعمان ولا يجوز أن يكون عمرو قتله ويشبه
أن يكون القصة مع النعمان

مجلس آخر

وكان أبو سهل بشر بن المعتمر من وجوه أهل الكلام ويقال إن جميع

معتزلة بغداد كانوا من مستجيبيه وقال ابو القاسم البلخي
انه من اهل بغداد وقيل من اهل الكوفة ٭ وذكر الجاحظ
انه كان ابرص ٭ وحكي انه كان يوما في مجلسه وعنده جماعة
من اصحابه ومعهم مجبر فسالهم ويقول انتم تحمدون الله
على ايمانكم وهم يقولون نعم فيقول لهم فكانه يحب ان
يحمد على ما لم يفعله وقد ذم ذلك في كتابه فيقولون
انما ذم من احب ان يحمد على ما لم يفعله مما لم يعن عليه ولم يدع
اليه وهو يتعجب اذ اقبل ثمامة بن اشرس فقال بشر للمجبر
قد سالت القوم واجابوك وهذا ابو معن فاساله فساله عن المسالة
وقال له هل يجب عليك ان تحمد الله على الايمان قال لا بل هو
يحمدني عليه لانه امرني به ففعلته وانا احمده على الامر به والتقوية
عليه والدعاء اليه فانقطع المجبر فقال بشر شنعت فسهلت ٭
قال الجاحظ وكان بشر يتبع في ابي الهذيل العلاف
وينسبه الى النفاق فقال وهو يصفه ابو الهذيل لان يكون لا يعلم
وهو عند الناس يعلم احب اليه من ان يعلم ويكون عند الناس
لا يعلم ولان يكون من السفلة وهو عند الناس من العلية احب
اليه من ان يكون من العلية وهو عند الناس من السفلة ولان

يكون نبيل المنظر سخيف المخبر احب اليه من ان يكون نبيل المخبر
سخيف المنظر وهو بالنفاق اشد عجبا منه بالاخلاص ولباطل يقوله
احب اليه من حق مدفوع ٭ ولبشر اشعار كثيرة يحتج فيها على اهل
المقالات ٭ وذكر الجاحظ انه لم ير احدا اقوى من المخمس والمزدوج
على ما قوي عليه بشر وانه كان اكثر في ذلك واقدر من ابان
اللاحقي وهو القائل

ان كنت تعلم ما اقول وما تقول فانت عالم
او كنت تجهل ذا وذاك فكن لاهل العلم لازم
اهل الرياسة من ينازعهم رياستهم فظالم
سهرت عيونهم وانت عن الذي قاسوه حالم
لا تطلبن رياسة بالجهل انت لها مخاصم
لولا مقامهم رايت الدين مضطرب الدعائم

واما ابو اسحق

ابراهيم بن سيار النظام فانه كان مقدما في العلم بالكلام حسن
الخاطر فيه شديد التدقيق والغوص على المعاني وانما اداه الى
المذاهب الباطلة التي تفرد بها واستبشعت منه تدقيقه

ويتغلغله وقيل انه مولى الزياديين من ولد العبيد وان الرق جرى
على اجداد ابيه ۞ وقيل للنظام ما الاختصاص فقال الذي
اختصاصه فاذن ۞ وقيل لرجل اتعرف فلانا المجوسي فقال
نعم ذاك الذي حلق وسط راسه كما يفعل اليهودي فقال
النظام لا مجوسي عرفت ولا يهودي وصفت ۞ قال
الجاحظ وذكر النظام عبد الوهاب الثقفي فقال
هو احلى من امن بعد خوف وبرء بعد سقم وخصب بعد جدب
وغنى بعد فقر وطاعة المحبوب وفرج المكروب
ومن الوصل الدائم مع الشباب الناعم ۞ وللنظام شعر كثير
صالح فمنه ۞

يا تاركي جسدا بغير فؤاد اسرفت في الهجران والابعاد
ان كان يمنعك الزيارة اعين فادخل الي بعلة العواد
كيما اراك وتلك اعظم نعمة ملكت يداك بها تشييع فؤادي
ان العيون على القلوب اذا جنت كانت بليتها على الاجساد

وله ۞

تامله طرفي فآلم خده فكان مكان الوهم من نظري اثر
وصافحه قلبي فآلم كفه فمن صفح قلبي في انامله عقر

ومر بقلبي

ومر بقلبي خاطر فجرحته ولم ار خلقا قط يجرحه الفكر
يمر فمن لين وحسن تعطف يقال به سكر وليس به سكر

ويقال ان ابا العتاهية قال انشدت النظام ۞

اذا بهر النديم له بلحظ تمثلت في محاسنه الكلوم

فقال ينبغي ان ينادم هذا اعمى ۞ قال السيد رضي الله عنه وابيات النظام
تتضمن معنى بيت ابي العتاهية ولسنا ندري ايهما اخذ من صاحبه
والنظام يكرر هذا المعنى كثيرا في شعره فمن ذلك قوله

رق فلو بزت سرابيله علقه الجو من اللطف

يعني ان في سرابيله ثقلا واعتمادا باقيا فلو بزت لعلقه الجو

يجرحه اللحظ بتكراره ويشتكي الايماء بالطرف

وحكي ان النظام جيء به وهو حدث الى الخليل بن احمد ليعلمه فقال
له الخليل يوما يمتحنه وفي يده قدح زجاج يا بني صف لي هذه
الزجاجة فقال بمدح ام بذم قال بمدح قال نعم تريك القذى
ولا تقبل الاذى ولا تستر ما ورا قال فذمها قال سريع
كسرها بطيء جبرها ۞ قال فصف هذه النخلة واوما الى نخلة
في داره فقال بمدح ام بذم قال بمدح قال حلو مجتناها باسق
منتهاها ناضر اعلاها قال فذمها قال هي صعبة المرتقى

بعيدة المجتنى مخوفة بالأذى وقال الخليل يا بني نحن الى التعلم منك أحوج ٥ قال المرتضى رضي الله عنه هذه بلاغة من النظام حسنة لأن البلاغة هي وصف الشيء ذمًّا أو مدحًا بأقصى ما يقال فيه ٥ ويشبه بهذا المعنى خبر لبيد المشهور في مجابه للبقلة التي امتحن بهجائها واختبر بذمها فقال فيها أبلغ ما يقال في مثلها وذلك أن عمارة وأنسًا وقيسًا والربيع بني زياد العبسيين وفدوا على النعمان بن المنذر ووفد عليه العامريون بنو أم البنين وعليهم أبو البراء عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب وهو ملاعب الأسنة وكان العامريون ثلثين رجلًا وفيهم لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب وهو يومئذ غلام له ذوابة وكان الربيع بن زياد العبسي ينادم النعمان ويكثر عنده ويتقدم على من سواه وكان يدعى الكامل لشطاطه وبياضه وكماله فضرب النعمان قبته على أبي براء وأجرى عليه وعلى من كان معه النزل وكانوا يحضرون النعمان لحاجتهم فافتخروا يومًا بحضرته فكاد العبسيون يغلبون العامريين وكان الربيع إذا خلا بالنعمان طعن فيهم وذكر معايبهم ففعل ذلك مرارًا لعداوته لبني جعفر لأنهم كانوا

اسره

[illegible]

أسروه فصد النعمان عنهم حتى نزع القبة عن أبي براء وقطع النزل ودخلوا عليه يومًا فرأوا منه جفاءً وقد كان قبل ذلك يكرمهم ويقدم مجلسهم فخرجوا من عنده غضابًا وهمّوا بالانصراف ولبيد في رحالهم يحفظ أمتعتهم ويغدو بإبلهم فيرعاها فإذا أمسى انصرف بها فأتاهم تلك الليلة وهم يتذاكرون أمر الربيع فقال لهم ما لكم تتناجون فكتموه وقالوا له إليك عنا فقال أخبروني فلعل لكم عندي فرجًا فزجروه فقال لا والله لا أحفظ لكم متاعًا ولا أسرح لكم بعيرًا أو تخبروني وكانت أم لبيد عبسية في حجر الربيع فقالوا له إن خالك قد غلبنا على الملك وصد عنا وجهه فقال لهم هل تقدرون أن تجمعوا بيني وبينه غدًا حين يقعد الملك فأرجز به رجزًا ممضًّا مؤلمًا لا يلتفت إليه النعمان بعده أبدًا قالوا له وهل عندك ذلك قال نعم قالوا فإنا نبلوك بشتم هذه البقلة وقدامهم بقلة دقيقة القضبان قليلة الورق لاصقة فروعها بالأرض تدعى التربة فاقتلعها من الأرض وأخذها بيده وقال هذه البقلة التربة التفلة الرذلة التي لا تذكي نارًا ولا تؤهل دارًا ولا تسر جارًا عودها ضئيل وفرعها كليل وخيرها قليل بلدها شاسع ونبتها خاشع وآكلها جائع والمقيم عليها قانع أقصر البقول فرعًا وأخبثها مرعى وأشدها

ملعا فجرا بالجآزها وجدعا الفوادي لاخا بني عبس ان رجعه عنكم بنفس
ونكس واتركه من امره في لبس فقالوا نصبح ونرى فيك راينا
فقال لهم عامر انظروا الى غلامكم هذا فان رايتموه نائما فليس امره
بشي انما يتكلم بما جرى على لسانه وان رايتموه ساهرا فهو صاحبكم
فرمقوه بابصارهم فوجدوه وقد ركب رحلا يكدم
واسطته حتى اصبح فلما اصبحوا قالوا انت والله صاحبه فحلقوا
راسه وتركوا له ذوابتين والبسوه حلة وغدوا به معهم فدخلوا
على النعمان فوجدوه يتغدى ومعه الربيع ليس معه غيره والدار
والمجالس مملوءة بالوفود فلما فرغ من الغداء اذن للجعفريين فدخلوا
عليه والربيع الى جانبه فذكروا للنعمان حاجتهم فاعترضهم الربيع
في كلامهم فقام لبيد وقد دهن احدى شقي راسه
وارخى ازاره وانتعل نعلا واحدة وكذلك كانت الشعرا تفعل
في الجاهلية اذا ارادت الهجا فمثل بين يديه ثم قال

يا رب هيجا هي خير من دعه — اذ لا تزال هامتي مقزعه
نحن بني ام البنين الاربعه — ونحن خير عامر بن صعصعه
المطعمون الجفنة المدعدعه — والضاربون الهام تحت الخيضعه
مهلا ابيت اللعن لا تاكل معه — ان استه من برص ملمعه

وانه يدخل

وانه يدخل فيها اصبعه — يدخلها حتى يواري اشجعه
كانما يطلب شيا ضيعه

فلما فرغ لبيد التفت النعمان الى الربيع يرمقه شزرا فقال اكذاك انت
قال كذب والله ابن الحمق اللئيم فقال النعمان اف لهذا الطعام لقد
خبث علي طعامي فقال الربيع ابيت اللعن اما اني قد فعلت بامه ولا
يكني وكانت في حجره فقال لبيد انت لهذا الكلام
اهل اما انها من نسوة غير فعل وانت المرء قال هذا في يتيمة
قال السيد رضي الله عنه ووجدت في رواية
اخرى اما انها من نسوة فعل وانما قال ذلك لانها كانت من قوم
الربيع فنسبها الى القبح وصدق فيه عليها ثم بحثا له ولقومه
فامر الملك بهم جميعا فاخرجوا واعاد على ابي برا القبة
وانصرف الربيع الى منزله فبعث اليه النعمان بضعف ما كان
يحبوه به وامره بالانصراف الى اهله فكتب اليه اني قد تخوفت
ان يكون قد وقع في صدرك ما قال لبيد ولست برائم حتى تبعث الي
من يجردني ليعلم من حضرك من الناس اني لست كما قال
فارسل اليه انك لست صانعا بانتفائك مما قال لبيد شيا ولا
قادرا على رد ما زلت به الالسن فالحق باهلك ثم كتب

اليه النعمان في جملة ابيات عن ابيات كتبها اليه الربيع مشهورة
شتمتني خالك عني حيث شئت ولا تكثر علي ودع عنك الاباطيلا
قد قيل ذلك ان حقا وان كذبا فما اعتذارك من شيء اذا قيلا
واخبرنا بهذا الخبر ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن
الحسن بن دريد قال اخبرنا ابو حاتم عن ابي عبيدة
واخبرنا به ايضا المرزباني قال حدثني محمد بن احمد الكاتب قال
حدثنا احمد بن عبيد بن ناصح النحوي قال اخبرنا محمد بن زياد
ابن زياد الاعرابي عن الكلبي عن عبد الله بن مسلم البكائي وكان
قد ادرك الجاهلية وفي حديث كل واحد منهم زيادة على الاخر
ولم نات بالجميع الخبر على وجهه بل اسقطنا منه ما لم يحتج اليه
واوردنا ما اوردنا منه بالفاظه قال المرتضى رضي الله
عنه اما قوله نحن بني ام البنين فانه نصب على المدح
والعرب تنصب على المدح والذم جميعا وام البنين هي بنت
عمرو بن عامر بن ربيعة بن صعصعة وكانت تحت مالك بن
جعفر بن كلاب فولدت له عامر بن مالك ملاعب الاسنة
وطفيل بن مالك فارس قرزل وهو ابو عامر بن الطفيل وفرزل اسم فرس
كانت له وربيعة بن مالك ابا لبيد وهو ربيع المقترين ومعوية بن

مالك معود الحكام وانما سمي معود الحكام بقوله
اعود مثلها الحكام بعدي اذا ما الحق في الاشياع نابا
وولدت عبيدة الوضاح فهؤلاء خمسة وقال لبيد اربعة لان الشعر لا يمكنه
من غير ذلك فاما الجفنة المدعدعة فهي المملوءة واما الخبضعة
فان الاصمعي يذكر ان لبيدا قال يخت الخضعة يعني الجلبة فغيره
الرواة وقيل ان الخبضعة اصوات وقع السيوف والخبضعة
ايضا البيضة التي تلبس على الراس والخبضعة الغبار والقول يحتمل
على ذلك واما ابيت اللعن فان ابا حاتم قال سالت الاصمعي عنه
فقال معناه ابيت ان تاتي من الامور ما تلعن عليه واما الاشاجع
فهي العروق والعصب الذي على ظهر الكف وقد روى
اكل يوم هامتي مقزعة
والقزع تساقط بعض الشعر والصوف وبقاء بعضه يقال كبش اقزع
وانا قد تقزعا

فاما الجاحظ

فهو ابو عثمان عمرو بن بحر ابن محبوب مولى لابي القلمس عمرو بن
قلع الكناني ثم الفقيمي وذكر المبرد انه ما راى احرص

على العلم من ثلثة الجاحظ والفتح بن خاقان واسمعيل بن اسحق القاضي
فاما الجاحظ فانه كان اذا وقع في يده كتاب قراه من اوله الى اخره
اي كتاب كان ۞ واما الفتح بن خاقان فكان يحمل الكتاب في
خفه فاذا قام من بين يدي المتوكل للبول او للصلوة اخرج الكتاب
فنظر فيه وهو يمشي حتى يبلغ الموضع الذي يريده ثم يصنع
مثل ذلك في رجوعه الى ان ياخذ مجلسه ۞ واما اسمعيل
ابن اسحق القاضي فاني ما دخلت عليه قط الا وفي يده كتاب ينظر
فيه او يقلب الكتب لطلب كتاب ينظر فيه ۞
قال البلخي تفرد الجاحظ بالقول بان المعرفة طباع وهي مع
ذلك فعل للعباد على الحقيقة وكان يقول في سائر الافعال
انها تنسب الى العباد على انها وقعت منهم طباعا وانما
وجبت بارادتهم وليس بجائز ان يبلغ احد فلا يعرف الله تعالى ۞
والكفار عنده من معاند ومن عارف قد استغرقه حبه
لمذهبه وشغفه به والفه وعصبيته فهو لا يشعر بما عنده
من المعرفة بخلافه ۞ وكان الجاحظ ملازما لمحمد بن
عبد الملك الزيات وكان منحرفا عن احمد بن ابي دواد
للعداوة التي بين احمد ومحمد فلما قبض على محمد بن الزيات هرب

الجاحظ

الجاحظ فقيل له لم هربت فقال خفت ان اكون ثاني اثنين اذ هما
في التنور يريد ما صنع بمحمد بن الزيات من ادخاله تنورا فيه
مسامير كان هو صنعه ليعذب الناس فيه فعذب به حتى
مات ۞ وروي انه اتي بالجاحظ بعد موت ابن الزيات
وفي عنقه سلسلة وهو مقيد في قميص سمل فلما نظر
اليه ابن ابي دواد قال والله ما علمتك الا متناسيا للنعمة كفورا
للصنيعة معددا للمساوي وما فتني باستصلاحي لك ولكن
الايام لا تصلح منك لفساد طويتك ورداءة داخلتك وسوء
اختيارك وغالب طبعك ۞ فقال الجاحظ خفض عليك
ايدك الله فوالله لان يكون لك الامر علي خير من ان يكون
لي عليك ولان اسيء وتحسن احسن في الاحدوثة عنك من ان
احسن فتسيء ولان تعفوا عني في حال قدرتك اجمل بك من
الانتقام مني فقال له ابن ابي دواد قبحك الله فوالله ما علمتك الا كثير
تزويق اللسان وقد جعلت بيانك امام قلبك ثم اصطغنت فيه
النفاق والكفر يا غلام صر به الى الحمام وامط عنه الاذى
فاخذت عنه السلسلة والقيد وادخل الحمام وحمل اليه تخت من
ثياب وطويلة وخف فلبس ذلك ثم اتاه فصدره في مجلسه

ثم أقبل عليه وقال هات الآن حدثنا يا أبا عثمان • وقال المبرد
سمعت الجاحظ يقول اجتنب من تأمن فإنك على حذر ممن تخاف
وقال الجاحظ قلت لأبي يعقوب الخريمي الشاعر من خلق المعاصي
قال الله قلت فمن عذب عليها قال الله قلت فلم قال لا أدري والله •
وكان الجاحظ يقول ينبغي للكاتب أن يكون رقيق حواشي
الكلام عذب ينابيعه إذا حاور سدد سهم الصواب إلى غرض
المعنى • وقال لا تكلم العامة بكلام الخاصة ولا الخاصة
بكلام العامة • وقال سوار بن أبي شراعة كنت عند
الجاحظ فرآني أكتب خطا رديا في ورق ردي متقارب
السطور فقال لي ما أحسبك تحب ورثتك فقلت وكيف
ذاك قال لأني أراك تشقيهم فيما تخلفه • وذكر أبو العباس
المبرد قال سمعت الجاحظ يقول لرجل آذاه أنت والله أحوج
إلى هوان من كريم إلى إكرام ومن علم إلى عمل ومن
قدرة إلى عفو ومن نعمة إلى شكر • وقال المبرد قال لي
الجاحظ يوما أتعرف مثل قول إسماعيل بن القاسم •

ولا خير فيمن لا يوطن نفسه على نائبات الدهر حين تنوب

فقلت نعم قول الشبر (?) منه أخذ •

فقلت

فقلت لها يا عز كل مصيبة إذا وطنت يوما لها النفس ذلت

وروى يموت بن المزرع لخاله عمرو بن بحر الجاحظ في الجماز يهجوه

نسب الجماز مقصور إليه منتهاه
تنتهي الأحساب بالناس ولا تعدو قفاه
يتحاجى من أبو الجماز فيه كاتباه
لست تدري من أبو الجماز إلا من براه

وأخبرنا المرزباني قال أخبرني علي بن هارون قال أنشدني وكيع
قال أنشدنا أبو العيناء قال أنشدني الجاحظ لنفسه في الخضاب •

ردت فتاة من بني هلال — واستعجلت إلي بالسؤال
مالي أراك فاني السبال — كأنما أزرعت في جريال
ما ينبغي مثلك من أمثالي — نح فداي ومن حيالي (?)

قال المرتضى رضي الله عنه قوله أنما أزرعت في جريال مليح
قوي ولا يشبه شعر الجاحظ للينه وضعف كلامه •
وذكر أبو العيناء قال حدثني ابن أبي رباح قال أنشدني الجاحظ
يمدحني •

يا أخا أثرى لإخوانه فقلل عنهم شبا العدم
وذكره الحزم ريب الزمان فبادر بالعرف قبل الندم

قال ابرهيم فذاكرت بهما احمد بن ابي دواد فقال قد انشد بهما يمدحني بهما ثم لقيت محمد بن الجهم فقال قد انشد بهما يمدحني بها وقال يموت ابن المزرع سمعت خالي الجاحظ يقول لا اعرف شعرا يفضل قول ابي نواس

ودار ندامى عطلوها وادلجوا — بها اثر منهم جديد ودارس
مساحب من جر الزقاق على الثرى — واضغاث ريحان جني ويابس
حبست بها صحبي فجددت عهدهم — واني على امثال تلك لحابس
ولم ادر من هم غير ما شهدت به — بشرقي ساباط الديار البسابس
اقمنا بها يوما ويوما وثالثا — ويوما له يوم الترحل خامس
تدار علينا الراح في عسجدية — حبتها بانواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفي جنباتها — مها تدريها بالقسي الفوارس
فللخمر ما زرت عليه جيوبها — وللماء ما دارت عليها القلانس

قال الجاحظ فانشدتها ابا شعيب القلال فقال يا ابا عثمان لو نقر هذا الشعر لطن فقلت ويلك ما تفارق الجرار والخزف حيث كنت ◦ قال السيد المرتضى رضي الله عنه اخذ ابو نواس قوله ◦

ولم ادر من هم غير ما شهدت بهم — بشرقي ساباط الديار البسابس

هذا ابو شعيب [illegible] القلال

من ابي خراش

١٠٨

من ابي خراش الهذلي في قوله ◦

ولم ادر من القى عليه رداءه — ولكنه قد سل عن ماجد محض

ويقال ان ابا خراش اول من مدح من لا يعرفه وذلك ان خراش بن ابي خراش اسر هو وعروة بن مرة فطرح رجل من القوم رداءه على خراش حين شغل القوم بقتل عروة ونجاه فلما تفرقوا قال له انه افلت مني ويقال بل رداه في الاثر رجل من بني عمه فالقى عليه رداءه ليجيره به وقال له انج ويلك فقال ابو خراش في ذلك

حمدت الهي بعد عروة اذ نجا — خراش وبعض الشر اهون من بعض
فاقسمت لا انسى قتيلا رزئته — بجانب قوسى ما مشيت على الارض
بلى انها تعفو الكلوم وانما — نوكل بالادنى وان جل ما يمضي
ولم ادر من القى عليه رداءه — ولكنه قد سل عن ماجد محض

واخبرنا ابو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثني ابرهيم ابن محمد بن شهاب قال حدثنا ابو الحسن احمد بن عمر البرذعي المتكلم قال صرت الى منزل الجاحظ في اول ما قدمت من بلدي وقد اعتل علته التي فلج فيها فاستاذنت عليه فخرج الي خادم من منزله فقال لي يقول لك ما تصنع بشق مايل ولعاب سايل وفرج بايل وعقل زايل فانصرفت عنه ◦ وذكر يموت

ابن المدبر قال وجه المتوكل في السنة التي قتل فيها ان يحمل اليه الجاحظ
من البصرة ساله الفتح ذلك فوجل ولا فضل فيه فقال لمن اراد حمله
وما تصنع بامرئ ليس بطائل ذي شق مائل ولعاب سائل وفرج بائل
وعقل زائل ولون حائل ۞ وذكر المبرد قال سمعت الجاحظ
يقول انا من جانبي الايسر مفلوج فلو قرض بالمقاريض ما
علمت ومن جانبي الايمن منقرس فلو مر به الذباب لألمت وبي
حصاة لا ينسرح لي البول معها واشد ما علي ست وتسعون
قال يوما لمتطبب يشكو اليه علته اصطلحت الاضداد على
جسدي ان اكلت باردا اخذ برجلي وان اكلت حارا اخذ
براسي ۞ وتوفي سنة خمس وخمسين ومائتين ۞

مجلس آخر

تأويل آية ۞ ان سأل سائل عن قوله تعالى ليس البر ان تولوا
وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر
والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه
ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب
واقام الصلوة وآتى الزكوة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في

البأساء والضراء وحين البأس اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون
فقال كيف ينفي كون تولية الوجوه الى الجهات من البر
وانما يفعل ذلك في الصلاة وهي بر لا محالة وكيف خبر عن
البر بمن والبر كالمصدر ومن اسم محض وعن اي شيء كنى
بالهاء في قوله تعالى وآتى المال على حبه وما المخصوص بانها
كناية عنه وقد تقدم منا اشياء كثيرة وعلى اي شيء ارتفع الموفون
وانتصب الصابرين وهم معطوفون على الموفون وكيف
وحد الكناية في مواضع وجمعها في اخرى فقال من آمن وآتى
المال واقام الصلاة ثم قال والموفون والصابرين ۞

الجواب

يقال له فيما ذكرته اولا جوابان احدهما انه اراد تعالى ليس
الصلاة هي البر كله لكن البر ما عدد في الآية من ضروب
الطاعات وصنوف الواجبات ولا تظنوا انكم اذا
توجهتم الى الجهات بصلاتكم فقد احرزتم البر باسره وحزتموه
بكماله بل يبقى عليكم بعد ذلك معظمه واكثره ۞
والجواب الثاني ان النصارى لما توجهوا الى المشرق

واليهود الى بيت المقدس واتخذوا ما بين الجهتين فبلتين
واعتقدوا في الصلاة اليهما اثمارة وطاعة خلافا بذلك
على الرسول صلى الله عليه واله اكذبهم الله تعالى في ذلك
وبين ان ذلك ليس من البر اذ كان منسوخا بشريعة النبي
صلى الله عليه وسلم التي تلزم الاسود والابيض والعربي والعجمي
وان البر هو ما تضمنته الاية ٥ فاما الخبار عن البر بمن ففيه
وجوه ثلاثة ان يكون معنى البر هاهنا البار وذا البر
وجعل احدهما في مكان الاخر والتقدير ولكن البار
من امن بالله وتجري ذلك مجرى قوله تعالى قل ارايتم
ان اصبح ماؤكم غورا اي غائرا ومثل قول الشاعر ٥

ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت فانما هي اقبال وادبار

واراد انها مقبلة مدبرة ومثله ٥

تظل جيادهم نوحا عليهم مقلدة اعنتها صفونا

اراد نائحة عليهم ومثله ٥

هريق من دموعهما سجاما ضباع وجاوبي نوحا قياما

والوجه الثاني ان العرب قد تخبر عن الاسم بالمصدر
والفعل عن المصدر بالاسم فاما اخبارهم عن المصدر بالاسم

فقوله تعا

110

فقوله تعالى ولكن البر من امن بالله وقول العرب انما البر الذي يصل
الرحم ويفعل كذا وكذا ٥ واما اخبارهم عن الاسم بالمصدر
والفعل مثل قول الشاعر ٥

لعمرك ما الفتيان ان تنبت اللحى ولكنما الفتيان كل فتى ندي

فجعل ان تنبت وهو مصدر خبرا عن الفتيان ٥ والوجه
الثالث ان يكون المعنى ولكن البر بر من امن بالله فحذف البر الثاني
واقام من مقامه لقوله تعالى واشربوا في قلوبهم العجل اراد حب
العجل قال الشاعر ٥

وكيف تواصل من اصبحت خلالته كابي مرحب

اراد كخلالة ابي مرحب وقال النابغة ٥

وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي على وعل في ذي المطارة عاقل

اراد على مخافة وعل ٥ وتقول العرب بنو فلان يطؤهم الطريق
اي اهل الطريق وحكي عن بعضهم اطيب الناس الزبد اي
اطيب ما ياكل الناس الزبد ٥ وكذلك قولهم حسبت
صياحي زيدا اي صياح زيد ٥ وروي عن ابن عباس في قوله
تعالى ليس على الاعمى حرج اي ليس على من اكل مع الاعمى حرج
وفي قوله تعالى ورابعهم كلبهم قال صاحب كلبهم وذكروا انه

يمكن ان يجعل ما قاله الشيخ رابعا والمعنى [illegible]

كان ابغاثهم ٥ واما الكناية عنه بالهاء في قوله تعالى وآتى المال على
حبه ذوي القربى ففيه وجوه اربعة اولها ان تكون الهاء
راجعة الى المال الذي تقدم ذكره ويكون المعنى وآتى المال على حب
المال واضيف الحب الى المفعول ولم يذكر الفاعل كما يقول القائل
اشتريت طعامي كاشترائك طعامك والمعنى كاشترائك
طعامك ٢ والوجه الثاني ان تكون الهاء راجعة
على من آمن بالله فيكون المصدر مضافا الى الفاعل ولم يذكر
المفعول لظهور المعنى ووضوحه ٢ والوجه الثالث ان ترجع
الهاء الى الايتاء الذي دل عليه آتى والمعنى واعطى المال على حب
الاعطاء ويجري ذلك مجرى قول القطامي

هم الملوك وابناء الملوك لهم والآخذون به والساسة الاول

فكنى بالهاء عن الملك لدلالة قوله وابناء الملوك عليه ومثله
قول الشاعر ٢

اذا نهي السفيه جرى اليه وخالف والسفيه الى خلاف

اراد جرى الى السفه الذي دل ذكر السفيه عليه ٢ والوجه
الرابع ان تكون الهاء ترجع الى الله تعالى لان ذكره تعالى قد تقدم
فيكون المعنى وآتى المال على حب الله ذوي القربى واليتامى ٢ فان

قيل فاي

قيل فاي فايدة في ذلك وقد علمنا الفايدة في ايتاء المال مع محبته والضن به
وان العطية تكون اشرف وامدح فما الفايدة فيما ذكرتموه وما معنى
محبة الله والمحبة عندكم هي الارادة والقديم تعالى لا يصح ان يراد ٢
قلنا اما المحبة عندنا فهي الارادة الا انهم يستعملونها كثيرا مع حذف
متعلقها تجاوزا وتوسعا فيقولون فلان يحب زيدا اذا اراد منافعه
ولا يقولون يريد زيدا بمعنى انه يريد منافعه لان التعارف جرى
في استعمال الحذف والاختصار في المحبة دون الارادة وان
كان المعنى واحدا فقد يذكر ان قولهم زيد يحب عمرا مزية
على قولهم يريد منافعه لان اللفظ الاول ينبي عن انه لا يريد الا منافعه
وانه لا يريد شيئا من مضاره والثاني لا يدل على ذلك فحصلت له
مزية وعلى هذا المعنى يصف الله تعالى بانه يحب اولياءه والمؤمنين من
عباده والمعنى فيه انه يريد لهم ضروب الخير من التعظيم والاجلال
والنعم ٥ فاما وصف احدنا بانه يحب الله تعالى فالمعنى فيه
انه يريد تعظيمه وعبادته والقيام بطاعاته ولا يصح فيه
المعنى الذي ذكرناه في محبة العباد بعضهم بعضا لاستحالة
المنافع عليه ومن جوز عليه تعالى الانتفاع لا يصح ايضا ان
يكون محبا له على هذا المعنى لانه باعتقاد ذلك فيه قد

خرج من أن يكون عائدًا إليه فمحبته في الحقيقة لا تتعلق به ولا تتوجه
إليه كما تقول في أصحاب التشبيه إنهم إذا عبدوا من اعتقدوه
إلهًا فقد عبدوا غير الله تعالى فأما الفائدة في إعطاء المال مع محبة
الله تعالى فهي ظاهرة لأن إعطاء المال متى قارنته إرادة وجه الله تعالى
به وعبادته وطاعته استحق به الثواب ومتى لم تقترن به ذلك لم يستحق
الفاعل به ثوابًا وكان ضائعًا وتأثير ما ذكرناه أبلغ من
تأثير حب المال والضن به لأن المحب للمال الضنين به متى بذله
وأعطاه ولم يقصد به الطاعة والعبادة والقربة لم يستحق به
شيئًا من الثواب وإنما يؤثر حبه للمال في زيادة الثواب متى
حصل ما ذكرناه من قصد القربة والعبادة ولو تقرب
بالعطية وهو غير ضنين بالمال ولا محب له لاستحق الثواب
وهذا الوجه لم نسبق إليه في هذه الآية وهو أحسن ما قيل فيها ٥
وقد ذكر فيه وجه آخر وهو أن تكون الهاء راجعة إلى من آمن
أيضًا وينتصب ذوي القربى بالحب ولا يجعل لآتى منصوب
لوضوح المعنى ويكون تقدير الكلام وأعطى المال على حبه في حال
حبه ذوي القربى واليتامى على محبته إياهم وهذا الوجه
ليس فيه مزية في باب رجوع الهاء التي دفع عنها السؤال وإنما
بين

بين ما تقدم بتقدير انتصاب ذوي القربى بالحب وذلك غير ما وقع السؤال
عنه والأجوبة الأول أقوى وأولى ٥ فأما قوله والموفون بعهدهم
ففي رفعه وجهان أحدهما أن يكون مرفوعًا على المدح لأن النعت إذا
طال وكثر رفع بعضه ونصب على المدح ويكون المعنى وهم
الموفون بعهدهم قال الزجاج وهذا أجود الوجهين والوجه
الآخر أن يكون معطوفًا على من آمن ويكون المعنى ولكن
ذا البر وذوي البر المؤمنون والموفون بعهدهم ٥ فأما نصب
الصابرين ففيه وجهان أحدهما المدح لأن من شأنهم في الصفات
والنعوت إذا طالت أن يعترضوا فيها بالمدح والذم ليميزوا
الممدوح أو المذموم ويفردوه فيكون غير متبع لأول الكلام
من ذلك قول الخرنق

لا يبعدن قومي الذين هم سم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك والطيبين معاقد الأزر

فنصب ذلك على المدح وبعضهم يرفعهما جميعًا على أن يتبع آخر
الكلام أوله ومنهم من ينصب النازلين ويرفع الطيبين
وآخرون يرفعون النازلين وينصبون الطيبين والوجه في النصب
والرفع ما ذكرناه ومن ذلك قول الشاعر أنشده الفراء ٥

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم
وذا الرأي حين تغم الأمور بذات الصليل وذات اللجم

فنصب ليث الكتيبة وذا الرأي على المدح وأنشد الفراء أيضا

فليت التي فيها النجوم تواضعت على كل غث منهم وسمين
غيوث الحيا في كل محل ولزبة أسود الشرى يحمين كل عرين

ومما نصب على الذم قوله

سقوني الخمر ثم تكنفوني عداة الله من كذب وزور

والوجه الآخر في نصب الصابرين أن يكون معطوفا على ذوي القربى والصابرين. قال الزجاج وهذا لا يصلح إلا أن يكون الموفون رفعا على المدح للمضمرين لأن ما في الصلة لا يعطف عليه بعد العطف على الموصوف وكان يقوي الوجه الأول. فأما توحيد الذكر في موضع وجمعه في آخر فلأن من ابن لفظه لفظ الوحدة وإن كان في المعنى للجمع فالذكر الذي أتى بعده موحدا أجري على اللفظ وما جاء من الوصف بعد ذلك على سبيل الجمع مثل قوله تعالى والموفون والصابرين فعلى المعنى. وقد اختلفت قراءة السبعة في رفع الراء ونصبها من قوله ليس البر فقرأ حمزة وعاصم

في رواية حفص ليس البرَّ بنصب الراء وروى هبيرة عن حفص عن عاصم أنه كان يقرأ بالنصب والرفع وقرأ الباقون البرُّ بالرفع والوجهان جميعا حسنان لأن كل واحد من الاسمين اسم ليس وخبرها معرفة فإذا اجتمعا في التعريف فقد تكافآ في جواز كون أحدهما اسما والآخر خبرا كما تكافأت النكرات. وحجة من رفع البر أنه لا يكون الاسم الفاعل أولى لأن ليس يشبه الفعل وكون الفاعل بعد الفعل أولى من كون المفعول بعده ألا ترى أنك إذا قلت قام زيد فإن الاسم يلي الفعل وتقول ضرب غلامه زيد فيكون التقدير في الكلام التأخير ولولا أن الفاعل أخص بهذا الموضع لم يجز هذا كما لم يجز في الفاعل ضرب غلامه زيدا حيث لم يجز في الفاعل تقدير التأخير كما جاز في المفعول به لوقوع الفاعل بموقعه المختص به. وحجة من نصب البر أن يقول كون الاسم أن وصلتها أولى لشبهها بالمضمر في أنها لا توصف كما لا يوصف المضمر وكأنه اجتمع مضمر ومظهر والأولى إذا اجتمعا أن يكون المضمر الاسم من حيث كان أذهب في الاختصاص من المظهر. قال سيدنا المرتضى علم الهدى قدس الله روحه حدثنا أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا الدقاق

١١٣

لا يجوز أن يكون [illegible] ... حاشية

قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيمي الكاتب قراءة عليه
قال أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب قال أخبرنا ابن الأعرابي
قال قال ابن الكلبي لما كان بعد يوم الهباءة جاور قيس بن
زهير العبسي النمر بن قاسط فقال لهم إني قد جاورتكم واخترتكم
فزوجوني امرأة قد أدبها الغنى وأذلها الفقر في حسب وجمال
فزوجوه ظبية بنت الكيس النمري وقال لهم إن فيّ خلالا
ثلاثا إني غيور وإني فخور وإني أنف ولست أفخر حتى أبدا ولا أغار
حتى أرى ولا أنف حتى أظلم فأقام فيهم حتى ولد له فلما أراد الرحيل عنهم قال
إني موصيكم بخصال وناهيكم عن خصال عليكم بالأناة فإن بها
تنال الفرصة وتسويد من لا تعابون بتسويده وعليكم بالوفاء
فإن به يعيش الناس وبإعطاء من تريدون إعطاءه قبل المسألة
ومنع من تريدون منعه قبل الإلحاح وإجارة الجار
على الدهر وتنفيس المنازل عن بيوت الأيامى وخلط
الضيف بالعيال ۞ وأنهاكم عن الرهان فإن به ثكلت مالكا
أخي والبغي فإنه قتل زهيرا أبي وعن الإعطاء في الفضول فتعجزوا
عن الحقوق ۞ وعن الإسراف في الدماء فإن يوم الهباءة ألزمني
العار ومنع الحرم إلا من الأكفاء فإن لم تصيبوا

لها الأكفاء

لها الأكفاء فإن خير مناكحها القبور وخير منازلها واعلموا أني
كنت ظالما مظلوما ظلمني بنو بدر بقتلهم مالكا أخي وظلمتهم بأن
قتلت من لا ذنب له ۞ قال السيد المرتضى رضي الله عنه أما قوله
أنهاكم عن الرهان فإنه أراد المراهنة في سباق الخيل وذلك أن
قيس بن زهير راهن حذيفة بن بدر الفزاري على فرسيه
داحس والغبراء وفرسي حذيفة الخطار والحنفاء وقال بعض
بنيهم أنه بل قرزل والحنفاء وكان قيس كارها لذلك وإنما
هاجه بينهما بعض بني عبد الله بن غطفان وقيل بل رجل من بني عبس
والخبر في شرح ذلك مشهور ثم وقع الاتفاق على السباق
وجعلوا الغاية من واردات إلى ذات الإصاد وجعلوا
القصبة في يد رجل من ثعلبة بن سعد يقال له حصين
ويد رجل من بني العشراء من بني فزارة وملؤوا البركة
ماء وجعلوا السابق أول الخيل يكرع فيها ۞ ثم إن حذيفة
ابن بدر وقيس بن زهير أتيا المدى الذي أرسلت الخيل
منه ينظران إليها وإلى خروجها فلما أرسلت عارضاها
فقال حذيفة خدعتك يا قيس فقال قيس ترك الخداع
من أجرى من مائة يعني من مائة غلوة فأرسلها مثلا ثم ركضا

ساعة فجعلت خيل حذيفة تقدم خيل قيس فقال حذيفة سبقت
يا قيس وقال قيس جري المذكيات غلاب فأرسلها مثلا والمذكيات
المسان من الخيل ويروى غلاء أي كما يتغالى بالنبل ثم ركضا ساعة
فقال حذيفة إنك لا تركض مركضا سبقت خيلك
فقال قيس رويدا يعلون الجدد فأرسلها مثلا ويروى يتعدون
الجدد فأرسلها مثلا أي يتعدين الجدد إلى الوعث وقد كان
بنو فزارة أكمنوا بالثنية كمينا لينظروا فإن جاء داحس
سابقا أمسكوه وصدوه عن الغاية فجاء داحس سابقا
فأمسكوه وصدوه عن الغاية ولم يعرفوا الغبراء وهي خلفه
مصلية حتى مضت الخيل واسهلت من الثنية ثم أرسلوه
فتمطر في آثارها فجعل يبدرها فرسا فرسا حتى انتهى
إلى الغاية مصليا وقد طرح الخيل غير الغبراء ولو تباعدت الغاية
لسبقها فاستقبلها بنو فزارة فلطموها ثم حلأوها
عن البركة ثم لطموا داحسا وقد جاءا متواليين ثم جاء
حذيفة وقيس في أخريات الناس وقد دفعهم بنو عبس عن
سبقهم ولطموا فرسهم وجرى من الخلف في أخذ السبق ما قد
شرحته الرواة ۝ وقد قيل في بعض الروايات أن الرهان

والسبق

جري المذكيات غلاب أي [illegible]

115

والسبق كان بين حمل بن بدر وبين قيس وفي ذلك يقول قيس ۝

كما لاقيت من حمل بن بدر وإخوته على ذات الإصاد
هم فخروا علي بغير فخر وردوا دون غايته جوادي
وقد دلفوا إلي بفعل سوء فألفوني لهم صعب القياد
ولست إذا تثبت بخصم سوء دلفت له بداهية نآد

ثم إن قيسا أغار على عوف بن بدر فقتله وأخذ إبله فبلغ
ذلك بني فزارة فهموا بالقتال فحمل الربيع بن زياد العبسي
دية عوف بن بدر مائة عشراء متلبية ۝ ويقال إن قيسا
قتل ابنا لحذيفة يقال له مالك وإن حذيفة كان
أرسله إليه يطلب منه السبق فطعنه فدق صلبه وإن
الربيع بن زياد حمل ديته مائة عشراء فسكن الناس عن
القتال ۝ ثم إن مالك بن زهير نزل بموضع
يقال له اللقاطة قريبا من الحاجر ونكح امرأة يقال لها
مليكة بنت حارثة من بني غراب من فزارة فبلغ
ذلك حذيفة بن بدر فدس إليه فرسانا فقتلوه
وكان الربيع بن زياد العبسي مجاور الحذيفة بن بدر وكانت
تحت الربيع معاذة بنت بدر فلما وقفت على الخبر قال

نام الخلي وما اغمض حار من سيء النبأ الجليل الساري
من مثله تمسي النساء حواسرا وتقوم معولة مع الاسحار
من كان مسرورا بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار
يجد النساء حواسرا يندبنه يضربن اوجههن بالاحجار
قد كن يخبأن الوجوه تسترا فاليوم حين برزن للنظار
أفبعد مقتل مالك بن زهير ترجو النساء عواقب الاطهار
ما ان ارى في قتله لذوي الحجى الا المطي تشد بالاكوار
ومجنبات ما يذقن عذوفة يقذفن بالمهرات والامهار
ومساعرا صدأ الحديد عليهم فكأنما طلي الوجوه بقار

واما خبر مقتل زهير بن جذيمة العبسي ابي قيس فاختلفت الرواية في سببه فيقال ان هوازن بن منصور كانت تؤدي الاتاوة زهير بن جذيمة ولم تكثر عامر بن صعصعة بعد فهم اذل من يد في رحم فاتت عجوز من هوازن زهير بن جذيمة بسمن في نحي واعتذرت اليه وشكت السنين اللواتي تتابعت على الناس فذاقه فلم يرض طعمه فدعها اي دفعها بقوس في يده عطل في صدرها فسقطت فبدت عورتها فغضب من ذلك هوازن وحقدته

الى ما كا

الى ما كان في صدورها من الغيظ وكانت يومئذ قد اثرت بنو عامر بن صعصعة اي كثرت فآلى خالد بن جعفر بن كلاب فقال والله لاجعلن ذراعي وراء عنقه حتى اقتل او يقتل وفي ذلك يقول خالد بن جعفر

اريغوني اراغتكم فاني وحذفة كالشجا تحت الوريد
مقربة اواسيها بنفسي والحفها ردائي في الجليد
لعل الله يمكنني عليها جهارا من زهير او اسيد
فاما تثقفوني فاقتلوني فمن اثقف فليس الى خلود

ويقال بل كان السبب في ذلك ان زهير بن جذيمة لما قتل في غني من قتل بابنه شاس وافى عكاظ فلقيه خالد بن جعفر بن كلاب وكان زجرنا فقال يا زهير اما آن لك ان تشتفي وتكف يعني بما قتل بشاس فاغلظ له زهير وحقره فقال خالد اللهم امكن يدي من هذا الشعر الغضبة من عنق زهير بن جذيمة ثم اعني عليه فقال زهير اللهم امكن يدي من هذه الشامة الطويلة من عنق خالد ثم خل بيننا فقالت قريش هلكت والله يا زهير قال انتم والله الذين لا علم لكم ثم اجمع خالد بن جعفر على

فقصد زهيرا وقتله واتفق نزول زهير بالقرب من ارض بني عامر
وكانت تماضر بنت عمرو بن الشريد امراة زهير بن جذيمة
وام ولده فقربها اخوها الحرث بن عمرو بن الشريد فقال لبنيه
لبنيه ان هذا الحمار طليعة عليكم فاقتلوه فقالت اخته لبنيها
ابن اخي خالكم متى تقتلونه قالت تماضر لاخيها الحارث ابنه
ليت بني اكثبنا انك وقر وتلك الا كثبنا ان الغنم
والعزدون السلوف فلا ياخذن فيك ما قال زهير فانه
رجل سيدان عبدانه سنوة . قال الاثرم السيدان الكثير
الكلام والعبدانه السيئ الخلق ثم حلبوا له وطبا من لبن
واخذوا منه يمينا ان لا يخبر عنهم ولا ينذر بهم احدا
فخرج الحرث حتى اتى بني عامر فقعد الى شجرة يجتمع اليها بنو
عامر والقى الوطب تحتها والقوم ينظرون ثم قال ايتها
الشجرة الذليلة اشربي من هذا اللبن وانظري ما طعمه فقال
القوم هذا رجل ماخوذ عليه وهو يخبركم خبرا فذاقوا اللبن
فاذا هو حلو لم يقرص بعد فقالوا انه يخبرنا ان مطلبنا
قريب فركب خالد بن جعفر بن كلاب ومعه جماعة
وكان اذا فرسه حذفة فلقوا زهيرا فاعتنق خالد زهيرا

وخرا

[illegible]

وخرّا عن فرسيهما ووقع خالد فوق زهير ونادى يا بني عامر اقتلوني
والرجل واستغاث زهير ببنيه فاقبل ابنه ورقاء بن زهير
يشتد بسيفه فضرب خالدا ثلث ضربات فلم يغن شيئا وكان
على خالد درعان قد ظاهر بينهما ثم ضرب جندح راس زهير
فقتله وفي ذلك يقول ورقاء بن زهير .
رايت زهيرا تحت كلكل خالد فاقبلت اسعى كالعجول ابادر
الى بطلين ينهضان كلاهما يريدان نصل السيف والسيف داثر
فشلت يميني يوم اضرب خالدا ويمنعه مني الحديد المظاهر
فيا ليتني قبل ضربة خالد ويوم زهير لم تلدني تماضر
فاما خبر الهباءة فان بني عبس وبني فزارة لما التقوا الى جنب
جفر الهباءة في يوم قايظ واقتتلوا وخبرهم شرح طويل معروف
استجار حذيفة ومن معه جفر الهباءة ليبترد فيه فهجم عليه
القوم فقال حذيفة يا بني عبس فاين العقول واين الاحلام
فضرب حمل بن بدر بين كتفيه وقال اتق ماثور القول بعد
اليوم فارسلها مثلا وقتل قرواش بن هني حذيفة بن
بدر وقتل الحرث بن زهير حملا واخذ منه ذا النون سيف
مالك بن زهير اخيه وكان حمل بن بدر اخذه من مالك بن زهير

يوم قيل فقال قيس في ذلك

تعلم ان خير الناس ميت على جفر الهباءة لا يريم
ولولا ظلمه ما زلت ابكي عليه الدهر ما طلع النجوم
ولكن الفتى حمل بن بدر بغى والبغي مرتعه وخيم
اظن الحلم دل على قومي وقد يستجهل الرجل الحليم
ومارست الرجال ومارسوني فمعوج علي ومستقيم

وقال قيس ايضا

شفيت النفس من حمل بن بدر وسيفي من حذيفة قد شفاني
فان اك قد بردت بهم غليلي فلم اقطع بهم الا بناني

مجلس آخر

تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون فقال اي وجه لتشبيه الذين كفروا بالصائح الناعق بالغنم والكلام يدل على ذمهم ووصفهم بالغفلة وقلة التأمل والتمييز والناعق بالغنم قد يكون مميزا محصلا يقال له في هذه الآية خمسة اجوبة اولها ان يكون المعنى

مثل واعظ

مثل واعظ الذين كفروا والداعي لهم الى الايمان والطاعة كمثل الراعي الذي ينعق بالغنم وهي لا تعقل معنى دعائه وانما تسمع صوته ولا تفهم غرضه والذين كفروا بهذه الصفة لانهم يسمعون وعظ النبي صلى الله عليه وآله ودعاءه وانذاره فينصرفون عن قبول ذلك ويعرضون عن تأمله فيكونون بمنزلة من لم يعقله ولم يفهمه لاشتراكهما في عدم الانتفاع به وجاز ان يقوم قوله الذين كفروا مقام الواعظ والداعي لهم كما تقول العرب فلان يخافك كخوف الاسد والمعنى كخوفه من الاسد فاضاف الخوف الى الاسد وهو في المعنى مضاف الى الرجل وقال الشاعر

فلست مسلما ما دمت حيا على زيد بتسليم الامير

اراد بتسليمي على الامير ونظائر ذلك كثيرة والجواب الثاني ان يكون المعنى ومثل الذين كفروا كمثل الغنم التي لا تفهم نداء الناعق فاضاف الله تعالى المثل الى الناعق وهو في المعنى مضاف الى المنعوق به على مذهب العرب في قولها طلعت الشعرى وانتصب العود على الحرباء والمعنى انتصب الحرباء على العود وجاز التقديم والتاخير لوضوح المعنى وانشد الفراء

إن سراجا لكريم مفخره ... تحلى به العين إذا ما تجهره

معناه تحلى بالعين فقدم وأخر وأنشد الفراء أيضا

كانت فريضة ما تقول كما ... كان الزناء فريضة الرجم

والمعنى كما كان الرجم فريضة الزناء وأنشد أيضا

وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي ... على وعل في ذي المطارة عاقل

أراد ما تزيد مخافة وعل على مخافتي ومثله كان لون أرضه
سماؤه أراد كان لون سمائه أرضه ومثله

ترى الثور فيها مدخل الظل رأسه ... وسائره باد على الشمس أجمع

أراد مدخل رأسه الظل وقال الراعي

فصبحته كلاب الغوث يؤسدها ... مستوضحون يرون العين كالأثر

استوضح الرجل إذا جعل يده على جبهته للنظر يريد أنهم
يرون الأثر كالعين وقال أبو النجم ... قبل دنو
الأفق من جوزائه ... مقلب وقال العباس بن مرداس

فديت بنفسه نفسي ومالي ... ولا آلوك إلا ما أطيق

أراد فديت بنفسي نفسه وقال ابن مقبل

ولا تهيبني الموماة أركبها ... إذا تجاوبت الأصداء بالسحر

أراد ولا أتهيب الموماة وهذا كثير جدا والجواب

الثالث

الثالث أن يكون المعنى ومثل الذين كفروا ومثلنا أو مثلهم ومثلك يا محمد
كمثل الذي ينعق أي مثلهم في الإعراض ومثلنا في الدعاء والتنبيه
والإرشاد كمثل الناعق بالغنم فحذف المثل الثاني اكتفاء
بالأول ومثله قوله تعالى وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وأراد
الحر والبرد فاكتفى بذكر الحر من البرد وقال أبو ذؤيب الهذلي

عصيت إليها القلب إني لأمرها ... مطيع فما أدري أرشد طلابها

أراد أرشد أم غي فاكتفى بذكر الرشد لوضوح الأمر

والجواب الرابع أن يكون المراد ومثل الذين كفروا
في دعائهم الأصنام التي يعبدونها من دون الله وهي لا تعقل ولا
تفهم ولا تبصر ولا تسمع كمثل الذي ينعق دعاء ونداء بما لا يسمع
صوته جملة والدعاء والنداء ينتصبان على هذا الجواب
بينعق وإلا توكيد للكلام ومعناها الإلغاء
قال الفرزدق

هم القوم إلا حيث سلوا سيوفهم ... وضحوا بلحم من محل ومحرم

والمعنى هم القوم حين سلوا سيوفهم والجواب
الخامس أن يكون المعنى ومثل الذين كفروا في دعائهم الأصنام
وعبادتهم لها واسترزاقهم إياها كمثل الراعي الذي ينعق بغنمه

وينادِيها حتّى تسمع نداءه ودعاءه ولا تفهم معنى كلامه فتشبّه
من يدعوه الكفّار من المعبود دون الله جلّ اسمه بالغنم
من حيث لا تعقل الخطاب ولا تفهمه ولا يقع عندها نفع
ولا مضرّة وهذا الجواب يقارب الذي قبله وإن كانت
بينهما مباينة ظاهرة لأنّ الأوّل يقتضي ضرب المثل بما لا يسمع
الدعاء ولا النداء جملة ويجب أن يكون مصروفاً إلى غير الغنم وما
أشبهها ممّا يسمع وإن لم يفهم وهذا الجواب يقتضي ضرب المثل
الذي يسمع الدعاء والنداء جملة يجب أن يكون داعيها ومناديها
أسوأ حالاً من منادي الغنم ويصحّ حتّى ينصرف إلى الغنم
وما أشبهها ممّا يشاركها في السماع ويخالفها في الفهم والتمييز
وقد اختلف الناس في نعق فقال الأكثر منهم لا يقال
نعق ينعق إلّا في الصياح بالغنم وحدها وقال بعضهم
نعق ينعق بالغنم والإبل والبقر والأوّل أظهر في كلام العرب
قال الأخطل

فانعق بضأنك يا جرير فإنّما منّتك نفسك في الخلاء ضلالا

ويقال أيضاً نعق الغراب ونغق بالغين المعجمة إذا صاح من غير أن
يمدّ عنقه ويحرّكها فإذا مدّها وحرّكها قيل نعب فيقال

أيضاً نعب الغراب ينعب وينعب نعباً ونعيباً ونعاباً ونعباناً وهو صوته ويقال
فرس منعب أي جواد وناقة نعّابة إذا كانت سريعة ؏

تأويل خبر

روي عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه خرج مع أصحابه إلى طعام دعوا
له فإذا بالحسين عليه السلم وهو صبيّ يلعب مع صبية في السكّة
فاستنتل رسول الله صلّى الله عليه وآله أمام القوم فطفق
الصبيّ يفرّ مرّة هاهنا ومرّة هاهنا ورسول الله صلّى
الله عليه يضاحكه ثمّ أخذه فجعل إحدى يديه تحت
ذقنه والأخرى تحت فأس رأسه وأقنعه فقبّله فقال
أنا من حسين وحسين منّي أحبّ الله من أحبّ حسيناً
حسين سبط من الأسباط ؏ قال المرتضى رضي
الله عنه معنى استنتل تقدّم يقال استنتل الرجل استنتالاً
وابرنتى ابرنتاءً وابرندع ابرنداعاً إذا تقدّم هكذا ذكر
أبو بكر بن الأنباري ووجدت بعض المتقدّمين في علم اللغة
يحكي في كتاب له قال يقول استنتلت للأمر استنتالاً إذا
استعددت له واستنتل الرجل تفرّد من القوم ويقال

استنزل الشرف والمعاني تتقارب والخبر يليق بكل واحد
منها ۞ وحكى هذا الرجل الذي ذكرناه في كتابه ابرنتا
دائر تدع ايضا انه من الاستعداد ۞ فاما السلكة فهي المنازل
المصطفة والنخل المصطف ومعنى طفق ما زال ۞ قال الشاعر

طفقت تبكي واسعدها فكلانا ظاهر الحلك

وقابس الراس طرف المجدة والمشرف على القفا ومعنى اقنعه
رفعه هكذا ذكر ابن الانباري وقال عنترة يقال
اقنع ظهره اقناعا اذا طاطاه ثم رفعه برفق ۞ فاما الاسباط
فاصلها في ولد اسحق كالقبايل في بني اسماعيل عليه السلام
وقال ابن الانباري هم الصبية والصبوة بالياء والواو معا ۞
حدثنا ابو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن
جنيقا قال اخبرنا ابو عبد الله محمد بن احمد بن الحليمي قراءة
عليه قال املى علينا ابو العباس احمد بن يحيى ثعلب قال اخبرنا
ابن الاعرابي انه قيل لابنة الخس ما مائة من المعز قالت بشف
الفقر من ورايه مال الضعيف وحرفة العاجز قيل
فمائة من الضان قالت قرية لا حمى لها قيل فمائة من الابل
قالت بخ جمال ومال ومنى الرجال قيل لها فمائة من الخيل

بخ بخ

قال

قالت طغى عند من كانت ولا توجد قيل فمائة من الحمر قالت عازبة
الليل وخزي المجلس لا لبن فيحلب ولا صوف فيجتز ان ربط عيرها
دلى وان ارسلته ولى ۞ وبهذا الاسناد عن ابن الاعرابي قال
وقيل لابنة الخس والخسف والخص قال كل ذلك يقال ما احسن
شي قالت غادية في اثر سارية في نجا فادية قال نجا ارض مرتفعة لان
النبات في موضع مشرف احسن وقالوا ايضا نجا اي رابية
ليس بها رمل ولا حجارة قال واجمع النحاة وبنت الرابية
احسن من نبت الاودية لان السيل يصرع الشجر فيقذفه
في الاودية ثم يلقي عليه الدمن ۞ قال السيد رضي الله
عنه ومما يدل على ان نبت الرابية احسن قول الاعشى ۞

ما روضة من رياض الحزن معشبة خضرا جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق مؤزر بعميم النبت مكتهل
يوما باطيب منها اذ دنا الاصل

لو لب الشي معظمه والنبت اذا عم ولبس قيل قد اكتهل وقوله اذ دنا
الاصل يعني ان الزهر اذا كان في الاصيل كان احسن للبعد عن برد
الغداة ۞ وقال الكثير ۞

فما روضة بالحزن طيبة الثرى يمج الندى جثجاثها وعرارها

بأطيب من أردان عزة موهنا وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

نحا الحزين للمعنى الذي ذكرناه · وللبيت من قصة وهي أن
كثيراً أقبل ذات يوم راكباً فاعترضت له في الطريق
فلما وقفت في دوبته بازا فتضحكت عليها كثير ووقف في
وجهها فقالت أنت القائل · فما روضة البيتين · قال نعم
قالت والله لو أوقد المندل على هذه الروثة لطابت هلا
قلت كما قال سيدك ومولاك امرؤ القيس ·

ألم ترياني كلما جئت طارقا وجدت بها طيبا وإن لم تطيب

فانكسر كثير وخجل وقيل إنه أعطاها مطرفا كان معه وقال
استريه علي · وبهذا الإسناد عن ابن الأعرابي
قال العرب تقول جاءنا بطعام لا يبادى وليده يقول لا يدعى
له الصبيان ولا يستعان الا بكبار الرجال فيه ·
قال المرتضى رضي الله عنه وفي ذلك قولان آخران
أحدهما عن الأصمعي قال أصله من الشدة تصيب القوم حتى
تذهل الأم عن ولدها فلا تناديه لما هي فيه ثم صار مثلا
لكل شدة ولكل أمر عظيم · والقول الآخر عن الكلابي
قال أصله من الكثرة والسعة فإذا أهوى الوليد إلى شيء لم

لم يزجر عنه حذرا لإفساد لسعة ما هم فيه ثم صار مثلا
لكل كثرة قال الفراء وهذا القول يستعان في كل موضع يراد
به الغاية وأنشد ·

لقد شرعت كفا يزيد بن مزيد شرائع جود لا يبادى وليدها

وبالإسناد الذي تقدم عن ابن الأعرابي قال دخل دوقة الأسدي
على معن بن زائدة الشيباني فقال إن رأيت أكرمك الله أن تضعني من
نفسك بحيث وضعت نفسي من رجائك فإنك قد بلغت
حالا لو أغنتني الله فيها بكرمك من تصفح الرجال بعرفك
لم يلق كثيرا وإني قد قدمت الرجاء واجتنبت الثناء ولزمت
الحفاظ ثم أنشأ يقول ·

يا معن إنك لم تنعم على أحد فشاب نعماك تنغيص ولا كدر
فانظر إلي بطرف غير ذي مرض فيما صح لي من طرفك النظر
أيام وجهك لي طلق تخبرني إذا سكت بما تخفي وتضطمر
ومن هواك شفيع لي يعطفني وإن نأيت وإن قلت بي الذكر
قد كنت أثر تعدي مرة أثرا فقد تقارب يعفو ذلك الأثر
فاجبر بفضلك عظما كنت تجبره واجمع بفضلك ما قد كاد ينتشر
ما نازع العثر في البيرة مذ علقت كفي بحبلك إلا أظفر البشر

وقد حسبت وهذا الدهر ذو غير بان بدا لطول الجفوة العسر
وانما كان من عثرة منسرة فان حظك فيه الحمد والشكر
فقال معن وما كنا اعطيناك شيا قال لا قال اما الذهب والفضة
فليستا عندنا ولكن هات تختا من ثياب يا غلام فدفعه اليه
وقد كان تحمل عليه بابن عياش وحبيب بن بديل فاعطاهما
تختين وقال غررتني باودقة تختي ثياب ٭ وكان معن بن
زايدة جوادا شجاعا شاعرا ويكنى ابا الوليد وهو معن بن
زايدة بن عبد الله بن زايدة بن مطر بن شريك بن عمرو
ومطر هو اخو الحوفزان بن شريك وكان معن من
اصحاب ابن هبيرة فلما قتل رثاه معن فقال ٭
الا ان عينا لم تجد يوم واسط عليك بجاري دمعها لجمود
عشية قام النايحات وشققت جيوب بايدي ماتم وخدود
فان تمس مهجور الفناء فطالما اقام به بعد الوفود وفود
فانك لم تبعد على متعهد بلى كل من تحت التراب بعيد
اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال اخبرني يوسف
ابن يحيى المنجم عن ابيه قال حدثني محمد بن القاسم بن مهرويه
قال حدثني ابو يزيد بن الحكم بن عوبتي قال حدثني ابي قال كان
معن بن

١٢٣
معن بن زايدة من اصحاب يزيد بن عمر بن هبيرة وكان مستترا
حتى كان يوم الهاشمية فانه حضر وهو معتم متلثم فلما نظر الى
القوم وقد وثبوا على المنصور تقدم واخذ بلجام بغلته
ثم جعل يضربهم بالسيف قدامه فلما افرجوا له وتفرقوا
عنه قال له من انت ويحك قال انا طلبتك معن بن زايدة
فلما انصرف المنصور حباه وكساه ورتبه ثم قلده اليمن فلما
قدم عليه من اليمن قال له هيه يا معن تعطي مروان بن ابي
ابي حفصة مائة الف درهم على ان قال لك ٭
معن بن زايدة الذي زيدت به شرفا على شرف بنو شيبان
ان عد ايام الفعال فانما يوماه يوم ندى ويوم طعان
قال كلا يا امير المومنين ولكني اعطيته على قوله ٭
ما زلت يوم الهاشمية معلما بالسيف دون خليفة الرحمان
فمنعت حوزته وكنت وقاه من وقع كل مهند وسنان
قال له احسنت يا معن ٭ وفي خبر اخر انه دخل على
المنصور فقال له ويلك يا معن ما اظن ما يقال فيك
من ظلمك لاهل اليمن واعتسافك اياهم الا حقا قال
وكيف ذلك يا امير المومنين قال بلغني انك اعطيت شاعرا

كان يلزمك الفي دينار وهذا من السرف الذي لا شي مثله فقال يا
امير المومنين انما اعطيته من فضول مالي وغلات ضياعي
وفضلات رزقي ولقيته عن عرضي وقضيت الواجب من حقه
علي وفضله الي وملازمته لي قال فخجل ابو جعفر وبلت
بقضيب في يده الارض ولم يعاوده القول واخبرنا
المرزباني قال اخبرني علي بن يحيى عن عبد الله بن ابي سعد
الوراق عن خالد بن يزيد بن وهب بن جرير عن عبد
الله بن محمد المعروف بمنقار من اهل خراسان وكان من ولاة
الرشيد قال حدثني معن بن زايدة قال كنا في الصحابة
سبع مائة رجل وكنا ندخل على المنصور في كل
يوم قال فقلت للربيع اجعلني في اخر من يدخل عليه
فقال لست باشرفهم فتكون في اولهم ولا باخسهم نسبا
فتكون في اخرهم وان مرتبتك لتشبه نسبك قال
فدخلت على المنصور ذات يوم وعلي دراعة فضفاضة
وسيف حنفي اقرع بنعله الارض وعمامة قد اسدلتها
من قدامي وخلفي فسلمت عليه وخرجت فلما صرت
عند الستر صاح بي يا معن صيحة انكرتها فلبيته فقال

ادن

الي فدنوت منه واذا به قد نزل عن فراشه الى الارض وجثا
على ركبتيه واستل عمودا من بين فراشين واستحال لونه
ودرت اوداجه وقال انك لصاحبي يوم واسط
لا نجوت ان نجوت مني قال قلت يا امير المومنين
تلك نصرتي لباطلهم فكيف نصرتي لحقك قال
فقال لي كيف قلت فاعدت عليه القول فما زال
يستعيدني حتى رد العمود الى مستقره واستوى
متربعا واسفر لونه وقال يا معن ان باليمن هنات
قلت يا امير المومنين ليس لمكتوم راي وهو اول من
ارسلها مثلا فقال انت صاحبي فاجلس قال فجلست
وامر الربيع باخراج كل من كان في الدار وخرج الربيع
فقال لي ان صاحب اليمن قد هم بالمعصية واني اريد
ان اخذه اسيرا ولا يفوتني شي من ماله قال قلت ولني اليمن
واظهر انك قد ضممتني اليه ومر الربيع ان يزيل عللي في كل
ما احتاج اليه وتخرجني في يومي هذا لئلا ينتشر
الخبر قال فاستل عهدا من بين فراشين فوقع فيه اسمي
وناولنيه ثم دعى الربيع فقال يا ربيع انا قد ضممنا معنا الي

صاحب اليمن فانزح عليه فيما يحتاج اليه من السلاح والكراع
ولا يمسي الا وهو راحل قال ثم ودعني وودعته وخرجت
الى المعسكر فلقيني ابو الوائل فقال لي يا معن اعزز علي ان
تضم الى ابن اخيك قال فقلت انه لا غضاضة على الرجل
بضمه سلطانه الى ابن اخيه وخرجت الى اليمن فاتيت
الرجل فاخذته اسيرا وقعدت في مجلسه ۞ وروى عمرو بن
شبة قال اجتمع عند معن بن زائدة ابن ابي عاصية
وابن ابي حفصة والضمري فقال لينشدني كل واحد
منكم امدح بيت قاله في فانشد ابن ابي حفصة ۞

مسحت ربيعة وجه معن سابقا لما جرى وجرى ذوو الاحساب

فقال له معن الجواد يعثر فيمسح وجهه من الغبار
والقتاد وغيرها وانشد الضمري ۞

انت امرؤ همك المعالي ودون معروفك الربيع

ويروى ودون معروفك التبيع ۞

وشانك الحمد تشتريه يشيعه عنك من يبيع

فقال له ما احسن ما قلت الا انك لم تسمني ولم تذكرني فمن شاء
انتحله وانشد ابن ابي عاصية ۞

ان زال معن بني زائدة لم يزل الندى الى بلد بغير مسافر

ففضله عليهم ۞ وروى انه اتي معن ابن زائدة بثلثمائة اسير
فامر بضرب اعناقهم فقال له شاب منهم يا اخا بني شيبان
ننشدك الله ان تقتلنا عطاشا فقال اسقوهم ماء فلما شربوا قال
يا اخا بني شيبان ننشدك الله ان تقتل اضيافك فقال اطلقوهم ۞
وذكر احمد بن كامل ان الخوارج قتلت معن بن زائدة بسجستان
في سنة اثنتين وخمسين ومائة ۞ وروى ان عبد الله بن طاهر
كان يوما عند المامون فقال له يا ابا العباس من اشعر من قال
الشعر في خلافة بني هاشم قال امير المومنين اعرف بهذا مني
قال على حال قال ابو عبد الله اشعرهم الذي يقول في معن بن زائدة ۞

ايا قبر معن كيف واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا
ايا قبر معن كنت اول حفرة من الارض خطت للسماحة مضجعا
بلى قد وسعت الجود والجود ميت ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا

والابيات للحسين بن مطير الاسدي وبنو زبيد على هذا المقدار
واولها ۞

الما بمعن ثم قولا لقبره سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا

ويروى الما على معن وقولا لقبره ۞ وقبلها

فتىً عِيشَ في معروفه بعد موته ... كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
ولما مضى معنٌ مضى الجود بعده ... وأصبح عرنين المكارم أجدعا

مجلس آخر

تأويل آية. إن سأل سائل فقال ما الوجه في قوله تعالى إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق، وفي موضع آخر وقتلهم الأنبياء بغير حق، وظاهر هذا القول يقتضي أن قتلهم قد يكون بحق، وقوله ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به، وقوله الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها، وقوله ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا، وقوله تعالى لا يسألون الناس إلحافا، والسؤال عن هذه الآيات كلها من وجه واحد هو الذي تقدم.

الجواب

إن للعرب فيما جرى هذا المجرى من الكلام عادة معروفة ومذهبا مشهورا عند من تصفح كلامهم وفهم عنهم ومرادهم بذلك المبالغة في النفي وتأكيده، فمن ذلك قولهم فلان لا

يرجى خيره وليس يريدون أن فيه خيرا لا يرجى وإنما غرضهم أنه لا خير عنده على وجه من الوجوه، ومثله قولهم قلّ ما رأيت مثل هذا الرجل وإنما يريدون أن مثله لم ير لا قليلا ولا كثيرا، قال امرؤ القيس

على لاحبٍ لا يهتدى بمناره ... إذا سافه العود الديافي جرجرا

يصف طريقا، وأراد بقوله لا يهتدى بمناره أنه لا منار له يهتدى بها، والعود المسن من الإبل، والديافي منسوب إلى دياف قرية بالشام معروفة، وسافه شمه، والجرجرة مثل الهدير، وإنما أراد أن العود إذا شمه عرفه فاستبعده وذكر ما يلحقه فيه من المشقة فجرجر لذلك، قال ابن أحمر

لا تفزع الأرنب أهوالها ... ولا ترى الضب بها ينجحر

أراد ليست بها أهوال فتفزع الأرنب، وقال النابغة

واحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت ... إلى حمامٍ شراعٍ وارد الثمد
قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا ... إلى حمامتنا ونصفه فقد
يحفه جانبا نيقٍ وتتبعه ... مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد

أراد ليس بها رمد فتكحل له، والهاء في يحفه للحمام، والنيق أرفع موضع في الجبل، ومثل الزجاجة عين المرأة التي وصفها.

وقال امرؤ القيس

سليم الشظا عبل الشوى شنج النسا ... له حجبات مشرفات على الفال

الشظا عظيم مستدق لاصق بعظم الذراع والحجبة على الورك وهما حجبتان مشرفتان على الخاصرتين فجمعهما بما حولهما والفال يعني به الفائل فقلبه والفائل هو لحم على خربة الورك

وصم حوافر ما يقين من الوجى ... كأن مكان الردف منه على رال

يصف حوافر فرسه وقوله ما يقين من الوجى فالوجى هو الحفا ويقين أي يتوقين يقال وقى الفرس اذا هاب المشي فأراد أنه لا وجى بحوافره فيتهيبن الأرض من أجله والرال فرخ النعام وشبه اشراف عجزه بعجز الرال

وقال الآخر

لا يغمز الساق من أين ولا وصب ... ولا يعض على شرسوفه الصفر

أراد ليس بساقه أين ولا وصب فيغمزها من أجلهما وقال سويد بن أبي كاهل

من أناس ليس من أخلاقهم ... عاجل الفحش ولا سوء الجزع

ولم يرد أن في أخلاقهم فحشا عاجلا ولا آجلا ولا جزعا غير سيئ وانما أراد نفي الفحش والجزع عن أخلاقهم

ومثل ذلك

ومثل ذلك قولهم فلان غير سريع الى الخنا وهم يريدون أنه لا يقرب الخنا لا نفي الاسراع حسب وقال الفرزدق وهو يهجو بني جعفر بن كلاب ويعيرهم بقتلى منهم أصيبوا في بعض حروبهم فحملت النساء هؤلاء القتلى حتى أتين بهم الحي

ولم تأت عير أهلها كالذي أتت ... به جعفرا يوم الهضيبات عيرها

أتتهم بعير لم تكن هجرية ... ولا حنطة الشام المزيت خميرها

يعني انما العير انما تحمل الطعام الى الحي فحملت عير هؤلاء القوم القتلى وقوله لم تكن هجرية أي لم تحمل التمر وذلك لكثرة التمر بهجر ثم قال ولا حنطة الشام المزيت خميرها ولم يرد أن هناك حنطة ليس في خميرها زيت لكنه أراد أنها لم تحمل تمرا ولا حنطة ثم وصف الحنطة وما يجعل في خميرها من الزيت فعلى هذا تأويل الآيات التي وقع السؤال عنها لانه تعالى لما قال ويقتلون النبيين بغير حق دل على أن قتلهم لا يكون الا بغير حق ثم وصف القتل بما لا بد أن يكون عليه من الصفة وهي وقوعه على خلاف الحق وكذلك ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به انما هو وصف لهذا الدعاء وانه لا يكون الا عن غير برهان وقوله تعالى الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها

ووجهه أيضا أنه لو كان هناك عمد لرأيتموها إذ انتفى رؤية
العمد كما قال لا يهتدى بمناره أي لا منار له من حيث علم أنه
لو كان له منار لاهتدي به فصار نفي الاهتداء بالمنار نفيا
لوجود المنار وقوله تعالى ولا تكونوا أول كافر به تغليظ وتأكيد
في تحذيرهم من الكفر وهو أبلغ من أن يقول ولا تكفروا
به ويجري مجرى قولهم فلان لا يسرع إلى الخنا وقل ما رأيت
مثله إذا أرادوا به تأكيد نفي الخنا ونفي رؤية مثل المذكور
وكذلك قوله تعالى لا يسألون الناس إلحافا أي لا مسألة تقع
منهم ومثل الأول ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا والفائدة
فيه أن كل ثمن لها لا يكون إلا قليلا فصار نفي الثمن القليل
نفيا لكل ثمن وهذا واضح بحمد الله ومنه

باب ذكر شيء من أخبار

المعمرين وأشعارهم ومستحسن كلامهم

أحد المعمرين الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن خالد بن مالك
ابن أدد المذحجي ومذحج هي أم مالك بن أدد نسب ولد مالك
إليها وإنما سميت مذحجا لأنها ولدت على أكمة تسمى مذحجا

صرفت العرب أددا لم يعلوه من
باب عمر وزفر

وأمهما مدلة بنت ذي منجشان قال أبو حاتم السجستاني جمع
الحارث بن كعب بنيه لما حضرته الوفاة فقال يا بني قد أتت علي ستون
ومائة سنة ما صافحت يميني يمين غادر ولا قنعت نفسي بخلة
فاجر ولا صبوت بابنة عم ولا كنة ولا طرحت عندي
مومسة قناعها ولا بحت لصديق بسر وإني لعلى دين شعيب
النبي عليه السلام وما عليه أحد من العرب غيري وغير أسد
ابن خزيمة وتميم بن مر فاحفظوا وصيتي وموتوا على شريعتي
إلهكم فاتقوه يكفكم المهم من أموركم ويصلح
لكم أعمالكم وإياكم ومعصية الله لا يحل بكم الزمان ولا
يوحش منكم الديار يا بني كونوا جميعا ولا تفرقوا
فتكونوا شيعا وإن موتا في عز خير من حياة في ذل وعجز
وكل ما هو كائن وكل جميع إلى تباين والدهر صرفان
فصرف رخاء وصرف بلاء واليوم يومان فيوم حبرة
ويوم عبرة والناس رجلان فرجل معك ورجل عليك
تزوجوا الأكفاء وليستعملن في طيبهن الماء وتجنبوا الحمقاء
فإن ولدها إلى أفن ما يكون إلا أنه لا راحة لقاطع القرابة
وإذا اختلف القوم أمكنوا عدوهم منهم وآفة العدد اختلاف

الكلمة والتفضل بالحسنة تفي السيئة والمكافاة بالسيئة
الدخول فيها والعمل السوء يزيل النعمة وقطيعة تورث الهم وانتهاك الحرمة
تزيل النعمة وعقوق الوالدين يعقب النكد وتمحق العدد
وتخرب البلد والنصيحة تجر الفضيحة والحقد يمنع الرفد
ولزوم الخطيئة يعقب البلية وسوء الرعة يقطع اسباب
المنفعة والضغاين تدعوا الى التباين ٥ انشا يقول

اكلت شبابي فافنيته ... وامضيت بعد دهور دهورا
ثلثة اهلين صاحبتهم ... فبادوا واصبحت شيخا كبيرا
قليل الطعام عسير القيام ... قد ترك الدهر خطوي قصيرا
ابيت اراعي نجوم السما ... اقلب امري بطونا ظهورا

قوله ولا صبوة يا ابنة عم ولا كنة الصبوة هي رقة
الحب والكنة امراة اخي الرجل وامراة ابنه وامراة ابن
اخيه ٥ فاما المومسة فهي الفاجرة البغي وزاد بقوله انها
لم تطرح عنه قناعها اي لم تتبذل عنده وتنبسط كما يفعل
مع من تريد الفجور بها وقوله فيوم حبرة ويوم عبرة فالحبرة
الفرح والسرور والعبرة تكون من ضد ذلك لان العبرة لا
تكون الا من امر يحزن ويولم ٥ فاما الافن فهو الحمق

الرحم

يقال

يقال رجل افين اذا كان احمق ومثل من امثالهم وجدان الرقين
يغطي على افن الافين اي وجدان المال يغطي على حمق الاحمق وواحد
الرقين رقة وهي الفضة ٥ فاما قوله النصيحة تجر الفضيحة فيشبه
ان يكون معناه ان النصيح اذا نصح لمن لا يقبل نصيحته ولا يصغي
الى موعظته فقد افتضح عنده لانه افضى اليه بسره وباح بمكنون
صدره ٥ فاما سوء الرعة فانه يقال فلان حسن الرعة والتورع
اي حسن الطريقة ٥

ومن المعمرين

المستوغر وهو عمرو بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة
ابن تميم بن مر بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر ٥ وانما
سمي المستوغر ببيت قاله ٥ الكامل

ينش الماء في الربلات منها ... نشيش الرضف في اللبن الوغير

الربلات واحدها ربلة وربلة بفتح الباء واسكانها وهي كل
لحمة غليظة هكذا ذكر ابن دريد والرضف
الحجارة المحماة وفي الحديث كانه الرضف ٥ واللبن الوغير
لبن يلقى فيه حجارة محماة ثم يشرب اخذ من وغرة
الظهيرة وهي اشد ما يكون من الحر ومنه وغر الصدر يقال

وعر صدر فلان يوغر وغرا اذا التهب من غضب وحقد ٥ وقال
اصحاب الانساب عاش المستوغر ثلثماية سنة وعشرين سنة وادرك
الاسلام او كاد يدركه ٥ وقال ابن سلام كان المستوغر قديما
وبقي بقاء طويلا حتى قال ٥

ولقد سئمت من الحياة وطولها وعمرت من عدد السنين مئينا
مائة اتت من بعدها مائتان لي وازددت من عدد الشهور سنينا
هل ما بقي الا كما قد فاتنا يوم يكر وليلة تحدونا

وهو القايل ٥

اذا ما المرء صم فلم يكلم واودى سمعه الا ندايا
ولاعب بالعشي بني بنيه كفعل الهر يحترش العظايا الهر
يلاعبهم وودوا لو سقوه من الذيفان مترعة ملايا
فلا ذاق النعيم ولا شرابا ولا يشفى من المرض الشفايا

اراد بقوله صم فلم يكلم اي لم يسمع ما يكلم به فاختصر ويجوز
ان يريد انه لم يكلمه الناس من استماعه فاعرض عن خطابه
لذلك وقوله واودى سمعه الا ندايا اراد ان سمعه قد هلك
الا انه يسمع الصوت العالي الذي ينادى به وانما قلب الهمزة
في ندايا وشفايا وغيرهما ياء لانه لو قال ندآء لكانت تحصل همزة

يكتنفها



يكتنفها الفان الالف قريب من الهمزة واذا اجتمع
الفان مع همزة صارت كانه قد حصل قريب من الهمزتين فلما كان
كذلك ابدل من الهمزة ياء ٥ وقوله ولاعب بالعشي بني بنيه
فانه مبالغة في صفة الهرم والخرف وانه قد تناهى الى
ملاعبة الصبيان وانسه بهم ويشبه ان يكون خص العشي
بذلك لانه وقت رواح الصبيان الى بيوتهم واستقرارهم
فيها ٥ وقوله يحترش العظايا اي يصيدها والاحتراش
ان يقصد الرجل الى جحر الضب فيضربه بكفه
ليحسبه الضب افعى فيخرج ذنبه اليه فياخذه يقال احترشت
الضب واحترشته ومن امثالهم هذا اجل من الحرش يضرب
عند الامر يستعظم ويتكلم بذلك على لسان الضب قال
ابن دريد قال الضب لابنه اتق الحرش فقال وما الحرش
قال اذا سمعت حركة بباب الجحر فلا تخرج فسمع يوما
وقع المحفار فقال يا ابه اهذا الحرش فقال هذا اجل من الحرش
يجعل مثلا للرجل اذا سمع الشيء الذي هو اشد مما كان يتوقعه والذيفان
السم والعظايا جمع عظاية وهي دويبة معروفة ٥

واحد المعمرين

دويد بن زيد بن نهد بن زيد بن ليث بن سود بن اسلم بضم اللام بن الحاف بن
قضاعة بن مالك بن مرة بن مالك بن حمير ٭ قال ابو حاتم
عاش دويد بن زيد اربع مائة سنة وستا وخمسين سنة وقال
ابن دريد لما حضرت دويد بن زيد الوفاة وكان من المعمرين قال
ولا تعد العرب معمرا الا من عاش مائة وعشرين سنة فصاعدا قال
لبنيه يا بني اوصيكم بالناس شرا لا ترحموا لهم عبرة و لا
تقيلوا لهم عثرة قصروا الاعنة وطولوا الاسنة واطعنوا
شزرا واضربوا هبرا واذا اردتم المحاجزة فقبل المناجزة
والمرء يعجز لا المحالة بالجد لا بالكد التجلد ولا التبلد
والمنية ولا الدنية لا تأسوا على فائت وان عز فقده ولا تحنوا
الى ظاعن وان الف قربه ولا تطمعوا فتطبعوا ولا تهنوا
فتخرعوا ولا يكون لكم المثل السوء ان الموصين بنو سهوان
اذا مت فارحبوا خط مضجعي ولا تضنوا على رحب الارض وما
ذلك بمؤد الى روحا ولكن راحة النفس حاضرها الاشفاق
ثم مات ٭ قال ابو بكر بن دريد وفي حديث اخر قال

اليوم يبنى لدويد بيته ٭
يا رب نهب صالح حويته ٭ ورب قرن بطل ارديته ٭

ورب غيل حسن لويته ٭ ومعصم مخضب ثنيته ٭
لو كان للدهر بلى ابليته ٭ او كان قرني واحدا لقيته ٭

ومن قوله ٭ القى على الدهر رجلا ويدا
والدهر ما اصلح يوما افسدا ٭ يفسد ما اصلحه اليوم غدا ٭

قوله اطعنوا شزرا واضربوا هبرا معنى الشزر ان يطعنه من
احدى ناحيتيه يقال فتل الحبل شزرا اذا نظر اليه من عن يمينه
وشماله وطعنه شزرا كذلك ٭ وقوله هبرا قال ابن دريد
يقال هبرت اللحم اهبره هبرا اذا قطعته قطعا كبارا والاسم
الهبرة وقوله بالجد لا بالكد اي يدرك الرجل حاجته
وطلبته بالجد وهو الحظ والبخت ومنه رجل مجدود
فاذا كسرت الجيم فهو الانكماش في الامر والمبالغة فيه وقوله
التجلد ولا التبلد اي تجلدوا ولا تتبلدوا وقوله فتطبعوا
اي تدنسوا والطبع الدنس ويقال طبع السيف يطبع طبعا
اذا ركبه الصدأ قال ثابت قطنة العتكي ٭

لا خير في طمع يدني الى طبع ٭ وغفة من قوام العيش تكفيني ٭

وقوله ولا تهنوا فتخرعوا فالوهن الضعف والخرع والخراعة
اللين ومنه سميت الشجرة الخروع للينها وقوله ان الموصين بنو

سهوان فالموصون جمع موصى وبنو سهوان ضرب به مثلا اى لا تكونوا
ممن تقدم اليهم فسهوا واعرضوا عن الوصية وقالوا انه يضرب هذا
المثل للرجل الموثوق به ذمة ۞ ومعناه ان الذين يحتاجون
الى ان يوصوا بحوائج اخوانهم هم الذين يسهون عنها لقلة
عنايتهم وانت عنى غافل ولا ساه عن حاجتى وقوله فارحبوا
واوسعوا والرحب السعة والروح الراحة وقوله فى الشعر
ورب غيل فالغيل الساعد الممتلى والمعصم موضع السوار
من اليد ۞

ومن المعمرين

زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر
ابن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن
الجاف بن ثعلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة
ابن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير ۞
قال ابو حاتم عاش زهير بن جناب مائتى سنة وعشرين سنة
واوقع مائتى وقعة وكان سيدا مطاعا شريفا فى قومه ويقال
كانت فيه عشر خصال لم يجتمعن فى غيره من اهل زمانه ۞
كان سيد قومه وشريفهم وخطيبهم وشاعرهم ووافدهم الى الملوك

وطبيبهم

وطبيبهم والطب فى ذلك الزمان شرف وحازى قومه والحزاة
الكهان وكان فارس قومه وله البيت فيهم والعدد منهم ۞ واوصى
بنيه فقال يا بنى انى قد كبرت سنى وبلغت حرسا من دهرى فاحكمتنى
التجارب والامور تجربة واختبار فاحفظوا عنى ما اقول
وعوه ۞ اياكم والخور عند المصائب والتواكل عند النوائب فان
ذلك داعية للغم وشماتة للعدو وسوء ظن بالرب واياكم ان تكونوا
بالاحداث مغترين ولها امنين ومنها ساخرين فانه ما سخر
قوم قط الا ابتلوا ولكن توقعوها فانما الانسان فى الدنيا غرض
تعاوره الرماة فمقصر دونه ومجاوز لموضعه وواقع عن يمينه
وشماله ثم لا بد انه مصيبه ۞

قوله حرسا من دهرى يريد دهرا والحرس الدهر قال الراجز

فى سنبة عشنا بذاك حرسا

والسنبة المدة من الدهر والتواكل ان يكل القوم امرهم الى
غيرهم من قولهم رجل وكل اذا كان لا يلى نفسه ويكل امره الى غيره يقال
رجل وكلة تكلة والغرض كلما نصبته للرمى وتعاوره
اى تداوله قال المرتضى رضى الله عنه وقد ضمن ابن الرومى معنى
قول زهير بن جناب الانسان فى الدنيا غرض تعاوره الرماة فمقصر

دونه ومجاوز له ودافع عن لمته وشماله ثم لا بد له أن يصيبه إتيانا له فأحسن كل الإحسان والإبانة

كفى برواح الشيب في الرأس هاديا ... لمن قد أضلته المنايا لياليا

أمن بعد إبداء المشيب مقاتلي ... لرامي المنايا تحسبيني ناجيا

غدا الدهر يرميني فتدنو سهامه ... لشخصي وأخلق أن يصبن سواديا

وكان كرامي الليل يرمي ولا يرى ... فلما أضاء الشيب شخصي رمانيا

أما البيت الأخير فإنه أبدع فيه وغرب وما علمت أنه سبق إلى معناه لأنه جعل الشباب كالليل الساتر على الإنسان الحاجز بينه وبين من أراد رميه لظلمته والشيب مبديا لمقاتله هاديا إلى إصابته لضوئه وبياضه وهذا في نهاية حسن المعنى وأراد بقوله رماني أي أصابني ومثله قول الشاعر

فلما دنى شخصي بنت سوادة ... ولا بد أن ترمي سواد الذي ترمي

وكان زهير بن جناب على عهد كليب ووائل ولم يكن في العرب أنطق من زهير ولا أوجه عند الملوك وكان لسداد رأيه يسمى كاهنا ولم تجمع قضاعة إلا عليه وعلى رزاح بن ربيعة وسمع زهير بعض بناته تتكلم بما لا ينبغي لامرأة أن تتكلم به عند زوجها فنهاها فقالت له اسكت عني وإلا لا

ضربتك بهذا العمود فوالله ما كنت أراك تسمع شيئا ولا تعقله فقال عند ذلك

ألا يا لقومي لا أرى النجم طالعا ... ولا الشمس إلا حاجبي بيميني

معزبتي عند القفا بعمودها ... يكون نكيري أن أقول ذريني

أمينا على سر النساء وربما ... أكون على الأسرار غير أمين

فللموت خير من حداج موطأ ... مع الظعن لا يأتي المحل لحين

وهو القائل

أبني إن أهلك فقد أورثتكم مجدا بنيه

وتركتكم أرباب سادات زنادكم وريه

من كل ما نال الفتى قد نلته إلا التحيه

ولقد رحلت البازل الكوماء ليس لها وليه

وخطبت خطبة حازم غير الضعيف ولا العييه

فالموت خير للفتى فليهلكن وبه بقيه

من أن يرى الشيخ البجال وقد يهادى بالعشيه

وهو القائل

ليت شعري والدهر ذو حدثان ... أي حين منيتي تلقاني

أسبات على الفراش خفات ... أم بكفي مفجع حران

وقال آخر مضت له مائتا سنة من عمره

لقد عمرت حتى ما أبالي أحتفي في صباحي أو مسائي

وحق لمن أتت مائتان عامًا عليه أن يمل من الثواء

قوله معرستي يعني امرأته يقال معرسة الرجل وطلته وحنته كل ذلك امرأته وقوله أمينًا على سر النساء والسر خلاف العلانية والسر أيضًا النكاح قال الحطيئة

ويحرم سر جارتهم عليهم ويأكل جارهم أنف القصاع

وقال امرؤ القيس

ألا زعمت بسباسة اليوم أنني كبرت وأن لا يحسن السر أمثالي

وكلام زهير يحتمل الوجهين جميعًا لأنه إذا كبر وهرم لم تتهيبه النساء أن تتحدث بحضرته بأسرارها تهاونًا به وتعويلا على ثقل سمعه ولذلك هرمه وكبره يوجبان كونه أمينًا على نكاح النساء لعجزه عنه وقوله حداج موطأ الحداج مركب من مراكب النساء والجمع أحداج وحدوج والظعن والأظعان الهوادج والظعينة المرأة في الهودج ولا تسمى ظعينة حتى تكون في هودج والجمع ظعائن وإنما خبر عن هرمه وأن موته يحين من

كونه مع الظعن في جملة النساء وقوله زنادكم وربة الزناد جمع زند وزندة وهما عودان يقدح بهما النار وفي أحدهما فروض وهي ثقب فالتي فيها الفروض هي الأنثى والذي يقدح بطرفه هو الذكر وتسمى الزند الأب والزندة الأم وكنى بزنادكم وربة عن بلوغهم ما أرادوا تقول العرب ورت بك زنادي أي نلت بك ما أحب من النجح والنجاة ويقال للرجل الكريم واري الزناد وأما التحية فهي الملك فكأنه قال من كل ما نال الفتى قد نلته إلا الملك وقيل التحية هاهنا الخلود والبقاء والبازل الناقة التي قد بلغت تسع سنين فهي أشد ما تكون ولفظ البازل في الناقة والجمل سوا والكوم العظيمة الأسنام والولية بردعة تطرح على ظهر البعير تلي جلده والنجال الذي يجله قومه ويعظمونه ومعنى بها ذي أي مما يشبه الرجال فيستبدونه الضعفة والنهادي المشي الضعيف وقوله أثبات فالثبات سكون الحركة ورجل ثبوت والخفات الضعف يقال خفت الرجل إذا أصابه ضعف من مرض أو جوع والمفجع الذي قد فجع بولد له أو قرابة والحران العطشان الملتهب وهو هاهنا الحزين على فتلاه ومما يردي

لزهير بن جناب

اذا ما شئت أن تسلى حبيباً فأكثر دونه عدد الليالي
فما سلى حبيبك مثل نأي وما أبلى جديدك كابتذال

مجلس آخر

ومن المعمرين ذو الاصبع العدواني واسمه حرثان بن محرث بن الحرث بن ربيعة بن وهب بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان وهو الحرث بن عمرو بن قيس بن عيلان بن مضر وانما سمي الحرث عدوان لانه عدا على اخيه فهم فقتله وقيل بل فقأ عينه وقيل ان اسم ذي الاصبع محرث بن حرثان وقيل حرثان بن حويرث وقيل حرثان بن حارثة ويكنى ابا عدوان وسبب لقبه بذي الاصبع ان حية نهشته على اصبعه فشلت فسمي بذلك ويقال انه عاش مائة وسبعين سنة وقال ابو حاتم انه عاش ثلثمائة سنة وهو احد حكام العرب في الجاهلية وذكر الجاحظ انه كان اثرم ويروى عنه

لا يبعدن عهد الشباب ولا لذاته ونباته النضر
لولا اولئك ما حفلت متى عوليت في حرج الى قبري

هزئت اثيلة ان رأت هرمي وان انحنى لتقادم ظهري

وكان لذي الاصبع بنات اربع فعرض عليهن ان يزوجهن فأبين وقلن خدمتك وقربك احب الينا ثم اشرف عليهن يوماً من حيث لا يرينه فقلن لتقل كل واحدة منا ما في نفسها فقالت الكبرى

الا هل اراها مرة وضجيعها اشم كنصل السيف عين مهند
عليم بأدواء النساء واصله اذا ما انتمى من سر اهلي ومحتدي

ويروى من اهل سري ومن اصل سري ومحتدي فقلن لها انت تريدين ذا قرابة قد عرفته ثم قالت الثانية

الا ليت زوجي من اناس اولي غنى حديث الشباب طيب الثوب والعطر

ويروى اولي غنى

لصوق بأكباد النساء كأنه خليفة جان لا ينام على وتر

ويروى لا ينام على هجر فقلن لها انت تريدين فتى ليس من اهلك ثم قالت الثالثة

الا ليته يكنى الجمال نديه له جفنة تشقى بها النيب والجزر
له حكمات الدهر من غير كبرة تشين فلا فان ولا ضرع غمر

فقلن لها انت تريدين سيداً شريفاً وقلن للرابعة قولي فقالت لا اقول شيئاً فقلن لها يا عدوة الله علمت ما في انفسنا

ولا تعلمنا ما في نفسك قالت زوج من عود خير من قعود فمضت
مثلا فزوجهن اياهم وتركهن حولا ثم اتى الكبرى فقال
يا بنية كيف ترين زوجك قالت خير زوج يكرم الحليلة
ويعطي الوسيلة قال فما ماله قالت خير مال الابل نشرب البانها
جرعا ونروي جرعا بالبان الغبن المخة وناكل لحمانها نزعا
ويحملنا وضعيفنا معا فقال يا بنية زوج كريم ومال عميم ٥
ثم اتى الثانية فقال يا بنية كيف زوجك فقالت خير زوج
يكرم اهله وينسى فضله قال فما ماله قالت البقر
تألف الفنا وتملأ الانا وتودك السقا ونسا مع النساء فقال
لها حظيت وبضيت ٥ ثم اتى الثالثة فقال لها يا بنية
كيف زوجك فقالت لا سمح بذر ولا بخيل حكر قال فما
ماله قالت المعزى قال وما هي قالت لو كنا نولدها
فطما ونسلخها ادما ونروي ادما بالفتح لم نبغ بها نعما فقال لها
جذوة مغنية وتروى حذوى مغنية ٥ ثم اتى الصغرى
فقال يا بنية كيف زوجك قالت شر زوج يكرم نفسه ويهين
عرسه قال فما ماله قالت شر مال قال وما هو قالت الضان جوف
لا يشبعن وهيم لا ينقعن وصم لا يسمعن وامر مغويتهن

يتبعن

١٣٦

[illegible]

يتبعن فقال لها ابوها اشبه امرؤ بعض بزه فمضت مثلا ٥ اما
قول بعض بناته في الشعر اشم والشمم هو ارتفاع ارنبة الانف وورودها
يقال رجل اشم وامراة شما وقوم شم قال حسان بن ثابت ٥
بيض الوجوه كريمة احسابهم شم الانوف من الطراز الاول
والشمم الارتفاع في كل شيء ويحتمل ان يكون اراد حسان
بشمم الانوف ما ذكرناه من ورود الارنبة لان ذلك عندهم دليل
العتق والنجابة ٥ ويجوز ان يريد بذلك الكناية عن نزاهتهم وتباعدهم
عن دنايا الامور ورذائلها وخص الانوف بذلك لان الحمية
والغضب والانف فيها ولم يرد طول انفهم وهذا اشبه بان يكون
مراده لانه قال في اول البيت بيض الوجوه ولم يرد بياض اللون
في الحقيقة وانما كنى بذلك عن نقاء اعراضهم وجميل
اخلاقهم وافعالهم كما يقول القايل جاني فلان بوجه
ابيض وقد بيض فلان وجهه بكذا وكذا وانما يعني ما ذكرناه
وقول المراة اشم كنصل السيف يحتمل الوجهين ايضا وقول
حسان من الطراز الاول اي افعالهم افعال ابايهم وسلفهم وانهم
لم يحدثوا اخلاقا مذموما لا تشبه نجارهم واصولهم ٥
وقولها عضب مهند اي هو المهند بعينه كما يقال هذا هو بعينه وعين

النثي نفسه وعلى الرواية الاخرى غير مسند اي لئيم هو السنيف
المنسوب الى الهند في الحقيقة وانما هو منسوب الى ضبابه ٥ وقولها
من سر اهلي اي من اكرمهم واخلصهم يقال فلان في سر قومه اي
في صميمهم وشرفهم وسر الوادي اطيبه ترابا والمحتد الاصل ٥ وقول النابغة
الى عدي فانما معناه ان يكون لهم اعدا لان من لا عدو له هو الفسل
الرذل الذي لا خير عنده والكريم الفاضل من الناس هو المحسد
المعادي وقولها الصوق باكباد النساء يعني في المضاجعة
ويحتمل ان يكون ارادت في المحبة والمودة ولئن بذلك عن
شدة بحبتهن له وميلهن اليه وهو اشبه وقولها كانه خلقه
جان لان يكون من الجنانة احسن واقرب الى الصواب ويكون
من باب قوله ٥ اذا لم احز كنت مخ جان اي كانه حية للصوقه
والجان جنس من الحيات خفيفة لصفة ونم الشعر ٥ وقول
الثالثة يلتي احمال نديه فالندي هو المجلس ٥ وقولها له حكمات
الدهر تقول قد احكمته التجارب وجعلته حكيما ٥ واما
الضرع فهو الضعيف والغمر الذي لم يجرب الامور ٥ وقول
الكبرى يكرم الحليلة ويعطي الوسيلة فالحليلة هي امراة الرجل
والوسيلة الحاجة وقولها تشرب البانها جزعا فالجزع جمع

جزعة

الاول ان يكون العدى هو [illegible]
[illegible] من [illegible]
وهو [illegible]

جزعة وهو الماء القليل يبقى في الاناء وقولها مزعا المزعة البقية من
دسم يقال ماله جزعة ولا مزعة هكذا ذكر ابن دريد الصمة
في جزعة ووجدت غيره يكسرها فيقول جزعة واذا كسرت فينبغي
ان يكون تشرب البانها جزعا وتكسر المزعة ايضا لازدواج الكلام
فتقول وتاكل لحمانها مزعا فان المزعة بالكسر هي القطعة من
الشحم ٥ والمزعة ايضا بالكسر من الريش والقطن وغير ذلك كالمزقة
من الخرق والتمزيع التقطيع والتشقيق يقال انه ليكاد
يتمزع من الغيظ ومزع في عدوه يمزع مزعا اذا اسرع ٥ وقوله
مال عميم اي لئيم ٥ قول الثانية تؤدك الشقا من الودك الذي
هو الدسم فقول الثالثة تولدها فطما الفطم جمع فطيم وهو
المقطوع من الرضاع ٥ وقولها انسلخها ادما فالادم جمع
ادام وهو الذي يوكل تقول لو انا فطمناها عند الولادة ٥
وسلخناها للادم من الحاجة لم تبغ بها نعما ٥ وعلى الرواية
الاخرى ادما من الادم ٥ وقوله جذوة مغنية فالجذوة
القطعة ٥ وقول الصغرى جوف لا يتبعن الجوف جمع جوفا
وهي العظيمة الجوف ٥ والهيم العطاش ولا يتبعن اي لا يروين
ومعنى قولها وام مغوبهن يتبعن اي القطيع من الضان

ثم مر على قنطرة فنزل واحدة فنقع في الماء فيتبعهن كلهن اتباعا لها والضان
توصف بالبلادة ٥ اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال
حدثنا ابن دريد قال اخبرنا ابو حاتم عن ابي عبيدة عن يونس قال
ابن دريد واخبرنا به العكلي عن ابي خالد عن الهيثم بن عدي عن
مسعر بن كدام قال حدثني سعيد بن خالد الجدلي قال لما
قدم عبد الملك بن مروان الكوفة بعد قتل مصعب دعا
الناس الى فرايضهم فاتيناه فقال من القوم فقلنا من جديلة فقال
جديلة عدوان قلنا نعم فتمثل عبد الملك ٥

عذير الحي من عدوان كانوا حية الارض
بغى بعضهم بعضا فلم يرعوا على بعض
ومنهم كانت السادات والموفون بالقرض
ومنهم حكم يقضي فلا ينقض ما يقضي
ومنهم من يجيز الناس بالسنة والفرض

ثم اقبل على رجل كنا قدمناه امامنا جسيم وسيم فقال ايكم
يقول هذا الشعر فقال لا ادري فقلت من خلفه يقوله ذو
الاصبع فتركني واقبل على ذلك الجسيم فقال وما كان اسم ذي الاصبع
فقال لا ادري فقلت انا من خلفه اسمه حرثان فاقبل عليه

وتركني

وتركني فقال لم سمي ذا الاصبع فقال لا ادري فقلت انا من خلفه نهشته
حية على اصبعه فاقبل عليه وتركني فقال من ايكم كان فقال لا ادري
فقلت انا من خلفه من بني ناج فاقبل على الجسيم ~~فاقبل على الجسيم~~
فقال كم عطاؤك قال سبع مائة درهم ثم اقبل علي فقال كم عطاؤك
قلت اربع مائة درهم فقال يا ابن الزعيزعة حط من عطاء هذا
ثلثمائة وزدها في عطاء هذا فرحت وعطاي سبع مائة وعطاوه
اربع مائة ٥ وفي رواية اخرى انه لما قال من ايكم كان
فقال لا ادري قلت انا من خلفه من بني ناج الذين يقول
فيهم الشاعر ٥

واما بنو ناج فلا تذكرنهم ولا تتبعن عينيك من كان هالكا
اذا قلت معروفا لتصلح بينهم يقول وهيب لا اسالم ذلكا
ويروى لا احاول ذلكا ٥
فاضحى كظهر العود جب سنامه تحوم عليه الطير احدب باركا

ويروى بريت الى الاعداء وقد رويت هذه الابيات لذي الاصبع
ايضا ٥ ومن ابيات ذي الاصبع السايرة قوله ٥

اكاشر ذا الضغن المبين منهم واضحك حتى يبدو الناب اجمع
واهدنه بالقول هدنا ولو يرى سريرة ما اخفي لبات يفزع ٥

ومعنى أهدنه أسكنه ۞ ومنه قوله أيضا ۞

إذا ما الدهر جرّ على أناس ... شراشره أناخ بآخرينا

فقل للشامتين بنا أفيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا

معنى الشراشر هاهنا الثقل يقال ألقى عليه شراشره وجراميزه أي ثقله ومن قوله أيضا ۞

ذهب الذين إذا رأوني مقبلا ... هشّوا إليّ ورحّبوا بالمقبل

وهم الذين إذا حملت حمالة ... ولقيتهم فكأنني لم أحمل

ومن قوله وهي مشهورة ۞

لي ابن عم على ما كان من خلق ... مختلفان فأقليه ويقليني

أزرى بنا أننا شالت نعامتنا ... فخالني دونه بل خلته دوني

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب ... عني ولا أنت دياني فتخزوني

إني لعمرك ما بابي بذي غلق ... عن الصديق ولا خيري بممنون

ولا لساني على الأدنى بمنطلق ... بالفاحشات ولا أغضي على الهون

ماذا عليّ وإن كنتم ذوي رحمي ... أن لا أحبكم إذ لم تحبوني

يا عمرو إلا تدع شتمي ومنقصتي ... أضربك حيث تقول الهامة اسقوني

وأنتم معشر زيد على مائة ... فأجمعوا أمركم طرا فكيدوني

لا يخرج القسر مني غير مأبية ... ولا ألين لمن لا يبتغي ليني

قوله شالت

قوله شالت نعامتنا معناه تنافرنا فصرت لا أطمئن إليه ولا يطمئن إليّ يقال شالت نعامة القوم إذا جلوا عن الموضع ۞ وقوله لاه ابن عمك قال قوم أراد لله ابن عمك قال ابن دريد أقسم وأراد لله ابن عمك وقوله عني أي عليّ والديان الذي يلي أمره ومعنى فتخزوني أي فتسوسني ۞ والهون الهوان وقوله أضربك حيث تقول الهامة اسقوني قال الأصمعي العطش في الهامة فأراد أضربك في ذلك الموضع أي على الهامة حيث تعطش ۞ قال آخرون العرب تقول إن الرجل إذا قتل خرجت من رأسه هامة تدور حول قبره وتقول اسقوني ولا تزال كذلك حتى يؤخذ بثأره وهذا باطل ويجوز أن يعنيه ذو الإصبع على مذاهب العرب وقوله لا يخرج القسر مني غير مأبية فالقسر القهر أي إن أخذت قسرا لم أزدد إلا إباء ۞

ومن المعمرين

معدي كرب الحميري من آل ذي رعين قال ابن سلام وقال معدي كرب الحميري وقد طال عمره ۞

أراني كلما أفنيت يوما ... أتاني بعده يوم جديد

يعود ضياؤه في كل فجر ... ويأبى لي شبابي ما يعود

ومن المعمرين

الربيع بن ضبع الفزاري يقال انه بقي الى ايام بني امية وروي انه دخل على عبد الملك بن مروان فقال له يا ربيع اخبرني عما ادركت من العمر والمدى ورايت من الخطوب الماضية فقال انا الذي اقول

ها انا ذا آمل الخلود وقد ... ادرك عقلي ومولدي حجرا

فقال عبد الملك قد رويت هذا من شعرك وانا صبي قال وانا القائل

اذا عاش الفتى مائتين عاما ... فقد ذهب اللذاذة والفتاء

قال وقد رويت هذا من شعرك وانا غلام وابيك يا ربيع لقد طلبك جد غير عاثر ففصل لي عمرك قال عشت مائتي سنة في فترة عيسى عليه السلام وعشرين ومائة سنة في الجاهلية وستين سنة في الاسلام قال اخبرني عن فتية من قريش متواطئي الاسماء قال سل عن ايهم شئت قال اخبرني عن عبد الله ابن عباس قال فهم وعلم وعطاء جزم ومقرى ضخم قال فاخبرني عن عبد الله بن عمر قال حلم وعلم وطول كظم وبعد من الظلم قال فاخبرني عن عبد الله بن جعفر قال ريحانة طيب

ريحها لين مسها قليل على المسلمين ضررها قال فاخبرني عن عبد الله بن الزبير قال جبل وعر ينحدر منه الصخر قال لله درك يا ربيع ما اخبرك بهم قال قرب جواري وكثر استخباري قال السيد رضي الله عنه ان كان هذا الخبر صحيحا فيشبه ان يكون سؤال عبد الملك انما كان في ايام معوية لا في ولايته لان الربيع يقول في الخبر عشت في الاسلام ستين سنة وعبد الملك ولي في سنة خمس وستين من الهجرة فان كان صحيحا فلا بد مما ذكرناه فقد روي ان الربيع ادرك ايام معوية ويقال ان الربيع لما بلغ مائتي سنة قال

ألا أبلغ بني بني ربيع ... فأشرار البنين لكم فداء

بأني قد كبرت ودق عظمي ... فلا تشغلكم عني النساء

وان كنائني لنساء صدق ... وما آلى بني ولا اساءوا

آلى هو الصحيح ومعنى آلى قصر في قول بعضهم واللغة الاخرى ألا مخففا يقال ألا الرجل يألو اذا قصر وفتر فاما آلى في اليمين فلا وجه له لانه بمعنى حلف ولا معنى له هاهنا

اذا كان الشتاء فادفئوني ... فان الشيخ يهدمه الشتاء

واما حين يذهب كل قر ... فسربال خفيف او رداء

إذا عاش الفتى مائتين عاماً فقد ذهب اللذاذة والفتاء

وقال حين بلغ مائتين وأربعين سنة

أصبح مني الشباب قد حسرا إن ينأ عني فقد ثوى عصرا
ودّعنا قبل أن نودّعه لما قضى من جماعنا وطرا
ها أنا ذا آمل الخلود وقد أدرك عقلي ومولدي حجرا
أبا امرئ القيس هل سمعت به هيهات هيهات طال ذا عمرا
أصبحت لا أحمل السلاح ولا أملك رأس البعير إن نفرا
والذئب أخشاه إن مررت به وحدي وأخشى الرياح والمطرا
من بعد ما قوة أسرّ بها أصبحت شيخاً أعالج الكبرا

قوله عطا جذم أي تزيّع وكل شيء تزعت منه فقد جذمته وفي الحديث إذا أذنت فترسل وإذا أقمت فاجذم أي أسرع. والمقرى الإناء الذي يقرى فيه. وقوله فما آلى بنيّ ولا أساءوا أي لم يقصروا والآلي المقصّر.

مجلس آخر

ومن المعمرين أبو الطمحان القيني واسمه حنظلة بن الشرقي من بني كنانة بن القين قال أبو حاتم عاش أبو الطمحان القيني مائتي سنة

فقال في ذلك

حنتني حانيات الدهر حتى كأني خاتل أدنو لصيد
قصير الخطو يحسب من رآني ولست مقيداً أني بقيد

ويروى قريب الخطو. قال أبو حاتم حدثني عدة من أصحابنا أنهم سمعوا يونس بن حبيب ينشد هذين البيتين وينشد أيضاً

تقارب خطو رجلك يا دويد وقيدك الزمان بشر قيد

وهو القائل أيضاً

وإني من القوم الذين هم هم إذا مات منهم ميت قام صاحبه
نجوم سماء كلما غاب كوكب بدا كوكب تأوي إليه كواكبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
وما زال منهم حيث كان مسوّد تسير المنايا حيث سارت كتائبه

ومعنى البيت الأول من بيت قول أوس بن حجر

إذا مقرم منا ذرا حد نابه تخمّط فينا ناب آخر مقرم

ولطفيل الغنوي مثل هذا المعنى

كواكب دجن كلما انقضّ كوكب بدا وانجلت عنه الدجنة كوكب

وقد أخذ الخريمي هذا المعنى فقال

إذا قمر منا تغوّر أو خبا بدا قمر في جانب الأفق يلمع

ومثل ذلك

خلائفه أهل الأرض فينا وراثة إذا مات منا سيد قام صاحبه

ومثله

إذا سيد منا مضى لسبيله أقام عمود الملك آخر سيد

وكان مزاحم العقيلي نظر الى قول أبي الطمحان

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم

في قوله وقد أحسن

وجوه لو ان المدلجين اعتشوا بها صدعن الدجى حتى ترى الليل ينجلي

ويقارب ذلك قول جحية بن المضرب السعدي

أضاءت لهم أحسابهم فتضاءلت لنورهم الشمس المضيئة والبدر

وأنشد محمد بن يحيى الصولي في معنى بيت أبي الطمحان

من البيض الوجوه بني سنان لو انك تستضيء بهم أضاءوا

هم حلوا من الشرف المعلى ومن كرم العشيرة حيث شاءوا

فلو ان السماء دنت لمجد ومكرمة دنت لهم السماء

وأبو الطمحان القائل

إذا كان في صدر ابن عمك إحنة فلا تستثرها سوف يبدو دفينها

وهو القائل

اذا اشار

إذا أشار أغبها استقى من وقيعة كعين الغراب صفوها لم يكدر

وتروى صفوه لم يكدر والوقيعة المستنقع في الصخر للماء ويقال للماء إذا نزل من صخرة فوقع في بطن أخرى هو ماء الوقائع وأنشدوا لذي الرمة

ونلنا سقاطا من حديث كأنه جنى النحل ممزوجا بماء الوقائع

ويقال للماء الذي يجري على الصخر ماء الحشرج وللماء الذي يجري بين الحصى والرمل ماء المفاصل وأنشدوا لأبي ذؤيب الهذلي

وإن حديثا منك لو تبذلينه جنى النحل في ألبان عوذ مطافل

مطافيل أبكار حديث نتاجها تشاب بماء مثل ماء المفاصل

المفاصل جمع مفصل وهو ما بين الجبلين وأنشدوا لأبي الطمحان

بني إذا ما سامك الظلم قاهر عزيز فبعض الذل أتقى وأحرز

ولا تحم من بعض الأمور تعززا فقد يورث الذل الطويل التعزز

وهذان البيتان يرويان لعبد الله بن معوية الجعفري

ويروى لأبي الطمحان أيضا في مثل هذا المعنى

وذي مظلمة يوما لطبت لها أمضي علي إذا ما غاب أنصاري

حتى إذا ما انقضت عني غيابتها وثبت فيها وثوب المخدر الضاري

ومن المعمرين

عبد المسيح بن بقيلة الغساني وهو عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان
ابن بقيلة وبقيلة اسمه ثعلبة وقيل الحرث وانما سمي بقيلة لانه
خرج في بردين اخضرين على قومه فقالوا له ما انت الا
بقيلة فسمي بذلك وذكر الكلبي وابو مخنف وغيرهما
انه عاش ثلثمائة سنة وخمسين سنة وادرك الاسلام
ولم يسلم وكان نصرانيا وروي ان خالد بن الوليد لما
نزل على الحيرة وتحصن منه اهلها ارسل اليهم ابعثوا الي
رجلا من عقلائكم وذوي اسنانكم فبعثوا اليه بعبد
المسيح بن بقيلة فاقبل يمشي حتى دنا من خالد فقال
انعم صباحا ايها الملك فقال قد اغنانا الله عن
تحيتك هذه فمن اين اقصى اثرك ايها الشيخ قال من
ظهر ابي قال فمن اين خرجت قال من بطن امي قال فعلام
انت قال على الارض قال ففيم انت قال في ثيابي قال
اتعقل لا عقلت قال اي والله واقيد قال ابن كم انت قال
ابن رجل واحد قال خالد ما رايت كاليوم رجلا قط اني
اساله عن الشي وينحو في غيره قال ما اجبتك الا عما سالت

فسل

فسل عما بدا لك قال اعرب انتم ام نبط قال عرب استنبطنا
ونبط استعربنا قال احرب انتم ام سلم قال لا بل سلم قال فما
هذه الحصون قال بنيناها للسفيه نحذر منه حتى يجي الحليم
فينهاه قال كم اتى لك قال خمسون وثلثمائة سنة قال فما ادركت
قال ادركت سفن البحر ترفا الينا في هذا الجرف ورايت
المراة من اهل الحيرة تخرج من الحيرة تضع مكتلها
على راسها لا تزود الا رغيفا واحدا حتى تاتي الشام وقد اصبحت
اليوم خرابا يبابا وذلك داب الله في العباد والبلاد قال
ومعه سم ساعة يقلبه في كفه فقال له خالد ما هذا في
كفك قال هذا السم قال وما تصنع به قال ان كان عندك
ما يوافق قومي واهل بلدي حمدت الله وقبلته وان كانت الاخرى
لم اكن اول من ساق اليهم ذلا وبلا اشربه فاستريح من
الدنيا فانما بقي من عمري اليسير قال خالد هاته فاخذه ثم قال
بسم الله وبالله رب الارض والسماء الذي لا يضر مع اسمه شي ثم اكله
فتجللته غشية ثم ضرب بذقنه صدره طويلا ثم عرق
فافاق كانما نشط من عقال فرجع ابن بقيلة الى قومه فقال
قد جئتكم من عند شيطان اكل سم ساعة فلم يضره صانعوا

اليوم ولأخرجونهم عنكم فإن هذا أمر مصنوع لهم فصانعوهم على
ما بيد الفرس منهم وأنشأ ابن بقيلة يقول

أبعد المنذرين أرى سواماً تروح بالخورنق والسدير
تحاماه فوارس كل قوم مخافة ضيغم عالي الزئير
وصرنا بعد هلك أبي قبيس كمثل الشاء في اليوم المطير

تريد أبا قابوس فصغّر ويروى كمثل المعز

تقسمنا القبائل من معد علانية كأيسار الجزور
نؤدي الخرج بعد خراج كسرى وخرج من قريظة والنضير
كذاك الدهر دولته سجال فيوم من مساءة أو سرور

ويقال إن عبد المسيح بن بقيلة لما بنى قصره المعروف بقصر بني بقيلة قال

لقد بنيت للحدثان حصناً لو ان المرء تنفعه الحصون
طويل الرأس أقعس مشمخراً لأنواع الرياح به حنين

ومما يروى لعبد المسيح بن بقيلة

والناس أبناء علات فمن علموا أن قد أقل فمجفو ومحقور
وهم بنون لأم إن رأوا نشباً فذاك بالغيب محفوظ ومخفور

وهذا يشبه قول أوس بن حجر

وإني

وإني وجدت الناس إلا أقلهم خفاف العهود يكثرون التنقلا
بني أم ذي المال الكثير يرونه وإن كان عبداً سيد الأمر جحفلا
وهم لمقل المال أولاد علة وإن كان محضاً في العمومة مخولا

وذكر أن بعض مشايخ أهل الحيرة خرج إلى ظهرها يختط ديراً فلما احتفر موضع الأساس وأمعن في الاحتفار أصاب كهيئة البيت فدخله فإذا رجل على سرير من رخام وعند رأسه كتابة أنا عبد المسيح بن بقيلة

حلبت الدهر أشطره حياتي ونلت من المنى بلغ المزيد
وكافحت الأمور وكافحتني فلم أخضع لمعضلة كؤود
وكدت أنال في الشرف الثريا ولكن لا سبيل إلى الخلود

ومن المعمرين

النابغة الجعدي واسمه قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة ابن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ويكنى أبا ليلى وروى أبو حاتم السجستاني قال كان النابغة الجعدي أسن من النابغة الذبياني والدليل على ذلك قوله

تذكرت والذكرى تهيج على الهوى ومن حاجة المحزون أن يتذكرا

ندماي عند المنذر بن محرق اري اليوم منهم ظاهر الارض مقفرا
كهول وفتيان كان وجوههم دنانير مما شيف في الارض قيصرا
فهذا يدل على انه كان مع المنذر بن محرق والنابغه
الذبياني كان مع النعمن بن المنذر بن محرق ٥ قوله شيف
يعني جلي والشوف المجلو ويقال ان النابغة عبر ثلثين سنه
لا يتكلم ثم تكلم بالشعر ومات وهو ابن عشرين ومائة سنة
باصبهان وكان ديوانه بها وهو الذي يقول ٥

فمن يك سائلا عني فاني من الفتيان ايام الخنان

الخنان بالخاء المعجمة ونونين بينهما الف

وايام الخنان ايام كانت للعرب فذبه هاج بهم فيها مرض
في انوفهم وحلوقهم

مضت مائة لعام ولدت فيه وعشر بعد ذاك وحجتان
فابقى الدهر والايام مني كما ابقى من السيف اليماني
تفلل وهو ماثور جراز اذا جمعت بقايمه اليدان

وقال ايضا في طول عمره ٥

لبست اناسا فافنيتهم وافنيت بعد اناس اناسا
ثلثة اهلين افنيتهم وكان الاله هو المستآسا

معنى المستآسى المستعاض وروى هشام بن محمد الكلبي انه

عاش

١٤٥

عاش مائتين وثمانين سنة ٥ وروى ابن دريد عن ابي حاتم في موضع
اخر ان النابغة الجعدي عاش مائتي سنة وادرك الاسلام وروى له

قالت امامة قد عمرت زمانة وذبحت من عتر على الاوثان

العتر بن شاة تذبح لاصنامهم في رجب في الجاهلية ٥

ولقد شهدت عكاظ قبل محلها فيها وكنت اعد ملفتيان
والمنذر بن محرق في ملكه وشهدت يوم هجائن النعمان
وعمرت حتى جاء احمد بالهدى وقوارع تتلى من القرآن
ولبست من الاسلام ثوبا واسعا من سيب لا حرم ولا منان

وله ايضا في طول عمره ٥

المرء يهوى ان يعيش وطول عيش قد يضره
تفنى بشاشته ويبقى بعد حلو العيش مره
وتتابع الايام حتى لا يرى شيئا يسره ٥
كم شامت بي ان هلكت وقايل لله دره

ويروى ان النابغة الجعدي كان يفتخر ويقول انشدت النبي صلى الله
عليه وسلم فانشدته ٥

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال صلى الله عليه واله اين المظهر يا ابا ليلى فقلت الجنة يا رسول الله

فقال أجل إن شاء الله ثم أنشدته

ولا خير في حلم إذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال النبي صلى الله عليه وآله لا يفضض الله فاك وفي رواية أخرى لا يفضض فوك فيقال إن النابغة عاش عشرين ومائة سنة لم تسقط له سن ولا ضرس وفي رواية أخرى عن بعضهم قال رأيته وقد بلغ الثمانين ترف غروبه وكان كلما سقطت له ثنية نبتت له أخرى مكانها وهو من أحسن الناس ثغرا. معنى ترف تبرق وكأن الماء يقطر منها

قال المرتضى ومما يشاكل قوله الجنة في جواب قول النبي صلى الله عليه وآله إلى أين المطلع يا أبا ليلى وإن كان يتضمن العكس من معناه ما روي من دخول الأخطل على عبد الملك بن مروان مستغيثا من فعل الجحاف السلمي وأنه أنشد

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة إلى الله منها المشتكى والمعول

فإن لم تغيرها قريش بحلمها يكن عن قريش مستماز ومزحل

فقال عبد الملك إلى أين يا ابن اللخناء فقال إلى النار قال لو قلت غيرها

لقطعت

لقطعت لسانك. فقوله إلى النار تخلص مليح على البديهة كما تخلص الجعدي بقوله إلى الجنة. وأول قصيدة الجعدي التي ذكرنا منها هذه الأبيات

خليلي عوجا ساعة وتهجرا ولوما على ما أحدث الدهر أو ذرا

ولا تسألا إن الحياة قصيرة فطيرا لروعات الحوادث أو قرا

وإن كان أمر لا تطيقان دفعه فلا تجزعا مما قضى الله واصبرا

يهيج اللحاء والملامة ثم ما يقربن منا غير ما كان قدرا

ألم تعلما أن الملامة نفعها قليل إذا ما الشيء ولى فأدبرا

أبى الله علم الغيب عما سواه ويعلم منه ما مضى وتأخرا

وفيها

وجاهدت حتى ما أحس ومن معي سهيلا إذا ما لاح ثم تغورا

يريد أني كنت بالشام وسهيل لا يكاد يرى هناك وهذا بيت معنى وفيها يقول

ونحن أناس لا نعود خيلنا إذا ما التقينا أن تحيد وتنفرا

وننكر يوم الروع ألوان خيلنا من الطعن حتى نحسب الجون أشقرا

وليس بمعروف لنا أن نردها صحاحا ولا مستنكرا أن تعقرا

وأخبرنا المرزباني قال أنشدنا علي بن سليمان الأخفش قال أنشدنا

احمد بن يحيى قال انشد نا محمد بن سلام وغيره للنابغة الجعدي

تلوم على هلاك البعير ظعينتي وكنت على لوم العواذل زاريا

الم تعلمي اني رزئت محاربا فما لك منه اليوم شيء ولا ليا

ومن قبله ما قد رزئت بوحوح وكان ابن امي والخليل المصافيا

فتى تم فيه ما يسر صديقه على ان فيه ما يسوء الاعاديا

ويروى فتى كان فيه ما يسر صديقه

اشم طويل الساعدين سميدع اذا لم يرح للمجد اصبح غاديا

السميدع السيد ومما يروى للنابغة الجعدي

عقيلة او من هلال بن عامر بذي الرمث من وادي المنار خيامها

اذا ابتسمت في الليل والليل دونها اضاء دجى الليل البهيم ابتسامها

وذكر الاصمعي عن ابي عمرو بن العلاء قال سئل الفرزدق بن غالب عن الجعدي فقال صاحب خلقان يكون عنده مطرف بالف دينار وخمار بواف قال الاصمعي وصدق الفرزدق بينا النابغة في كلام اسهل من الزلال واشد من الصخر اذ لان فذهب ثم اشتد له

سما لك هم ولم تطرب وبت ببث ولم تنصب

وقالت سليمى ارى راسه كناصية الفرس الاشهب

وذلك

وذلك من وقعات المنون ففيئي اليك ولا تجتبي

اتين على اخوتي سبعة وعدن على ربعي الاقرب

ثم يقول بعدها

فادخلك الله برد الجنان جذلان في مدخل طيب

فلان كلامه حتى لو ان ابا الشمقمق قال هذا البيت كان رديا ضعيفا. قال الاصمعي وطريق الشعر اذا ادخلته في باب الخير لان الا ترى ان حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والاسلام فلما ادخل شعره في باب الخير من مراثي النبي صلى الله عليه واله وحمزة وجعفر عليهما السلام وغيرهما لان شعره.

مجلس آخر

مسالة تتعلق بما ذكرناه. ان سال سايل فقال كيف يصح ما اوردتموه من تطاول الاعمار وامتدادها وقد علمتم ان كثيرا من الناس ينكر ذلك ويحيله ويقول انه لا قدرة عليه ولا سبيل اليه. ومنهم من ينزل في انكاره درجة فيقول انه وان كان جائزا من طريق القدرة والامكان فانه مما يقطع على انتفائه لكونه خارقا للعادات واذا

ثبت الدليل بانها لا تنخرق الا على سبيل الابانة والدلالة على صدق
نبي من الانبياء عليهم السلام علم ان جميع ما روي من زيادة الاعمار
على العادة باطل مصنوع لا يلتفت الى مثله

الجواب

قيل لما من ابطل تطاول الاعمار من حيث الاحالة ولخرجه عن باب
الامكان فقوله ظاهر الفساد لانه لو علم ما العمر في الحقيقة
وما المقتضي لدوامه اذا دام وانقطاعه متى انقطع لعلم من جواز
امتداده ما علمناه والعمر هو استمرار كون من يجوز ان يكون
حيا وغير حي حيا وان شئنا ان نقول هو استمرار كون
الحي الذي لكونه على هذه الصفة ابتدا حياة ٥ وانما
شرطنا الاستمرار لانه يبعد ان يوصف من كان حالة واحدة
حيا بان له عمرا لا بد من ان يراعوا في ذلك ضربا من الامتداد
والاستمرار وان قل وشرطنا ان يكون ممن يجوز ان يكون
غير حي او يكون لكونه حيا ابتدا لئلا يلزم عليه القديم
تعالى لانه تعالى ممن لا يوصف بالعمر وان استمر كونه حيا
وقد علمنا ان المختص بفعل الحياة هو القديم وفيما يحتاج اليه
الحياة من البنية والمعاني ما يختص به عز وجل ولا يدخل

الا تحت

الا تحت مقدور من كالرطوبة وما يجري مجراها فمتى فعل
القديم تعالى الحياة وما يحتاج اليه من البنية وفي مما يجوز
عليه البقا كالبنية ولذلك ما يحتاج اليه فليست
تنتفي الا بضد يطرا عليها او بضد ينفي ما يحتاج اليه والاقوى
انه لا ضد لها في الحقيقة وربما ادعى قوم انه ينتفي بانتفاء
ما يحتاج اليه ولو كان للحياة ضد على الحقيقة لم يخل بما
نقصد في هذا الباب فمهما لم يفعل القديم تعالى ضدها او ضد
ما يحتاج اليه ولا ينقض منا ناقض بنية الحي استمر
كون الحي حيا ولو كانت الحياة لا تبقى على مذهب من
راى ذلك لكان ما قصدناه صحيحا لانه تعالى قادر
على ان يفعلها حالا فحالا ويوالي بين فعلها وفعل ما يحتاج
اليه فيستمر كون الحي حيا ٥ فاما ما يعرض من الهرم
بامتداد الزمان وعلو السن وتناقض بنية الانسان فليس
مما لا بد منه وانما اجرى الله العادة بان يفعل ذلك عند
تطاول الزمان ولا ايجاب هناك ولا تاثير للزمان على وجه
من الوجوه وهو تعالى قادر على ان لا يفعل ما اجرى العادة بفعله
واذا ثبتت هذه الجملة ثبت ان تطاول العمر ممكن غير مستحيل

وإنما أنا من أحال ذلك من حيث اعتقد أن استمرار كون
الحي حيًّا موجب عن طبيعة وقوة لها مبلغ من المادة
التي انتهت إليه بطل واستحال أن تدوم ولو أضاف فوق ذلك
إلى فاعل مختار متصرف لخرج عندهم من باب الإحالة
فأما الكلام على دخول ذلك في العادة أو خروجه عنها
فلا شك في أن العادة قد جرت في الأعمار بأقدار متقاربة
بعد الزائد عليها خارقًا للعادة إلا أنه قد ثبت أن العادة
قد تختلف في الأوقات وفي الأماكن أيضًا ويجب أن تراعى في
العادة إضافتها إلى من هي عادة له في المكان والوقت وليس
يمتنع أن ينقل ما كانت العادة جارية به على تدريج حتى يصير
حدوثه خارقًا للعادة بغير خلاف وإلا أن يكثر
الخارق للعادة حتى يصير حدوثه غير خارق لها
على خلاف فيه وإذا صح ذلك لم يمتنع أن تكون العادات في
الزمان الغابر كانت جارية بتطاول الأعمار وامتدادها
ثم تناقص ذلك على تدريج حتى صارت عادتنا الآن جارية
بخلافه وصار ما بلغ مبلغ تلك الأعمار خارقًا للعادة وهذه
جملة فيما أردناه كافية

باب في الجوابات

باب في الجوابات الحاضرة

المستحسنة التي يسميها قوم المسكتة

اعلم أن أجوبة المحاورات والمناظرات إنما تستحسن وتؤثر إذا
جمعت مع الصواب سرعة الحضور وكم من جواب أتى بعد
لأي وتردد بعد تقاعس لم يكن له في النفوس وقع ولا حل من
القلوب محل الحاضر السريع وإن كان المتثاقل أعرق في نسب
الإصابة وأخذ بأطراف الحجة ولهذا قيل أحسن الناس
جوابًا وأحضرهم قريش ثم العرب وإن الموالي تأتي أجوبتها
بعد لأي وفكرة وروية وقد مدح الجواب الحاضر
بكل لسان فقال صحار العبدي لمعاوية بن أبي
سفيان وقد سأله عن البلاغة قال هي أن تصيب ولا تخطئ
وتسرع ولا تبطئ ثم اختصر ذلك فقال لا تخطئ ولا
تبطئ ولطول الفكرة والإغراق في الروية مذهب وأوان
لا تحمد فيهما السرعة والتعجل كما لا يحمد في أوان السرعة
التثاقل والتأيد وإنما تحمد السرعة في أجوبة المحاورات والمناظرات
وتراد الفكرة والروية للأشياء المستخرجة والأمور
المستنبطة التي على الإنسان فيها مهلة وله في تأملها فسحة

ولا عيب عليه معها في اطالة التامل وارادة التصفح ولهذا قال
الاحنف بن قيس اغبوا الراي فان ذلك يكشف لكم عن محضه
وقال عبد الله بن وهب الراسبي لما اراده الخوارج على الكلام
حين عقدوا له لا خير في الراي الفطير والكلام
القضيب ٥ وشتم ابن التوام الرقاشي فامسك عن الجواب
وقال ما احب الخير الا بانا ٥ فاما قولهم ثلث تعرف في
الاحمق سرعة الجواب وكثرة الالتفات والثقة
بكل احد فمحمول على الاسراع بالجواب عند الراي والتاني
والاحوال التي يستحب فيها التاني والتثبت او على الاسراع
من غير تحصيل ولا ضبط وذلك مذموم ولا اشكال
فيه ٥ ثم نعود الى ما قصدناه وروي ان بعض ازواج النبي
صلى الله عليه وسلم سالته متى يعرف الانسان ربه فقال اذا
عرف نفسه • وقال له صلى الله عليه رجل اني اكره الموت
فقال عليه السلام الك مال قال نعم قال فقدم مالك فان قلب
كل امرء عند ماله ٥ وقال يهودي لامير المؤمنين عليه
السلام ما دفنتم نبيكم حتى اختلفتم فقال عليه السلام انما اختلفنا
عنه لا فيه ولكنكم ما جفت اقدامكم حتى قلتم لنبيكم

اجعل

اجعل لنا الها كما لهم الهة قال انكم قوم تجهلون ٥ وروي انه لما فرغ
عليه السلام من دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم سال عن خبر
السقيفة فقيل له ان الانصار قالت منا امير ومنكم امير فقال
عليه السلام فهلا ذكرتم للانصار قول النبي صلى الله عليه وآله
يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم فكيف يكون الامر
فيهم والوصاة بهم ٥ وقال له عليه السلام ابن الكوا يا
امير المؤمنين كم بين السماء والارض قال دعوة مستجابة
وقيل له عليه السلم ما طعم الماء قال طعم الحياة ٥ وقيل له كم
بين المشرق والمغرب فقال مسيرة يوم للشمس ٥ واثنى عليه
رجل وكان له متهما فقال انا دون ما تقول وفوق ما في نفسك
وكان عليه السلام اذا اطراه رجل قال اللهم انك اعلم بي منه
وانا اعلم بنفسي فاغفر لي ما لا يعلم ٥ اخبرنا ابو عبد الله
المرزباني قال حدثني عبد الواحد بن محمد الخصيبي قال حدثني
ابو علي احمد بن اسماعيل قال حدثني ايوب بن الحسين الهاشمي
قال قدم على الرشيد رجل من الانصار يقال له نفيع وكان
عريضا فحضر باب الرشيد يوما ومعه عبد العزيز بن
عمر بن عبد العزيز وحضر موسى بن جعفر عليهما السلم على حمار

له فتلقاه الحاجب بالبر والاكرام واعظمه من كان هناك وعجل
له الاذن فقال انبغي لعبد العزيز من هذا الشيخ قال او ما تعرفه
قال لا قال هذا شيخ آل ابي طالب هذا موسى بن جعفر فقال ما رايت
اعجز من هؤلاء يفعلون هذا برجل يقدر ان يزيلهم عن
السرير اما لئن خرج لاسوءنه فقال له عبد العزيز لا
تفعل فان هؤلاء اهل بيت قل ما تعرض لهم احد في
خطاب الا وسموه في الجواب سمة يبقى عارها عليه مدى
الدهر قال وخرج موسى بن جعفر عليهما السلام
فقام اليه فتبع الانصاري واخذ بلجام حماره ثم قال
له من انت فقال له يا هذا ان كنت تريد النسب فانا ابن محمد
حبيب الله بن اسماعيل ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله وان كنت تريد
البلد فهو الذي فرض الله على المسلمين وعليك ان كنت منهم الحج
اليه وان كنت تريد المفاخرة فوالله ما رضي مشركوا قومي
مسلمي قومك اكفاءهم حتى قالوا يا محمد اخرج الينا
اكفاءنا من قريش ٥ وان كنت تريد الصيت والاسم
فنحن الذين امر الله تعالى علينا في الصلوات المفروضة الصلاة
بقول اللهم صل على محمد وال محمد فنحن ال محمد ٥ خل عن الحمار فخلى

عن

عنه وبكى ثم عدوا وانصرف بخزي فقال له عبد العزيز الم اقل
لك ٥ ويقال ان معوية استشار الاحنف بن قيس في عقد
البيعة لابنه يزيد فقال انت اعلم بليله ونهاره ٥ وقال احمد
ابن يوسف لابي يعقوب الخزيمي مدحك لمحمد بن منصور
اجود من مراثيك فيه فقال كنا نعمل للرجاء واليوم للوفاء وبينهما
بون ٥ ودخل مطيع بن اياس على الهادي في حياة المهدي
فدهش فقال السلام عليك يا امير المؤمنين فقيل له مه فقال بعد
امير المؤمنين ٥ وقال معوية لعقيل بن ابي طالب وكان
جيد الجواب حاضره انا خير لك من اخيك فقال عقيل ان
اخي اثر دينه على دنياه وانت اثرت دنياك على دينك
فاخي خير لنفسه منك وانت خير لي منه ٥ وقال
له يوما ان فيكم لشبقا يا بني هاشم فقال هو منا في الرجال ومنكم
في النساء ٥ وقال له يوما وقد دخل عليه هذا عقيل
عمه ابو لهب فقال عقيل هذا معوية عمته حمالة الحطب
وعمة معوية ام جميل بنت حرب بن امية وكانت امراة ابي
لهب ٥ وقال له يوما يا ابا يزيد اين ترى عمك ابا لهب فقال
عقيل اذا دخلت النار فانظر عن يسارك تجده مفترشا

عمتك حمالة الحطب فانظر ايهما اسوا حالا الناكح ام المنكوح
وقال له ليلة الهرير بصفين يا ابا محمد انت معنا الليلة
قال ويوم بدر لنت معكم ه وقيل لسعيد بن المسيب وقد
كف بصره الا تقدح عينك قال حتى افتحها على من ه
ودخل معن بن زائدة على المنصور فقال له كبرت يا معن قال
في طاعتك قال وانك لتتجلد قال على اعدايك قال وان فيك لبقية
قال هي لك ه وقال عبيد الله بن زياد لمسلم بن عقيل والله
لاقتلنك قتلة يتحدث بها بعدك فقال مسلم اشهد انك
لا تدع سوء القتلة ولؤم القدرة لاحد اولى بهما منك ه
وقال رجل لعمرو بن العاص لاتفرغن لك فقال الان وقعت
في الشغل ه وقال معوية لعمرو بن سعيد بن العاص الملقب
بالاشدق الى من اوصى بك ابوك فقال ان ابي اوصى الي
ولم يوص بي ه وقال عبيد الله بن زياد بن ظبيان
لابنه وقد حضرته الوفاة الا اوصي بك فلانا فالفه
بعدي فقال يا ابه اذا لم يكن للحي الا وصية الميت فالحي
هو الميت ه وقال الوليد بن يزيد لابن الرفاع العاملي
انشدني بعض ما قلت في الخمر فانشده ه
كميت اذا

كميت اذا شجت في الكاس وردة لها في عظام الشاربين دبيب
فقال له شربتها ورب الكعبة فقال ابن الرفاع لئن كان
نعتي لها رابك لقد رابني معرفتك لها ه ولما
اتى معوية نعي الحسن بن علي عليهما السلام بعث الى ابن عباس
رضي الله عنه وهو لا يعلم الخبر فقال له ما جاءك خبر من
المدينة قال لا قال اتانا نعي الحسن واظهر سرورا فقال
ابن عباس اذن لا ينسا في اجلك ولا يسد حفرتك
قال احسبه قد ترك صبية صغارا قال كلنا كان صغيرا
فكبر قال واحسبه قد كان بلغ سنا قال مثل
مولدك لا يجهل فقال معوية له قد قيل انك اصبحت
سيد قومك قال اما وابو عبد الله الحسين بن علي
حي فلا ه فلما كان من غد اتى يزيد بن معوية ابن عباس وهو
في المسجد يعزيه فجلس بين يديه جلسة المعزي واظهر
تحزنا وغما فلما انصرف اتبعه ابن عباس بصره وقال اذا
ذهب حلم الحرب ذهب حلم قريش ه وروي ان وفدا
دخلت على عمر بن عبد العزيز فاراد فتى منهم الكلام فقال
عمر ليتكلم اكبركم فقال الفتى ان قريشا لترى فيها

[illegible]

من نبوات منك فقال له تكلم يا فتى ٥ وروى محمد بن سلام الجمحي
قال انشد نصيب عبد الملك بن مروان

على ابن ابي العاصي دلاص حصينة   اجاد المسدي نسجها فاذالها

فقال له هلا قلت كما قال الاعشى

واذا تكون كتيبة ملمومة   شهباء يخشى الذائدون نهالها
كنت المقدم غير لابس جنة   بالسيف تضرب معلما ابطالها

فقال له انه وصفه بالخرق ووصفتك بالحزم ٥ ويشبه
ذلك ما روي عن ابي عمرو بن العلاء انه لقي ذا الرمة فقال انشدني
قصيدتك   ما بال عينك منها الماء ينسكب
فانشد اياها فلما انتهى الى قوله

تصغي اذا شدها بالكور جانحة   حتى اذا ما استوى في غرزها تثب

فقال ابو عمرو وقول عمك الراعي احسن مما قلت وهو

تراها اذا قام في غرزها   كمثل السفينة او اوقر
ولا تعجل المرء عند الركوب   وهي بركبته ابصر

فقال ذو الرمة ان الراعي وصف ناقة ملك وانا وصفت ناقة
سوقة ٥ وحكى الصولي ان اعرابيا سمع ذا الرمة
ينشد بيته الذي حكيناه فقال سقط والله الرجل ٥ فاما

الغرز

الغرز فهو للناقة مثل الركاب للدابة وهو نسع مضفور ٥ وقوله
تصغي يريد تميل راسها كانها تسمع لانها ليست نفورا
بل مؤدبة مقومة والكور الرحل وقد اخذ هذا المعنى
ابو نواس فاحسن نهاية الاحسان فقال يصف الناقة في
مدحة الخصيب بن عبد الحميد

فكانها مصغ لتسمعه   بعض الحديث باذنه وقر

فلم يرض ان وصفها بالاصغا حتى وصفها بالوقر وهو الثقل في
الاذن لان الثقيل السمع يكون اصغاوه وميله الى جهة
الحديث اشد واكيد ٥ قال المرتضى رضي الله
عنه واني لاستحسن القصيدة التي من جملتها هذا البيت
الذي اوردناه لابي نواس لانها دون العشر ابياتا وقد نسب
في اولها ثم وصف الناقة باحسن وصف ثم مدح الرجل الذي
قصد مدحه واقتضاه حاجته كل ذلك بطبع يتدفق
ورونق يترقرق وسهولة مع جزالة والقصيدة

يا منة امتنها السكر   ما ينقضي مني لها الشكر
اعطتك فوق مناك من قبل   قد كان قبل مرامها وعر
ثنى اليك بها سوالفه   رشا صناعة عينه السحر

ظلت حميا الكاس تبسط انسنا حتى تهتك بيننا الستر
في مجلس ضحك السرور به عن ناجذيه وحلت الخمر

اما قوله فحلت الخمر فيحتمل ان ما وصف به من طيب الموضع وتكامل السرور به وحضور المامول فيه صار مقتضيا لشرب الخمر وملجيا الى تناولها ورافعا للحرج فيها على مذهب الشعرا في المبالغة وتكون فايدة وصفها بانها حلت المبالغة في وصف الجمال بالحسن والطيب ويحتمل ايضا ان يكون عقد على نفسه والى ان لا يتناول الخمر الا بعد الاجتماع مع محبوبه فكان الاجتماع معه مخرجا عن يمينه على مذهب العرب في تحريم الخمر على نفوسهم الى ان ياخذوا بثاراتهم ويجري ذلك مجرى قول الشنفري

حلت الخمر وكانت حراما وبلاي ما المت تحل

ويحتمل ايضا ان يريد بحلت نزلت واقامت من الحلول الذي هو المقام لا من الحلال فكانه وصف جميع اسبابه وحضور فنون لذاته وانها تكاملت بحلول الخمر التي فيها جماع اللذات وهذا الوجه وان لم يشر اليه احد ممن تقدم في تفسير هذا البيت فالقول يحتمله ولا مانع من ان يكون مرادا

وقد قيل

وقد قيل انه اراد انا استحللنا الخمر لسكرنا وفقدنا العقول التي كنا نمتنع لها من الحرام والوجوه المتقدمة اشبه واقرب الى الصواب

ولقد تجوب بي الفلاة اذا صام النهار وقالت العفر

اي اذا صام النهار وقف وذلك وصف له بالامتداد والطول والعفر الظبا اللاتي في الوانهن حمرة تخالطها كدرة وقالت من القايلة وهي وقت نصف النهار لا من القول

شدنية رعت الحمى فاتت مثل الجبال كانها قصر

شدنية منسوبة الى شدن وهو موضع باليمن يقال لملكه ذو شدن

تثني على الجاذين ذا خصل تعماله الشذران والخطر

الجاذ مؤخر الفخذ والشذران رفع الناقة ذنبها من المرح والنشاط وفي كتاب ابن فارس تشذر ذنب الناقة اذا رفعته من النشاط والخطر معروف من خطر يخطر وتعماله اي عمله

اما اذا رفعته شامذة فتقول رنق فوقها نسر

يعني شامذة اي مبالغة في رفع ذنبها [illegible] الطاير اذا

نَشَرَ جناحه طائراً من عش نحريك ؃

اما اذا وضعته خافضة تنقول اثر لك خلفها تبتثر

وتسف احيانا فتحسبها منتشرتما بقناده اثر

معنى تسف اى تدنى راسها من الارض والمنترسم الذى يتتبع

الدرسم ويتامله ومعنى تقتاده اثر هو معنى يطلب

الاثر وهو كل يتتبعه ويقال اثر واثر واثر ثلث

لغات وقد وهم العشولى فى تفسير هذا البيت لانه قال

ان ابا نواس جمع الاثر اثارا ثم جمع الاثار اثرا ثم خفف

فقال اثر وليس يحتاج الى ما ذكره مع ما اوردناه

وانما ذهب عليه انه يقال فى الاثر اثر ؃ بلطم

واذا قصرت لها الزمام تسما فوق المقادم ملطم حجر

وكانها مصغ لتسمعه بعض الحديث باذنه وقر

نتبرى لانقاض اضرّبها جذب البرى مجددها

معنى تبرى اى تنبغى اى تعترض لهذه الانقاض والانقاض

جمع نقض وهو البعير الذى قد هزله السفر والكد ؃

والبرى جمع برة وهى الحلقة تكون فى انف البعير بذلك بها

يرمى اليك بها بنية امل عتبوا فاعتبهم بك الدهر

انت الخصيب

انت الخصيب وهذه مصر فتدفقا فكلاكما بحر

لا تقعدا بى عن مدى املى شيئا فما لكما به عذر

ويحق لى اذ صرت بينكما ان لا يحل بساحتى فقر

مجلس اخر

ثم نعود الى ما كنا اخذنا فيه من ذكر مستحسن

الجوابات ٥ روى ان رجلا نظر الى كثير الشاعر راكبا

وابو جعفر محمد بن على عليه السلام يمشى فقال له اتركب

وابو جعفر يمشى فقال هو امرنى بذلك وانا بطاعته فى

الركوب افضل منى فى عصيانى اياه بالمشى ورُوى ان دعاة

خراسان صاروا الى ابى عبد الله جعفر بن محمد الصادق

عليه السلام فقالوا له ارادنا ولد محمد بن على فقال

اولئك بالسراة ولست بصاحبكم فقالوا له لو اراد الله

بنا خيرا لكنت صاحبنا فقال المنصور بعد ذلك لابى

عبد الله عليه السلام اردت الخروج علينا فقال نحن

نذل عليكم فى دولة غيركم فكيف نخرج عليكم فى دولتكم ؃

وقال عبد الملك بن مروان لنصيب الشاعر هل لك فى الزاب

فقال نصيب الشعر مفلفل واللون مربد وانما قربني اليك عقلي فقربه لي
وقال هرون بن محمد الملقب بالحمار لحاجبه وقد ولي منهم ما كره عليهم
بالسيف فقال لا طاقة لي بذلك فقال والله لئن لم تفعل لاسوءنك
فقال وددت انك تقدر على ذلك ۝ وقال يحيى بن خالد لشريك
علمنا مما علمك الله يا ابا عبد الله فقال له شريك اذا علمتم بما
تعلمون علمنا اذا ما تجهلون ۝ وقال المامون لمحمد بن عمرو بلغني
انك بخيل فقال ما اجمد في حق ولا اذوب في باطل ۝ وقيل
لابي دواد الايادي ونظر الى بنته تسوس فرسه اهنتها
يا ابا دواد فقال اهنتها بكرامتي كما اكرمتها بهواني
ومثل ذلك قول اعرابي لحقه ذل على باب السلطان ۝
اهين لهم نفسي لاكرمها بهم ولن تكرم النفس التي لا تهينها
ودخل عمارة بن حمزة على المنصور مجلسه الذي
كان يجلس فيه فقام رجل الى المنصور فقال مظلوم يا
امير المومنين قال من ظلمك قال عمارة غصبني ضيعتي
فقال المنصور قم يا عمارة فاقعد مع خصمك فقال عمارة
ما هو لي بخصم قال له كيف قال ان كانت الضيعة له فلست
انازعه فيها وان كانت لي فهي له ولا اقوم من مجلس شرفني

يا امير المومنين

به امير المومنين لاقعد في ادنى منه بسبب ضيعة ۝ وقال هشام بن
عبد الملك لرجل في الكعبة سلني حاجتك قال لا اسال في بيت
الله غير الله ۝ وهرب سليمان بن عبد الملك من الطاعون فقيل
له ان الله تعالى يقول قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت
او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا ۝ فقال ذلك القليل نطلب
وقيل ان الجعد بن درهم جعل في قارورة ترابا وماء فاستحال دودا
وهوام فقال لاصحابه انا خلقت ذلك لاني كنت سبب كونه
فبلغ ذلك جعفر بن محمد عليه السلام فقال ليقل كم هو وكم
الذكران منه والاناث ان كان خلقه وكم وزن كل واحدة
منهن وليامر الذي يسعى الى هذا الوجه ان يرجع الى غيره فانقطع
وهرب ۝ وقال المامون للفضل بن سهل اني اخاف
عليك اقواما يباعدونك فلا تركن الى الامن حيث فقال
الفضل ما اخاف غيرك فان امنتني في نفسك لم يضرني انسان
وقيل لابي ثور ما تقول في حماد بن زيد بن درهم وحماد بن
سلمة بن دينار فقال بينهما في العلم كما بين ابويهما في
الصرف ۝ واراد المامون ان يقبل السواد وجلس
يناظر العمال على ذلك فقام اليه رجل من الدهاقين فقال يا امير

المؤمنين ان الله عز وجل ولاك علينا بالامانة فلا تقتلنا فاضرب عن
ذلك ٥ وقال رجل لابن عباس زوجني فلانة وكانت يتيمة في حجره
فقال لا ارضاها لك لانها تستشرف فقال الرجل قد رضيت
انا فقال ابن عباس الان لا ارضاك لها ٥ ويشبه هذا الخبر
من وجه ما رواه المدائنى قال ارسل عمر بن عبد العزيز رجلا
من اهل الشام وامره ان يجمع بين اياس بن معوية المزنى
وبين القاسم بن ربيعة الجوشنى من بنى عبد الله بن غطفان
فيولى القضا اقدرهما فقدم الرجل البصرة فجمع بينهما
فقال اياس للشامى ايها الرجل سل عنى وعن القاسم
فقيهى المصر الحسن وابن سيرين ولم يكن اياس ياتيهما
فعلم القاسم انه ان سالهما اشارا به فقال للشامى لا تسل عنى
ولا عنه فوالله الذى لا اله الا هو ان اياسا افضل منى وافقه
واعلم بالقضا فان كنت عندك ممن يصدق انه لينبغى لك ان
تقبل منى وان كنت كاذبا فما يحل لك ان توليني وانا كاذب
فقال اياس للشامى انك جئت برجل فاقمته على شفير جهنم فافتدى
نفسه من النار ان يقذفه فيها بيمين حلفها كذب فيها يستغفر
الله منها وينجوا مما يخاف فقال الشامى اما اذ فطنت لهذا فانى

اوليك

اوليك واستقضاه ٥ ولما امضى معوية بيعة يزيد جعل الناس
يقرظونه فقال يزيد لابيه ما ندرى انخدع الناس ام يخدعوننا
فقال معوية يا بنى من خدعته فتخادع لك ليخدعك فقد خدعته
وسمع عبد الملك بن مروان ليلة قبض وهو يجود بنفسه وقد
سمع صوت قصار يقول يا ليتنى كنت غسالا لا اعيش بما
اكسب يوما بيوم فبلغ ذلك ابا حازم فقال الحمد لله الذى
جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه ولا نتمنى في الحياة ما هم
فيه ٥ وقال الواثق للجاحظ يا مثانى فقال لو كان الذى اصفقتنى
اليه عبدك ما قدرت على بيعه لكثرة عيوبه فكيف اكون على
ذلك ٥ وقال ابن عباس رضى الله عنه للخوارج وقد سالوه امير
المؤمنين عليه السلم اللهم نشدتكم الله اانتم اعلم بالتنزيل والتاويل على
ام انتم قالوا على قال لم تدرون لعل الذى حكم به فيكم بفضل علمه
علما لا تعلمون فرجع اكثرهم ٥ وقال عتبة بن ابى سفيان
لعبد الله بن العباس ما منع على بن ابى طالب ان يجعلك احد
الحكمين فقال اما والله لو بعثنى لاعترضت مدارج انفاسه
اطير اذا اسف واسف اذا طار ولعقدت له عقدا لا تنتقض
مريرته ولا يدرك طرفاه ولكنه سبق قدر ومضى اجل والاخرة

خير لامير المؤمنين عليه السلم من الدنيا ٥ وقال ابو جعفر محمد
على عليه السلام لكثير امتدحت عبد الملك بن مروان
فقال لم اقل له يا امام الهدى وانما قلت يا شجاع والشجاع حية
ويا اسد والاسد كلب ويا غيث والغيث موات فتبسم ابو جعفر
عليه السلام ٥ وقالت بنت عبد الله بن مطيع لزوجها
يحيى بن طلحة ما رايت الام من اصحابك اذا ايسرت لزموك
واذا اعسرت تركوك فقال هذا من كرمهم ياتونا في حال القوة
منا عليهم ويفارقونا في حال الضعف منا عنهم ٥ وقيل لابرهيم
النخعي متى لبست فقال حين احتيج الي ٥ وراى رجلا يصلي صلاة
خفيفة فقيل له ما هذه الصلاة فقال صلاة ليس فيها ريا ٥
واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن ابي
الازهر قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال زعم الرواة
ان قتيبة بن مسلم لما فتح سمرقند افضى الى اثاث لم ير مثله
والات لم يسمع بمثلها فاراد ان يري الناس عظيم ما فتح ويعرفهم
اقدار القوم الذين ظهر عليهم فامر بدار ففرشت وفي صحنها قدور
يرتقى اليها بالسلاليم واذا الحضين بن المنذر بن الحارث بن
وعلة الرقاشي قد اقبل والناس جلوس على مراتبهم والحضين شيخ

كبير

كبير فلما راه عبد الله بن مسلم اخو قتيبة قال لقتيبة ائذن لي
في معاتبته قال لا ترده فانه خبيث الجواب فابى عبد الله الا ان
ياذن له وكان عبد الله يضعف وكان قد تسور حائطا الى امراة
قبل ذلك فاقبل على الحضين امن الباب دخلت يا ابا ساسان فقال اجل اسن
عمك عن تسور الحيطان فقال ارايت هذه القدور قال هي اعظم من ان لا
ترى قال ما احسب بكر بن وائل راى مثلها قال اجل ولا عيلان ولو راها
سمي شبعان ولم يسم عيلان فقال له عبد الله يا ابا ساسان اتعرف الذي
يقول ٥

عزلنا وامرنا وبكر بن وائل تجر خصاها تبتغي من تحالف

قال اعرفه واعرف الذي يقول ٥

وخيبة من يخيب على غني وباهلة بن يعصر والرباب

قال افتعرف الذي يقول ٥

كان فقاح الازد حول ابن مسمع وقد عرقت افواه بكر بن وائل

قال اعرفه واعرف الذي يقول ٥

قوم قتيبة امهم وابوهم لولا قتيبة اصبحوا في مجهل

قال اما الشعر فاراك ترويه ولكن هل تقرا من القران شيئا قال نعم اقرا
منه الاكثر الاطيب هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا

منكوبا ه قال فاغضبه فقال والله لقد بلغني ان امراة الحضين
حملت اليه وهي حبلى من غيره فاخرك الشيخ عن هيئته الاولى ثم
قال على رسله وما يكون تلد غلاما على فراشي فيقال له ابن الحضين
كما يقال لعبد الله بن مسلم فاقبل قتيبة على عبد الله فقال لا يبعد الله
غيرك ه ولقي شريك النميري رجلا من تميم فقال له التميمي يعجبني
من الجوارح البازي فقال له شريك وخاصة اذا صاد القطا
اراد التميمي بقوله البازي قول جرير ه

انا البازي المطل على نمير اتيح من السماء لها انصبابا

واراد شريك بقوله اذا صاد القطا قول الطرماح ه

تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلت

وساير شريك النميري عمر بن هبيرة الفزاري على بغلة فجاوزت
بغلته برذون عمر فقال له عمر اغضض من لجامها فقال شريك انها
مكتوبة فقال عمر ما اردت ذاك قال شريك ولا انا اردته
ظن شريك ان عمر اراد بقوله اغضض من لجامها قول جرير ه

فغض الطرف انك من نمير فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وعنى شريك بقوله مكتوبة قوله ه

لا تامنن فزاريا خلوت به على قلوصك واكتبها باسيار

معنى

معنى اكتبها اي اشددها ه وانشد ابو تمام الطائي قصيدته
السينية احمد بن المعتصم التي يمدحه بها فلما بلغ الى قوله ه

في حلم احنف في شجاعة عامر في جود حاتم في ذكاء اياس

قال له الكندي وكان حاضرا ما صنعت شيئا قال وكيف قال
لان شعراء دهرنا قد تجاوزوا بالممدوح من كان قبله الا ترى
الى قول ابي العكوك في ابي دلف

رجل ابر على شجاعة عامر باسا وغبر في محيا حاتم

فاطرق الطائي ثم رفع راسه وانشد ه

لا تنكروا ضربي له من دونه مثلا شرودا في الندى والباس
فالله قد ضرب الاقل لنوره مثلا من المشكاة والنبراس

وقال ابن هبيرة لابي دلامة وكان مولى لبني امية لما ظهرت المسودة
لا تتخذن لك منهم عبدا صالحا تخدمك فلما علت كلمتهم وفشت
دعوتهم قال ابو دلامة ليت الله قيض لي منهم مولى صالحا اخدمه ه
وقال يحيى بن خالد لعبد الملك بن صالح الهاشمي ان خصالك
كاملة سوى حقد فيك فقال انا خزانة تحفظ الخير والشر
وقد نظر ابن الرومي الى هذا المعنى في قوله ه

وما الحقد الا توام الشكر في الفتى وبعض السجايا ينتسبن الى بعض

فحيث ترى حقداً على ذي اساءة فثم ترى شكراً على حسن القرض
اذا الارض ادت ريع ما انت زارع من البذر فيها فهي ناهيك من ارض

وقال الحجاج لحطيط الخارجي ما تقول في عبد الملك بن مروان
قال ما اقول في رجل انت خطيئة من خطاياه قال فهل هممت بي قط
قال نعم ولكن حال بيننا بين وقدرت وقد اعطيت الله عهداً ان
سالتني لاصدقنك ولئن خليت عني لاطلبنك ولئن عذبتني لاصبرن
لك فامر بقتله ٥ اما البئر فهي الا تضر الواسعة قال ابن مقبل

بسرو حمير ابوال البغال به انى تسديت وهنا ذلك البينا

وقيل لابي العتاهية لما قال ٥

عتب ما للخيال خبريني ومالي

خرجت من العروض فقال انا اكبر من العروض ٥ يريد انه
عمل الشعر قبل عمل الخليل العروض ٥ وقال عبد الملك بن مروان
للهيثم بن الاسود ما مالك فقال قوام من العيش وغنا عن الناس
فقيل له لم لا تخبر فقال ان كان كثيراً احدني وان كان
قليلا ازدراني ٥ واغتاب الاعمش رجلا من اصحابه فطلع الرجل
على تفئة ذلك فقال له رجل من اصحابه قل له ما قلته حتى لا
يكون غيبة فقال له الاعمش بل قل له انت حتى يكون نميمة ٥

وقال معوية

وقال معوية لعمرو بن العاص هل غششتني مذ نصحتني قال لا قال بلى
يوم اشرت علي بمبارزة علي وانت تعلم من هو فقال عمرو دعاك رجل
عظيم الخطر الى المبارزة فكنت من مبارزته على احدى الحسنيين
اما ان قتلته فقتلت قتال الاقران وازددت شرفا الى شرفك
وخلوت بملكك واما ان قتلك فتعجل مرافقة الشهداء والصد[يقين]
والصالحين فقال معوية لهذه اشد علي من الاولى فقال عمرو و
املت من جهادك في شك فتكون منه الساعة قال دعني منك
الان ٥ وقيل للاحنف وقد رأى مسيلمة الكذاب كيف هو فقال
ما هو بنبي صادق ولا بمتنبي حاذق ٥ وروى المبرد قال قال
زياد لابي الاسود الدؤلي لولا انك قد كبرت لاستعنا بك
في بعض امورنا فقال ان كنت تريدني للصراع فليس عندي ولئن
كنت تريد عقلي ورايي فهما اقوى واوفر ما كانا ٥ وكان ابو الاسود
حاضر الجواب جيد الكلام مليح النادرة ٥ وروى عن الشعبي انه قال
قاتل الله ابا الاسود ما كان اعف اطرافه واحضر جوابه دخل
على معوية بالنخيلة فقال له معوية كنت ذكرت للحكومة قال
نعم قال فما كنت صانعا قال كنت اجمع الفا من المهاجرين وابنائهم
والفا من الانصار وابنائهم ثم اقول يا معشر من حضر ان رجلا

المهاجرين أحق أم رجل من الطلقاء فلعنه معوية وقال الحمد لله الذي
كفاناه ٥ وقد روي أن أبا الأسود خطب أن يكون في الحكومة
وقال لأمير المؤمنين عليه السلام في وقت الحكمين يا أمير المؤمنين
لا ترض بأبي موسى فإني قد عجمت الرجل وبلوته وحلبت أشطره
فوجدته قريب القعر مع أنه يمان ولا أدري ما يبلغ نصحه
فابعثني معه فإنه لا يحل عقدة إلا عقدت له أشد منها
وإنهم قد رموك بحجر الأرض فإن قيل إنه لا صحبة لي فاجعلني
ثاني اثنين فليس صاحبهم إلا من يعرف وكان في الخلاف عليهم كالنجم
فأبى عليه السلام عليه ٥ وروى محمد بن يزيد النحوي أن أبا الأسود
كان نازلا في بني قشير وكانوا يخالفونه في المذهب لأن أبا الأسود
كان شيعيا وكانوا يرمونه بالليل فإذا أصبح شكا ذلك فشكاه
مرة فقالوا ما نحن نرميك ولكن الله يرميك فقال كذبتم
لو كان الله يرميني ما أخطأني ٥ وقال لهم يوما يا بني قشير
ما في العرب أحد أحب إلي طول بقاء منكم قالوا ولم ذاك قال
لأنكم إذا ركبتم أمرا علمت أنه غي فاجتنبته وإذا اجتنبتم
أمرا علمت أنه رشد فاتبعته فنازعوه الكلام فأنشأ يقول ٥
يقول الأرذلون بنو قشير طوال الدهر لا تنسى عليا

احب محمدا

أحب محمدا حبا شديدا وعباسا وحمزة والوصيا
أحبهم لحب الله حتى أجيء إذا بعثت على هويا
فإن يك حبهم رشدا أصبه ولست بمخطئ إن كان غيا
فقالوا شككت يا أبا الأسود فقال ألم تسمعوا الله يقول وإنا أو إياكم
لعلى هدى أو في ضلال مبين أفترون الله تعالى شك ٥ وأما قوله
هويا فإنها لغة هذيل يقولون ذلك في كل مقصور مثل الهوى
والعصى والنوى والقفا قال أبو ذؤيب الهذلي ٥
سبقوا هوي وأعنقوا لسبيلهم فتخرموا ولكل جنب مصرع
وروي أن أبا الأسود دخل على معوية فقال أصبحت جميلا
يا أبا الأسود فلو علقت تميمة تدفع عنك العين فقال أبو الأسود ٥
أفنى الشباب الذي ولى وبجنته كر الجديدين من آت ومنطلق
لم يتركا لي في طول اختلافهما شيئا أخاف عليه لذعة الحدق
وروي أنه دخل يوما السوق يشتري ثوبا فقال له رجل
هلم أقاربك في هذا الثوب فقال إن لم تقاربني باعدتك ثم
قال له بكم هو قال أعطيت به كذا وكذا قال إنما تخبرني عما فاتك ٥
وروي أنه كان ماشيا في طريق فقال له راكب الطريق
فقال له عن الطريق تعدلني ٥ ومرض أبو الأسود فقيل

هو امر الله فقال ذاك اشد له ۞ وقيل ان امرأة ابي الاسود خاصمته
الى زياد في ولدها فقالت ايها الامير ان هذا يريد ان يغلبني على
ولدي فوالله لقد كان بطني له وعاء وثديي له سقاء وحجري له فناء
فقال ابو الاسود انها لتريد ان تغلبني على ابني فوالله لقد حملته
قبل ان تحمله ووضعته قبل ان تضعه فقالت ولا سواء انك
حملته خفا وحملته ثقلا ووضعته شهوة ووضعته كرها
فقال له زياد انها امرأة عاقلة يا ابا الاسود فادفع ابنها اليها
ما خلق ان تحسن ادبه ۞ وقال رجل لابي الاسود انت ظرف
لفظ وظرف علم ووعاء حلم غير انك بخيل قال وما خير ظرف
لا يمسك ما فيه ۞ وسلم عليه اعرابي يوما فقال ابو الاسود
كلمة مقولة فقال اتاذن لي في الدخول قال وراءك اوسع لك
قال فهل عندك شيء قال نعم قال عيالي احق منك قال ما رايت الام
منك قال نسيت نفسك ۞ قال وسأله رجل شيا فمنعه
فقال ما اصبحت حاتما فقال بلى اصبحت حاتمكم من حيث لا
تدري اليس حاتم الذي يقول ۞

اماوي اما مانع فمبين واما عطاء لا ينهنهه الزجر

مجلس آخر

اخبرنا ابو عبد الله

اخبرنا ابو عبد الله المرزباني قال اخبرنا ابو عبد الله ابرهيم بن محمد بن عرفة
النحوي قال لما ولي سليمان بن عبد الملك اتي بيزيد بن ابي مسلم مولى
الحجاج في جامعة وكان رجلا دميما تقتحمه العين فلما راه سليمان قال
لعن الله امرا اجرك رسنك وولى مثلك فقال يا امير المؤمنين
رايتني والامر عني مدبر ولو رايتني وهو علي مقبل لاستعظمت ما
استصغرت ولاستجللت ما استحقرت فقال له سليمان اين ترى
الحجاج ايهوي في النار ام قد استقر فقال يا امير المؤمنين لا تقل
كذا فان الحجاج قمع لكم الاعداء ووطا لكم المنابر وزرع
لكم الهيبة في قلوب الناس وبعد فانه ياتي يوم القيامة عن يمين
ابيك عبد الملك وشمال اخيك الوليد فضعه حيث شئت ۞
وروي ان خالد بن صفوان فاخر رجلا من بني عبد الدار الذين
يسكنون اليمامة فقال له العبدري من انت فقال انا خالد
ابن صفوان بن الاهتم فقال له العبدري انت خالد كما هو
خالد في النار وانت ابن صفوان وقال الله عز وجل كمثل
صفوان عليه تراب وانت ابن الاهتم والصحيح خير من الاهتم
فقال له خالد بن صفوان يا اخا بني عبد الدار تتكلم وقد
هشمتك بنو هاشم وامتك بنو امية وخزمتك بنو مخزوم وحجبتك

بنو جمح فانت عبد دارهم تفتح اذا دخلوا وتغلق اذا خرجوا ٥ فقام
العبدي محموما ٥ وتقدم الاشعث بن قيس الى شريح فقال
له الاشعث اتعلمني بك يا ابن ام شريح لقد عهدتك وان شانك
لشوين فقال له شريح انت امرؤ تعرف النعمة في غيرك وتنساها
في نفسك ٥ وروى ابو العينا عن العتبي قال دخل الفرزدق الى
سعيد بن العاص وعنده الحطيئة فلما مثل بين يديه قال

اليك فررت منك ومن زياد ولم احسب دمي لكما حلالا
فان يكن الهجاء احل قتلي فقد قلنا لشاعركم وقالا
ترى الغر الجحاجح من قريش اذا ما الامر في الحدثان عالا
قياما ينظرون الى سعيد كانهم يرون به هلالا

فقال الحطيئة هذا والله الشعر لا ما كنا نعلل به
منذ اليوم يا غلام اقدمت امك الحجاز فقال الفرزدق لا
ولكن قدمه ابي وقع بامك فكنت انت اخي ٥ ويشبه
ذلك ما روي ان الفرزدق كان ينشد شعره يوما والناس حوله
اذ مر به الكميت بن زيد فقال له الفرزدق كيف ترى شعري
فقال حسن فقال له الفرزدق ايسرك اني ابوك قال
لا اما ابي فلا اريد به بدلا ولكن يسرني لو كنت امي فقال له الفرزدق

الكميت

اكتم هذه على عمك يا ابن اخي فما ترى مثلها ٥ وقيل ان عبد الملك
ظفر برجل من بني مخزوم زبيري الراي فقال له لما حضر مجلسه
اليس قد ردك الله على عقبيك فقال له الرجل او من رد اليك يا امير
المؤمنين فقد رد على عقبيه فوجم عبد الملك ٥ وقال موسى بن
عيسى بن موسى لشريك يا ابا عبد الله عزلوك عن القضاء وما راينا قاضيا
عزل فقال شريك هم الملوك يعزلون ويخلعون يعرض ان اباه
خلع من ولاية العهد ٥ وذكر ابو عبيدة معمر بن المثنى ان
المفضل الضبي الراوية وثب لبعض جيرانه ايام الاضحى اضحية
فلما لقيه قال له كيف وجدت اضحيتك قال ما وجدت لها دما
يعرض بقول الشاعر

ولو ذبح الضبي بالسيف لم تجد من اللوم للضبي لحما ولا دما

وروي عن المامون انه قال ما اغاظني جواب احد قط الا مثل
جواب ثلثة منهم ام الفضل بن سهل فاني عزيتها عن ابنها
لئن جزعت على الفضل لانه ولدك فها انا ابنك مكانه فقالت
وكيف لا اجزع على من جعل مثلك لي ولدا ٥ والثاني رجل احضرته
يزعم انه نبي الله موسى عليه السلم فقلت له ان الله تعالى اخبر عن
موسى انه يدخل يده في جيبه فيخرجها بيضا من غير سوء

فقال انا متى فعل ذلك موسى الست بعد ان لقى فرعون فاعمل كما عمل فرعون
حتى اعمل كما عمل موسى ه والثالث ان جماعة من اهل الكوفة اجتمعوا
الى يتكلمون من عاملها فقلت ارضوا بواحد اسمع منه فرضوا برجل
منهم فقال في العامل واكثر فقلت له كذبت بل هو العفيف
الورع العدل فذهب اصحابه يتكلمون فسكتهم ثم قال صدقت
يا امير المؤمنين هو كما ذكرت فواس بين رعيتك في العدل فصرفته
عنهم ه ودخل عدى بن حاتم بن عبد الله الطائى على معوية
فقال له معوية ما فعل الطرفات يعنى طريفا وطرافا وطرفة
قال قتلوا مع على بن ابى طالب عليه السلم قال ما انصفك ابن
ابى طالب قدم بنيك واخر بنيه فقال عدى ما انصفته
انا ان قتل وبقيت بعده ه وكتب رجل الى صديق له يقترض
منه شيئا فاجابه يشكو اضيق حاله فكتب اليه ان كنت كاذبا
فجعلك الله صادقا وان كنت صادقا فجعلك الله كاذبا وان كنت
معذورا فجعلك الله ملوما وان كنت ملوما فجعلك الله معذورا ه
وسمع الاحنف رجلا يقول ما احلم معوية فقال لو كان حليما ما
سفه الحق ه ووصفه رجل عند الشعبى بالحلم فقال الشعبى
ويحك هل اغمد سيفه وفى قلبه على احد شي ه وقال زياد لرجل

حضره

حضره اين منزلك فقال وسط البصرة قال فما لك من الولد قال تسعة
فقيل لزياد ان داره اقصى البصرة عند المقابر وله ابن واحد فقال
الرجل داري بين اهل الدنيا والاخرة فهي وسط البصرة وكان لى عشرة
بنين فقدمت تسعة فهم لى وبقى واحد لا ادرى اهو لى ام انا له ه
وقال رجل لابن شبرمة انى وقعت فيك فاجعلنى في حل فقال ما احب
ان احل لك مما حرم الله عليك ه وخطب الحجاج يوم جمعة
فاطال فقال له رجل ان الصلوة لا تنتظرك وان الله لا يعذرك
فامر به فحبس فجاء اهله فشهدوا انه مجنون فقال ان اقر عندى
بالجنون اطلقته فقيل له اعترف بذلك وتخلص فقال والله لا اقول
انه ابتلانى وقد عافانى ه وحدث الحسن البصرى بحديث
فقال رجل يا ابا سعيد عمن فقال وما تصنع بعمن اما انت فقد نالتك
عظته وقامت عليك حجته ه وقيل لعبد الله بن جعفر رضى
الله عنهما ونظر اليه يماكس في درهم اتماكس في درهم وانت تجود بما
تجود به فقال ذاك مالى جدت به وهذا عقلى بخلت به ه وروى ان
ابا العيناء محمد بن القاسم اليمامى حدث بعض الزبيريين بحديث في
فضايل اهله فقال له الزبيرى اتجلب التمر الى هجر فقال ابو
العيناء نعم اذا اجدبت ارضها وعاوم نخلها ه وكان ابو العيناء من

أحضر الناس جوابا وأجودهم بديهة وأبلغهم نادرة ٭ فحكي عن
أبي العيناء قال دخلت على المتوكل دعوت له وكلمته فاستحسن
خطابي وقال لي يا محمد بلغني أن فيك شرا فقلت يا أمير المؤمنين
إن يكن الشر ذكر المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته فقد
زكى الله تعالى وذم فقال في التزكية نعم العبد إنه أواب
وقال في الذم هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتل
بعد ذلك زنيم فذمه الله حتى قذفه وقد قال الشاعر ٭

إذا أنا بالمعروف لم أثن دائبا ولم أذمم الجبس اللئيم المذمما
ففيم عرفت الخير والشر باسمه وشق لي الله المسامع والفما

وإن كان الشر كفعل العقرب التي تلسع النبي والذمي بطبع لا
بتمييز فقد صان الله عبدك من ذلك ٭ وروي أنه قال
له يوما كم تمدح الناس وتذمهم فقال ما أحسنوا وأساؤوا ٭
وروي أن المتوكل قال له يوما إني لأفرق من لسانك فقال
له الشريف فروقة ذو إحجام وإن اللئيم ذو أمنة وإقدام ٭
وقال له يوما وقد دخل إليه اشتقتك والله يا أبا العيناء فقال
له يا سيدي إنما يشتد الشوق على العبد لأنه لا يصل إلى مولاه
فأما السيد فمتى أراد عبده دعاه ٭ وروي أنه قال له يوما ما

بمنعك

بقي أحد في مجلسي إلا اغتابك وذمك عندي ما أخرجني من ذكرك
غيري فقال أبو العيناء ٭

إذا رضيت عني كرام عشيرتي فلا زال غضبانا علي لئامها

وذكر أبو العيناء قال قال المتوكل كيف ترى داري هذه فقلت
رأيت الناس بنوا دورهم في الدنيا وأمير المؤمنين جعل الدنيا في داره ٭
وقال أبو العيناء قال لي المتوكل من أسخى من رأيت ومن أبخل من رأيت
فقلت ما رأيت أسخى من أحمد بن أبي دواد ولا أبخل من موسى بن
عبد الملك قال وكيف وقفت على بخله فقال رأيته يحرم القريب
كما يحرم البعيد ويعتذر من الإحسان كما يعتذر من الإساءة
فقال المتوكل من اطرحته فسخيته وإلى من استكتبته فبخلته ٭
فقلت يا أمير المؤمنين إن الصدق ما هو في موضع من
المواضع أنفق منه بحضرتك والناس يغلطون فيمن ينسبونه
إلى السخاء فإذا نسب الناس السخاء إلى البرامكة فإنما ذاك
سخاء أمير المؤمنين الرشيد وإذا نسب الناس الحسن بن سهل
والفضل بن سهل إلى السخاء فإنما ذاك سخاء أمير المؤمنين المأمون
وإذا نسبوا أحمد بن أبي دواد إلى السخاء فذاك سخاء أمير المؤمنين
المعتصم وإذا نسبوا الفتح بن خاقان وعبيد الله بن يحيى إلى السخاء

فانما نحن نتجاوزك والا فما بال هؤلاء القوم لم ينتسبوا الى السخاء قبل صحبتهم
الخلفاء فقال صدقت وسُرّي عنه ٥ وقال له المتوكل ما اشد ما
عليك من ذهاب البصر فقال له فقد رؤيتك مع اجماع الناس على
جمالك ٥ وقال له يوما اريدك لمجالستي فقال لا اطيق ذلك
وما اقول هذا جهلا بما لي في هذا المجلس من الشرف ولكني انا
رجل محجوب والمحجوب تختلف اشارته ويخفى عليه ايماؤه ويجوز
على ان اتكلم بكلام غضبان ووجهك راض وبكلام
راض ووجهك غضبان ومتى لم اميز بين هاتين هلكت
قال صدقت ٥ وروي انه قال له لولا انك ضرير لنادمتك
فقال ان اعفيتني من رؤية الاهلة وقراءة نقش الخواتيم فاني
اصلح ٥ وقال له المتوكل ما تقول في ابن مكرم والعباس بن
رستم فقال له هما الخمر والميسر واثمهما اكبر من نفعهما
فقال بلغني انك تودهما فقال لقد ابتعت الضلالة بالهدى والعذاب
بالمغفرة ٥ وقال له يوما ان سعيد بن عبد الملك يضحك منك
فقال ان الذين اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون ٥
وقال ابو العيناء قال لي المنتصر ما احسن الجواب قال فقلت ما
اسكت المبطل وحيّر المحق ٥ وقيل لابي العيناء ابرهيم

ابن نوح

النصارى

ابن نوح النصراني عليك عاتب فقال ولن ترضى عنك اليهود ولا
حتى تتبع ملتهم ٥ وراه زرقان وهو يضاحك نصرانيا فقال يا ايها
الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء فقال ابو العيناء
لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ٥ واخبرنا
ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي
قال اخبرنا ابو العيناء قال كان سبب اتصالي باحمد بن ابي دواد
ان قوما من اهل البصرة عادوني وادعوا علي دعاوى لشنعة منها
اني رافضي فاحتجت الى ان خرجت عن البصرة الى سر من راى
والقيت نفسي على احمد بن ابي دواد فلقيت بان لا احجب داره اجالته
كل يوم وبلغ القوم خبري فشخصوا نحوي الى سر
من راى فقلت له ان القوم قد قدموا من البصرة بغيا علي فقال
يد الله فوق ايديهم فقلت ان لهم مكرا فقال ويمكرون
ويمكر الله والله خير الماكرين فقلت هم كثيرون
فقال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله فقلت
لله در القاضي هو والله كما قال الصموت الكلابي

لله درك اي جنة خايف ومتاع دنيا انت للحدثان
متخمط يطا الرجال بعلية وطء الفنيق دوارج القردان

ونزلتهم حتى كأن رؤوسهم مأمومة تنحط للغربان
وتفرج الباب الشديد رتاجه حتى يصير كأنه بابان
فقال لابنه ابي الوليد اكتب هذه الابيات فكتبها بين يديه قال
الصولي حفظي عن ابي العيناء الصموت الكلابي على انه رجل
وقال لي وكيع حفظي انها الصموت الكلابية على انها امراة ٥
ودخل ابو العيناء على الحسن بن سهل فاثنى عليه فامر له بعشرة
آلاف درهم فقال والله ما استكثر كثيرك ايها الامير ولا
استقل قليلك قال وكيف ذاك قال لا استكثر كثيرك لانك
اكثر منه ولا استقل قليلك لانه اكثر من كثير
غيرك ٥ نظم البحتري هذا المعنى فقال
كثير نوالك في جنب ما جبلت عليه من الجود نزر
ونزر نوالك في جنب ما تجود به سائر الناس غمر
وقال له عبيد الله بن يحيى بن خاقان اعذرني فاني عنك مشغول
فقال اذا فرغت لم احتج اليك ٥ وقال له يوما قد تبينت عنك
الغضب يا ابا عبد الله فقال له قد اجل الله قدرك عن غضبي انما
يغضب الرجل على من هو دونه فاما على من فوقه فلا ولكن
احزنني تقصيرك فتبينت حزني غضبا ٥ ويقال ان

صاعد

صاعد بن مخلد كان احسن من اسلم دينا واكثرهم صلاة
وصدقة فصار الى بابه ابو العيناء فراى كثيرا يعجب باسلامه فحجب
وقيل له هو مشغول بصلاته فقال ابو العيناء لكل جديد
لذة ٥ ودخل يوما على ابي الصقر اسماعيل بن بلبل بعد وزارته
فقال له يا ابا عبد الله ما اخرك بالله فقال سرق حماري قال
وكيف سرق قال لم اكن مع الذي سرقه فاخبرك بما كان فقال
هلا اكتريت او استعرت او اشتريت قال فعدني عن
الشراء لشيء وكرهت منة العواري وذلة المكاري فوهب
له حمارا ووصله ٥ واذناه ابو الصقر يوما ودنا منه فقال
تدنيني حتى كاني بعضك وتبعدني حتى كاني ضدك
وقال يوما لعبيد الله بن سليمان ايضا وقد دفعه الى كسر
ترفعني ولا ترفع بي راسا ٥ وقال له يوما وقد ساله عن حاله
انا بك مغبوط الظاهر مرحوم الباطن ٥ ويقال ان ابا علي البصير
قال لابي العيناء وكانت بينهما ملاحاة معروفة في اي وقت
ولدت فقال قبل طلوع الشمس فقال ابو علي لذلك خرجت شحاذا
سائلا لانه الوقت الذي ينتشر فيه السؤال ٥ واخبرنا
ابو عبد الله المرزباني قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي قال حدثني

أبو العيناء قال ما رأيت قط أحسن شاهداً عند حاجة من ابن
عائشة قلت له يوماً كان أبو عمر الجرمي يصلك لشرائه ثم جفاك
فقال

يا إن شئتما لا تبصرانا وإن تعد تجدنا على العهد الذي كنت تعلم

ثم قال والله لا أدري لمن هذا البيت قلت إن ابن سلام روى عن
يونس أن الفرزدق لما قال

تصرّم مني ودّ بكر بن وائل وما خلت دهري ودّهم يتصرّم
قوارص تأتيني فيحتقرونها وقد يملأ القطر الإناء فيفعم

الفعم الممتلي وقد فعم بالضم فعامة وفعومة . وكان قد نزل عليهم حين
هرب من زياد فقال جرير بن خرقاء العجلي

لقد بوّأتك الدار بكر بن وائل وردّت لك الأحشا إذ أنت مجرم
ليالي تمنى أن تكون حمامة بمكة يغشاها الستار المحرّم
فإن شئتما لا تبصرانا وإن تعد تجدنا على العهد الذي كنت تعلم

فقال ابن عائشة أنت والله يا بني ممن ستصدق في العلم مخايله
وتكثر عليه دلائله . وقال أبو العيناء يوماً لأبي الصقر بن
بلبل وهو وزير أنت والله تقرب منا إذا احتجنا إليك وتبعد
عنا إذا احتجت إلينا . قال السيد رضي الله عنه وهذا يشبه

قول ابرهيم

وفي معناه
أراك إذا أيسرت خيّمت عندنا زماناً وإن أعسرت زرت لماما
فما أنت إلا البدر إن قلّ ضوءه أغبّ وإن زاد الضياء أقاما

قول ابرهيم بن العباس الصولي

ولكنّ الجواد أبا هشام وفيّ العهد مأمون المغيب
بطيء عنك ما استغنيت عنه وطلّاع عليك مع الخطوب

ولعله مأخوذ منه فليس ينكر ذلك لأنهما وإن اجتمعا في
زمان واحد في بعض الأوقات فإن أبا العيناء بقي بعد ابرهيم زماناً
طويلاً لأن ابرهيم توفي سنة ثلث وأربعين ومائتين وأبو العيناء
سنة اثنتين أو ثلث وثمانين ومائتين وما حكيناه عنه من
الكلام لأبي الصقر في وزارته وكانت بعد وفاة ابرهيم
ابن العباس بزمان طويل . ويشبه بيتا ابرهيم ويوشك أن
يكونا مأخوذين من قول أوس بن حجر

وليس أخوك الدائم العهد بالذي يذمّك إن ولّى ويرضيك مقبلا
ولكنه النائي إذا كنت آمناً وصاحبك الأدنى إذا الخطب أعضلا

ولابرهيم بن العباس ما يقارب هذا المعنى أيضاً

أسد ضار إذا هيّجته وأب برّ إذا ما قدرا
يعلم الأبعد إن أثرى ولا يعلم الأدنى إذا ما افتقرا

ويشبه أن يكون هذا مأخوذاً من قول المرار الفقعسي

إذا افتقر المرار لم ير فقره وإن أيسر المرار أيسر صاحبه

وممّا يشبه قول المرّار بعينه قول ابرهيم بن العبّاس ايضاً

فتىً غير محجوب الغنى عن صديقه ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلّت

رأى خلّتي من حيث يخفى مكانها فكانت قذى عينيه حتى تجلّت

او من قول المتنخّل الهذلي

ابو مالك قاصر فقره على نفسه ومشيع غناه

وهذا البيت الذي رويناه للهذلي من جملة ابيات يرثي بها المتنخّل اباه وقيل يرثي اخاه واوّلها

لعمرك ما ان ابو مالك بوانٍ ولا بضعيف قواه

ولا بألدّ له نازع يعادي اخاه اذا ما نهاه

معنى له نازع اي خلق سوء ينزعه ويعادي اي يتباعد ويباين يقال عادى بين الشيئين اذا والى بينهما قال الشاعر

اذا قلت اسلوا فاضت العين بالبكا غراءً ومدّتها مدامع حُفّل

قال ابو عبيدة وهو من غريت بالشيء اغرى به

ولكنّه هيّن ليّن كعالية الرمح عرد نساه

العرد الشديد يقال منه عرد وعرند وعرندد بالنون اي شديد

والنسا عرق معروف

اذا سُدته سُدت مطواعة ومهما وكلت اليه كفاه

معنى سدته

معنى سدته من المساودة التي هي المسارّة والسواد هو السرار ايضاً كانه قال اذا ساوَدته طاوعك وساعدك وقال قوم انه من السيادة فكانه اراد اذا كنت فوقه وسيّداً له اطاعك ولم يخذلك وان وكلت اليه شيئاً كفاك وقوم ينشدونه

اذا سُسته سُسْت مطواعةً

ولم اجد ذلك في رواية

الا من ينادي ابا مالك أفي امرنا هو ام في سواه

ابو مالك قاصر فقره على نفسه ومشيع غناه

مجلس آخر

تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبّرون في الارض بغير الحقّ وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغيّ يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذّبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين فقال ما تأويل هذه الآية على ما يطابق العدل فانّ ظاهرها كانه مخالف له

الجواب

قيل له في هذه الآية وجوه منها ما ابتدأناه فيها ومنها ما
سبقنا إليه فحررناه واخترناه فيه من المطاعن واجتنبنا ما
لعله يعترض فيه من الشبه أولها أن يكون تعالى عنى
بذلك صرفهم عن ثواب النظر في الآيات وعن العز والكرامة
اللذين يستحقهما من أدى الواجب عليه في آيات الله تعالى
وأدلته وتمسك بها والآيات على هذا يحتمل أن يكون سائر
الأدلة ويحتمل أن يكون معجزات الأنبياء عليهم السلام
خاصة وهذا التأويل يطابق الظاهر لأنه تعالى قال
ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين فبين أن
صرفهم عن الآيات يستحق بتكذيبهم ولا يليق ذلك إلا
بما ذكرناه ۝ وثانيها أنه تعالى أراد صرفهم عن زيادة
المعجزات التي يظهرها على الأنبياء عليهم السلام بعد قيام
الحجة بما تقدم من آياتهم ومعجزاتهم لأنه تعالى إنما يظهر
هذا الضرب من المعجزات إذا علم أنه يؤمن عنده من لم
يؤمن بما تقدم من الآيات وإذا علم خلاف ذلك لم يظهرها
وصرف الذين علم من حالهم أنهم لا يؤمنون عنها ۝
ويكون الصرف على أحد وجهين إما بأن لا يظهرها جملة أو بأن

يصرفهم

يصرفهم عن مشاهدتها ويظهرها بحيث ينتفع بها غيرهم فإن قيل
وما الفرق فيما ذكرتموه بين ابتداء المعجزات وبين زيادتها قلنا الفرق
بينهما أن المعجز الأول يجب إظهاره لإزاحة العلة في التكليف
ولأنا به نعلم صدق الرسول المؤدي إلينا ما فيه لطفنا ومصلحتنا
وإذا كان التكليف يوجب تعريف المصالح والألطاف لتنزاح
العلة وكان لا سبيل إلى معرفتها على الوجه الذي يكون عليه لطفا
إلا من قبل الرسول وكان لا سبيل إلى العلم بكونه رسولا إلا من
جهة المعجز وجب بعثة الرسول وتحميله ما فيه مصلحتنا من
الشرائع وإظهار المعجز على يده لتعلق هذه الأمور بعضها ببعض
ولا فرق في هذا الموضع بين أن يعلم أن المبعوث إليهم الرسول أو
بعضهم يطيعون ويؤمنون وبين أن لا يعلم ذلك في وجوب البعثة
وما يجب بوجوبها لأن تعريف المصالح بما تقتضيه التكليف
العقلي الذي لا فرق في حسنه بين أن يقع عنده الإيمان أو
لا يقع وليس هذه سبيل ما يظهر من المعجزات بعد قيام الحجة
بما تقدم منها لأنه متى لم ينتفع بها منتفع ويؤمن عندها من لم
يؤمن لم يكن في إظهارها فائدة وكان عبثا فافترق الأمران
فإن قيل كيف يطابق هذا التأويل قوله ذلك بأنهم كذبوا

بآياتنا وكانوا عنها غافلين ومن المعلوم أن صرفهم عن الآيات لا يكون
مستحقا بذلك. قلنا يمكن أن يكون قوله تعالى ذلك بأنهم كذبوا
بآياتنا لم يرد به تعليل قوله تعالى سأصرف بل يكون كالتعليل
لما هو أقرب إليه في ترتيب الكلام وهو قوله تعالى وإن
يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه
سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا لأن من كذب
بآيات الله عز وجل وغفل عن تأملها والاهتداء بنورها ركب
الغي واتخذه سبيلا وحاد عن الرشد وضل ضلالا
بعيدا ورجوع لفظة ذلك إلى ما ذكرناه أشبه بالظاهر
من رجوعها إلى قوله سأصرف لأن رجوع اللفظ في اللغة إلى
أقرب المذكورين أولى. ويمكن أيضا أن يكون قوله
تعالى كذبوا وإن كان بلفظ الماضي المراد به الاستقبال
ويكون وجهه أن التكذيب لما كان معلوما منهم لو أظهرت لهم
الآيات جعل ذلك كأنه واقع وبني الخطاب عليه ولهذا نظائر
في اللغة كثيرة أو يكون جوابا لمحذوف كأنه قال ذلك بأنه متى ما أظهرنا
لهم آياتنا كذبوا بها ويجري ذلك او لا مجرى قوله ونادى
أصحاب النار وأصحاب الجنة في أنه بلفظ الماضي والمعنى الاستقبال.

وثالثها

ثالثها أن يكون معنى سأصرف عن آياتي أي لا أوتيها من هذه
صفته وإذا صرفهم عنها فقد صرفها عنهم وكلا اللفظين يفيد
معنى واحدا فليس لأحد أن يقول هلا قال سأصرف آياتي عن
الذين يتكبرون. والآيات هاهنا هي المعجزات التي تختص
بها الأنبياء عليهم السلام. فإن قيل فأي فائدة في قوله على سبيل
التعليل ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وأي معنى لتخصيصه الذين يتكبرون
في الأرض بغير الحق وهو لا يؤتي الآيات والمعجزات إلا الأنبياء
دون غيرهم وإن كان ممن لا يتكبر. قلنا لخروج الكلام مخرج
التعليل على هذا التأويل وجه صحيح لأن من كذب بآيات الله لا
يؤتى آياته ومعجزاته لتكذيبه وكفره وإن كان قد يكون
غير مكذب ممن يمنع من إيتائه الآيات علة أخرى والتكبر
والبغي بغير الحق مانع من إيتاء الآيات وإن منع غيره ويجري
هذا مجرى قول القائل أنا لا أود فلانا لغدره ولا يلزم إذا لم
يكن غادرا أن يوده لأنه ربما خلا من الغدر وحصل
على صفة أخرى تمنع من مودته. ويجوز أيضا أن يوده لأنه
ربما خلا من الغدر وحصل على صفة أخرى تمنع من مودته ويجوز
أيضا أن يكون الآية خرجت إلى ما يجري مجرى السبب وأن يكون

بعض الجهال في ذلك العصر اعتقد جواز ظهور المعجزات
على يد الكفار المذكورين فاكذبهم الله تعالى بذلك ٭
ورابعها ان يكون المراد بالآيات العلامات التي يجعلها
الله تعالى في قلوب المؤمنين ليدل بها الملائكة على الفرق
بين المؤمن والكافر فيفعلوا بكل واحد منهما ما يستحقه
من التعظيم او الاستخفاف كما تأول اهل الحق الطبع والختم
اللذين وردبهما القرآن على ان المراد بهما العلامة المميزة بين
الكافر والمؤمن ويكون معنى سأصرفهم عنها اي اعدل
بها عنهم واخص المؤمنين المصدقين بآياتي وانبيائي هذا
التأويل يشهد له ايضا قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها
غافلين لانه صرفهم عن هذه الآيات كالمستحق بتكذيبهم
واعراضهم عن آياته ٭ وخامسها ان يريد تعالى
اني اصرف من رام المنع من اداء آياتي وتبليغها لان من الواجب
على الله تعالى ان يحول بين من رام ذلك وبينه ولا يمكن
منه لانه ينقض الغرض في البعثة ويجري ذلك مجرى قوله تعالى
والله يعصمك من الناس فتكون الآيات ها هنا القرآن وما جرى
مجراه من كتب الله تعالى التي تحملتها الرسل عليهم السلام والصرف

وان كان

وان كان متعلقا في الآية بنفس الآيات فقد يجوز ان يكون المعنى متعلقا
بغيرها مما هو متعلق بها فاذا ساغ ان تعلقه بالثواب والكرامة
المستحقين على التمسك بالآيات ساغ ان تعلقه بما يمنع من تبليغها
وادائها واقامة الحجة بها وعلى هذا التأويل لا يجعل قوله تعالى ذلك بانهم
كذبوا بآياتنا راجعا الى ما تقدم بل يرده الى ما هو قبله
بلا فصل من قوله تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه
سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا على ما بيناه
في الوجه الثاني من تأويل هذه الآية ٭ وسادسها
ان يكون الصرف ها هنا الحكم والتسمية والشهادة ومعلوم
ان من شهد على غيره بالانصراف عن شيء فجايز ان
يقال صرفه عنه كما يقال كفره وكذبه وفسقه
وكما قال جل من قائل ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم اي شهد
عليها بالانصراف عن الحق والهدى وكقوله تعالى فلما
زاغوا ازاغ الله قلوبهم وهذا التأويل يطابقه قوله تعالى
ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين لان الحكم عليهم بما
ذكرناه والتسمية به من موجب تكذيبهم وغفلتهم عن آيات
الله واعراضهم عنها ٭ وسابعها انه تعالى لما علم ان الذين يتكبرون

في الأرض بغير الحق سيصرفون عن النظر في آياته والإيمان بها
إذا أظهرها على أيدي رسله عليهم السلام جاز أن يقول سأصرف
عن آياتي الذين ويريد سأظهر ما ينصرفون بسوء اختيارهم
عنه ويجري ذلك مجرى قولهم سأبخل فلانا وأخطئه أي أسأله
ما يبخل ببذله وأمتحنه بما يخطئ فيه ولا يكون المعنى أني
أفعل فيه البخل والخطأ والآيات على هذا الوجه يجوز أن تكون
المعجزات دون سائر الأدلة الدالة على الله تعالى ويجوز
أن تكون جميع الأدلة ويجب على هذا الوجه أن يكون قوله
تعالى ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا غير راجع إلى قوله سأصرف
بل إلى ما قدمناه ذكره لتصحيح الفائدة ۵ وثامنها
أن يكون الصرف هاهنا معناه المنع من إبطال الآيات
والحجج والقدح فيها بما يخرجها عن أن تكون أدلة وحججا
فيكون تقدير الكلام أني بما أوتيته من حججي وأحكمه من آياتي
وبيناتي صارف للمبطلين والمكذبين عن القدح في
الآيات والدلالات ودافع لهم عما كانوا لولا هذا الإحكام والتأ بيد
يفترضونه ويغتنمونه من تمويه الحق ولبسه بالباطل ويجري
ذلك مجرى قول القائل قد منع فلان أعداءه بأفعاله الكريمة
وطرائقه

وطرائقه الممدوحة وأخلاقه المهذبة من عيبه وصرفهم عن ذمه
وأخرس ألسنتهم عن الطعن عليه وإنما يريد المعنى الذي ذكرناه ۵
فإن قيل ليس في المبطلين من طعن على آيات الله وأورد الشبهة
فيها مع ذلك ۵ قلنا لم يرد الله تعالى الصرف عن الطعن الذي
لا يؤثر ولا يشتبه على من أحسن النظر وإنما أراد ما قدمناه
وقد يكون الشيء في نفسه مطعونا عليه وإن لم يطعن عليه طاعن
كما قد يكون بريئا من الطعن وإن طعن فيه بما لا يؤثر ألا ترى أن قولهم
فلان قد أخرس أعداءه عن ذمه ليس يراد به أنه منعهم عن التلفظ
بالذم وإنما المعنى فيه أنه لم يجعل للذم عليه طريقا ومجالا
ويجب على هذا الوجه أن يكون قوله تعالى ذلك بأنهم كذبوا
بآياتنا يرجع إلى ما قبله بلا فصل ولا يرجع إلى قوله سأصرف
وتاسعها أن يكون الله تعالى لما وعد موسى عليه السلام وأمته
بإهلاك عدوهم قال سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في
الأرض بغير الحق وأراد جل وعز أنه يهلكهم ويصطلمهم
ويجتاحهم على طريق العقوبة لهم بما كان منهم من التكذيب
بآيات الله تعالى والرد لحججه والمروق عن طاعته ويبشر
من وعد بهذه الحال من المؤمنين بالوفاء بها وهو تعالى إذا أهلك

هؤلاء الجبارين المتكبرين واصطلامهم فقد صرفهم عن آياته من
حيث اقتطعهم عن مشاهدتها والنظر فيها بانقطاع التكليف
عنهم وخروجهم عن صفات أهله وهذا الوجه يمكن أن
يقال فيه إن العقوبة لا تكون إلا مضامة للاستخفاف والإهانة
كما أن الثواب لابد أن يكون مقترنا بالتبجيل والتعظيم
وإماتة الله تعالى للأمم وما يفعله بهم من بوار وإهلاك لا
يقترن إليه ما لابد أن يكون مقترنا إلى العقاب من
الاستخفاف ولا يخالف ما يفعله تعالى بأوليائه على سبيل
الامتحان والاختبار فكيف يصح ما ذكرتموه ٥ ويمكن أن يجاب
عن ذلك بأن يقال لا يمتنع أن يضم الله تعالى إلى ما يفعله بهؤلاء
الكفار الملذين المستحقين للبوار اللعن والذم والاستخفاف
والإهانة ويأمرنا أن نفعل ذلك بهم فيكون ما يقع بهم من الآلام
على وجه العقوبة وبشروطها ولا يمتنع أيضا أن يكون
الله يتعبد ويأمرنا بإهلاكهم وقتلهم على وجه الاستخفاف
والنكال والإهانة ويضيف الله تعالى ذلك إليه من
حيث وقع بأمره وعن إذنه ٥ فإن قيل ما معنى قوله تعالى يتكبرون
في الأرض بغير الحق وكأن في التكبر ما يكون بالحق قلنا

في هذا

في هذا وجهان أحدهما أن يكون ذلك على سبيل التأكيد والتغليظ
والبيان عن أن التكبر لا يكون إلا بغير الحق وأن هذه صفة
له لازمة غير مفارقة ويجري ذلك مجرى قوله تعالى ومن يدع
مع الله إلها آخر لا برهان له به وقوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم
وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق ولم يرد
تعالى إلا المعنى الذي ذكرناه ٥ ومثله قوله تعالى ولا تشتروا
بآياتي ثمنا قليلا ولم يرد عن الثمن القليل دون الكثير بل أراد
تأكيد القول بأن كل ثمن يؤخذ عنها يكون قليلا بالإضافة
إليها ويكون المتعوض به عنها مغبونا منحوسا خاسر الصفقة
والوجه الآخر أن في التكبر ما يكون ممدوحا لأن
من تكبر وتنزه عن الفواحش والدنايا وتباعد من فعلها وتجنب
أهلها يكون مستحقا للمدح سالكا لطريق الحق والتكبر
المذموم هو الواقع على وجه النخوة والبغي والاستطالة على
ذوي الضعف والتجبر عليهم والمباهاة لهم ومن كان لهذه
الصفة فهو مجانب للتواضع الذي ندب الله تعالى إليه وأرشد
إلى الثواب المستحق عليه ومستحق بذلك الذم والمقت فلهذا
اشترط الله تعالى أن يكون التكبر بغير الحق ٥ وقوله

تعالى في هذه السورة قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما
بطن والاثم والبغي بغير الحق يحتمل ايضا هذين الوجهين
اللذين ذكرناهما فان اريد به البغي المكروه الذي هو
الظلم وما اشبهه كان قوله بغير الحق تاكيدا واخبارا عن
ان هذه صفته وان اريد بالبغي الطلب وذلك هو اصله
في اللغة كان الشرط في موضعه لان الطلب قد يكون بالحق
وبغير الحق فان قيل فما معنى قوله تعالى وان يروا
سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل
الغي يتخذوه سبيلا وهل الرؤية هاهنا العلم او الادراك
بالبصر وهب انها يمكن ان تكون في قوله تعالى وان يروا
كل اية لا يؤمنوا بها محمولة على رؤية البصر لان الايات
والادلة مما تشاهد كيف تحمل الرؤية الثانية على غير العلم
وسبيل الرشد انما هو طريقه ولا يصح ان ترجع بها الا الى المذاهب
والاعتقادات التي لا يجوز عليها رؤية البصر ولا بد اذن من
ان يكون المراد به رؤية العلم ومن علم طريق الرشد لا يجوز
ان ينصرف عنه الى طريق الغي لان العقلاء لا يختارون
مثل ذلك قلنا الجواب عن ذلك من ثلثة

اوجه احدها ان يكون المراد بالرؤية الثانية رؤية البصر ويكون السبيل
المذكورة في الايتين الادلة والايات لانها مما يدرك بالبصر
وتسمى بانها سبيل الرشد من حيث كانت وصلة الى الرشد
وذريعة الى حصوله وتكون سبيل الغي الشبهات والمخاريق
التي ينصبها المبطلون والمدغلون في الدين ليوقعوا به الشبهة على اهل
الايمان وتسمى بانها سبيل الغي وان كان النظر فيها لا يوجب حصول
الغي من حيث كان المعلوم ممن تشاغل بها واغتر باهلها انه يصير
الى الغي والوجه الثاني ان يكون المراد بالرؤية العلم
الا ان العلم لم يتناول كونها سبيلا للغي بل يتناولها ولها لابن هذا
انهم الوجه الاخر ان كثيرا من المبطلين يعلمون مذاهب اهل الحق واعتقاد
حججهم الا انهم يجهلون كونها صحيحة مفضية الى الحق فيتجنبونها
وكذلك يعلمون مذاهب المبطلين واعتقاداتهم الباطلة الفاسدة
الا انهم يجهلون كونها باطلة ويعتقدون صحتها بالشبهة
فيصيرون اليها وعلى هذا الوجه لا يجب ان يكون الله تعالى
وصفهم بالغي وترك الحق مع العلم به والوجه الثالث ان يكونوا عالمين
بسبيل الرشد والغي ومميزين بينهما غير انهم للميل الى اعراض
الدنيا والذهاب مع الهوى والشهوات يعدلون عن الرشد الى

النبي ويجحدون ما يعلمون كما اخبر الله تعالى عن كثير من اهل الكتاب
بانهم يجحدون الحق وهم يعلمونه ويستيقنونه ۞ فان قيل
ما معنى قوله تعالى ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين
والتكذيب لا يليق في الحقيقة الا بالاخبار دون غيرها
قلنا التكذيب قد يطلق في الاخبار وغيرها الا ترى انهم يقولون
فلان يكذب بكذا وكذا اذا كان يعتقد بطلانه كما
يقولون فلان يصدق بكذا وكذا اذا كان يعتقد صحته ولو صرفنا
التكذيب هاهنا الى اخبار الله تعالى التي تضمنتها كتبه الواردة
على ايدي رسله عليهم السلام جاز فتكون الايات هاهنا هي الكتب
المنزلة دون سائر المعجزات ۞ فان قيل فما معنى ذمه تعالى لهم
بانهم كانوا عن الايات غافلين والغفلة على مذاهبكم من فعله لانها
للسهو او ما جرى مجراه مما ينافي العلوم الضرورية ولا تكليف
على الساهي فكيف يذم بذلك ۞ قلنا المراد هاهنا بالغفلة
التشبيه لا الحقيقة ۞ ووجه التشبيه انهم لما اعرضوا
عن تامل ايات الله تعالى والانتفاع بها اشبهت حالهم حال
من كان ساهيا غافلا عنها فاطلق عليهم ذلك هذا القول كما
قال تعالى صم بكم عمي على هذا المعنى ولهذا يقول الانسان

لمن يستنبطه

لمن يستنبطه ويصفه بالاعراض عن التامل والتبين انت ميت
وراقد وما لك لا تسمع ولا تبصر وما اشبه ذلك وكل هذا واضح
بحمد الله ۞

تأويل خبر

ان سأل سائل عن الخبر المروي عن عبد الله بن عمر انه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه واله يقول ان قلوب بني ادم كلها
بين اصبعين من اصابع الرحمن يصرفها كيف شاء ۞ ثم يقول
قال رسول الله صلى الله عليه واله عند ذلك اللهم مصرف القلوب اصرف
قلوبنا الى طاعتك ۞ وعما يرويه انس قال قال رسول الله صلى الله
عليه واله ما من قلب ادمي الا وهو بين اصبعين من اصابع الله تعالى
فاذا شاء ان يثبته ثبته واذا شاء ان يقلبه قلبه ۞ وعما يرويه ابن
جوشب قال قلت لام زوج النبي صلى الله عليه واله ما كان اكثر
دعاء النبي صلى الله عليه واله قالت كان اكثر دعائه يا مقلب القلوب
ثبت قلبي على دينك قالت قلت يا رسول الله ما اكثر دعاءك
يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقال يا ام سلمة ليس من
ادمي الا وقلبه بين اصبعين من اصابع الله ما شاء اقام وما شاء ازاغ
فقال ما تاويل هذه الاخبار على ما يطابق التوحيد وينفي التشبيه

او ليس من مذهبكم ان الاخبار التي تخالف ظاهرها الاصول ولا
يطابق العقول لا يجب ردها والقطع على كذبها وبطلانها
الا بعد ان لا يكون لها في اللغة مخرج ولا تاويل وان كان لها ذلك
فباستكراه وتعسف ولستم ممن يقول ذلك في هذه الاخبار
فما تاويلها

مجلس اخر

الجواب ان الذي يعول عليه من تكلم في تاويل هذه الاخبار هو ان يقول ان
الاصبع في كلام العرب وان كانت الجارحة المخصوصة فهي ايضا
الاثر الحسن يقال لفلان على ماله وابله اصبع حسنة اي قيام
واثر حسن قال الراعي يصف راعيا حسن القيام على ابله

ضعيف العصا بادي العروق ترى لها ... عليها اذا ما اجدب الناس اصبعا

وقال طفيل الغنوي يصف فحلا

كميت كركن الباب احيا بناته ... مقاليتها واستحمشتهن اصبع

الحمش الجمع وقد حمش فيمكن ان يكون استحمشتهن في هذا البيت من
هذا واستحمش اي غضب غضبا شديدا
وقال لبيد بن ربيعة

من يبسط

من يبسط الله عليه اصبعا ... بالخير والشر باي اولعا
يملأ له منه ذنوبا مترعا

وقال حميد بن ثور

اغر كلون البدر في كل منكب ... من الناس نعمى يحتذيها واصبع

وقال الاخر

وان زمانا ليس فهن ابن ... ذو اصبع في متنها وذو فطن

وقال الاخر

اكرم براد واسقه المشعشعا ... ما ان فيه خصلات اربعا
جدا وجودا وندى واصبعا

والاصبع في كل ما اوردناه المراد بها الاثر الحسن والنعمة فيكون المعنى
ما من ادمي الا وقلبه بين نعمتين لله جليلتين حسنتين
فان قيل هذا قد ذكرتم كما حكيتم الا انه لم يفصل ما النعمتان
وما وجه التثنية ها هنا ونعم الله على عباده لكثرة لا تحصى
قلنا يحتمل ان يكون الوجه في ذلك نعم الدنيا ونعم الاخرة وثناهما
لانهما كالجنسين والنوعين وان كان كل قبيل في نفسه ذا عدد
كثير لان الله تعالى قد انعم على عباده بان عرفهم بادلته وبراهينه
ما انعم به عليهم من نعم الدنيا والاخرة وعرفهم ما لهم في الاعتراف

ويمكن ان يكون الوجه في تشبيه الاثر الحسن بالاصبع هو من
حيث يشار اليه بالاصبع اعجابا به وتنبيها عليه وهذه
عادتهم في تسمية الشيء بما يقع عنده وبما له به علقة وقد قال
قوم في بيتي طفيل والراعي انهما ارادا ان يقولا لا بد في مكان الاصبع
لان اليد النعمة فلم يمكنهما فعدلا عن اليد الى الاصبع لانها
من اليد وفي الاصبع التي هي الجارحة ثماني لغات اصبع
بفتح الالف والباء واصبع بفتح الالف وكسر الباء واصبع بضم
الالف وكسر الباء واصبع بضم الالف وضم الباء واصبع
بضم الالف وفتح الباء واصبوع بضم الالف مع الواو واصبع
بكسر الالف والباء واصبع بكسر الالف وفتح الباء واصبع بكسر
الالف وضم الباء ۝ وفي هذه الاخبار وجه آخر
هو اوضح مما ذكرناه واشبه بمذاهب العرب في ملاحن
كلامها وتصرف خطاباتها وهو ان يكون المعنى في ذكر
الاصابع الاخبار عن تيسير تصريف القلوب وتقليبها والفعل
فيها عليه جلت عظمته ودخول ذلك تحت قدرته الا ترى
انهم يقولون هذا الشيء في خنصري واصبعي وفي يدي
وقبضتي كل ذلك اذا ارادوا تسهله وتيسره وارتفاع

المشقة والمؤونة وعلى هذا المعنى يتأول قوله تعالى والارض جميعا
قبضته يوم والسموات مطويات بيمينه فكانه صلى الله عليه وآله لما
اراد المبالغة في وصفه بالقدرة على تقليب القلوب وتصريفها بغير
مشقة ولا كلفة وان كان غيره تعالى يعجز عن ذلك ولا
يتمكن منه قال انها بين اصابعه كناية عن هذا المعنى واختصارا
للفظ الطويل وجريا على مذهب العرب في اخبارهم عن مثل
هذا المعنى بمثل هذا اللفظ وهذا الوجه يجب ان يكون
متقدما على الوجه الاول فانه اوضح واجلى ۝ ويمكن ان يكون
في الخبر وجه آخر الى تسليم ما يقترحه المخالفون من
ان الاصبعين هما المخلوقتان من اللحم والدم استظهارا في الحجة
واقامة لها على كل وجه وهو انه لا ينكر ان يكون القلب
يشتمل عليه جسمان على شكل الاصبعين يحركه الله تعالى
بهما ويقلبه بالفعل فيهما ويكون وجه تسميتهما باصابع من حيث كانتا
على شكلها والوجه في اضافتهما الى الله تعالى وان كان جميع افعاله
يضاف اليه لمعنى الملك والقدرة فانه لا يقدر على الفعل فيهما
وتحريكهما منفردين عن غيرهما غيره تعالى فقيل انهما اصبعان
له من حيث اختص بالفعل فيهما على هذا الوجه لان غيره انما

تقدر على تحريك القلب وما هو مجاور للقلب من الأعضاء بتحريك
جملة الجسم ولا يقدر على تحريكه ونصر بقية منفردًا بما جاوزه
غيره تعالى • فمن أين للمبطلين المتأولين هذه الأخبار بأهوائهم
وضعف آرائهم أن الأصابع إذا كانت ههنا الحمسا وربما فهي
جوارح الله تعالى وما هذا الوجه الذي ذكرناه ببعيد وعلى
المتأول أن يورد كلما يحتمله الكلام مما لا تدفعه حجة
وأن يرتب بعضه على بعض في القوة والوضوح ۵ ونحن نعود إلى تفسير
ما لعله يشتبه من الأبيات التي استشهدنا بها • أما قوله
جلا وندي جودًا وأصبعا ومعنى الجد هو المضا والنفاذ
وقول الآخر وأن زبانات لبين فيهن أبن فالأزبانات العصي والأبن
العقد وأما قول حميد بن ثور في كل منكب من الناس
فالمنكب الجماعة والمنكب أيضا الناحية • وأما معنى
أبيات لبيد فإنه أراد من يسر الله إليه خيرا أو يصرف عنه
شرا إنما يفعل ذلك به إصبع له حتى ينتهي منتهاه ۵ فأما بيت
طفيل الغنوي فمعناه أن هذا الفحل الذي وصفه بأنه كميت
وأنه لم يكن الباب لتمامه وشدته لما ضرب في الإبل التي وصفها
عاشت أولادها التي هي بناته بعد أن كن مقاليت والمقاليت

اللواتي

اللواتي لا يعيش لهن ولد فكأن هذا منه أن جميلا عليها • فأما
بيت الراعي فمعنى قوله ضعيف العصا يريد أنه قليل الضرب
لها أما لأنهن لا يحوجنه تبلدا وتأدبا أو لشفقته عليهن وهذه
كناية في نهاية الحسن والاختصار الشديد لأنه قد يجوز
أن يكون يريد أنه ضعيف العصا على الحقيقة من حيث لا يحتاج
إلى استعمالها في الضرب فيختارها قوية ويجوز أن يكون حذف
وأراد ضعيف فعل العصا ۵ وقوله بادي العروق يعني عروق
رجليه لقلة ربما أن السعي في أثر هذه الإبل وأراد بالإصبع أن له عليها
في جدب الناس أثرا حسنا جميلا لحسن قيامه وتعهده وقد قيل
إنه إنما سمي الراعي لبيت قاله في هذه القصيدة بعد بيتين
من البيت الذي أنشدناه وهو •

لها أمرها حتى إذا ما تبوأت بأخفافها مأوى تبوأ مضجعا

وهذا قول الأصمعي ۵ وقال السكري إنما سمي بذلك لقوله
في هذه القصيدة أيضا •

هدان أخو وطب وصاحب علبة يرى المجد أن يلقى خلاء وأمرعا

وروي عن بعض بني نمير أنه قال إنما سمي بذلك لقوله •

يبيتن مرافقهن فوق مزلة لا يستطيع بها القراد مقيلا

فقال بعض بني نمير لما سمع هذا البيت والله ما هو الا راعي ابل
فبقيت عليه وقال محمد بن سلام سمي الراعي لكثرة وصفه
الابل وحسن نعته لها ۝ والراعي هو عبيد بن حصين بن
جندل وكنيته ابو جندل وقيل ابو نوح ۝

مجلس اخر

تاويل اية ان سايل سال عن قوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك
فقال ما المراد بالنفس في هذه الاية وهل المعنى فيها كالمعنى في قوله
تعالى ويحذركم الله نفسه او يخالفه وهل يطابق معنى الاية
والمراد بالنفس فيهما ما رواه ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه
واله انه قال قال الله اذا احب العبد لقاي احببت لقاه ۝
واذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي واذا ذكرني
في ملاء ذكرته في ملاء خير منهم واذا تقرب الي شبرا تقربت
اليه ذراعا واذا تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا او لا يطابقه ۝

الجواب

قلنا للنفس في اللغة معان مختلفة ووجوه في التصرف متباينة

فالنفس

فالنفس نفس الانسان وغيره من الحيوان وهي التي اذا فقدها خرج
عن كونه حيا ومنه قوله تعالى كل نفس ذايقة الموت ۝
والنفس ذات الشي الذي يخبر عنه كقولهم فعل ذلك فلان نفسه
اذا تولى فعله ۝ والنفس الانفة من قولهم ليس لفلان نفس اي
لا انفة له ۝ والنفس الارادة من قولهم نفس فلان في كذا اي ارادته
قال الشاعر ۝

فنفساي نفس قالت ائت ابن بجدل تجد فرجا من كل غمى تهابها
ونفس تقول اجهد نجاك لا تكن كخاضبة لم يغن عنها خضابها

ومنه ان رجلا قال للحسن يا ابا سعيد لم احجج قط فنفس تقول لي
حج ونفس تقول لي تزوج فقال الحسن انما النفس واحدة
ولكن لك هم يقول حج وهم يقول تزوج وامره بالحج ۝ وقال
الممزق العبدي في يروى لمعقر بن حمار البارقي

الا من لعين قد نآها حميمها واراقها بعد المنام همومها
فباتت لها نفسان شتى همومها فنفس تعزيها ونفس تلومها

وقال النمر بن تولب العكلي ۝

اما خليلي فاني لست معجله حتى يوامر نفسيه كما زعما
نفس له من نفوس القوم صالحة تعطي الجزيل ونفس ترضع الغنما

أراد أنه بين نفسين نفس تأمره بالجود وأخرى تأمره بالبخل وكنى
برضاع الغنم عن البخل لأن اللئيم يرضع اللبن من الشاة ولا يحلبها
لئلا يسمع الضيف صوت الشخب فيهتدي إليه ومنه قيل لئيم راضع
وقال الكميت

فأصبحت ذا نفسين نفس برية من اليأس ما تنفك همّاً يعودها
ونفس ترجّي وصلها بعد صرمها تحمّل كي يزداد غيظاً حسودها

والنفس العين التي تصيب الإنسان يقال أصابت فلانا
نفس أي عين وروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يرقي
فيقول بسم الله أرقيك والله يشفيك من كل داء هو فيك
من عين عاين ونفس نافس وحسد حاسد وقال
ابن الأعرابي النفوس الذي يصيب الناس بالعين وذكر رجلا
فقال كان والله حسودا نفوسا كذوبا وقال عبد الله بن
قيس الرقيات

يتقي أهلها النفوس عليها فعلى نحرها الرقى والتميم

وقال مضرس بن ربعي الفقعسي

وإذا نموا صعدا فليس عليهم منا الخبال ولا نفوس الحسد

يقال هذا نبات ينمي صعدا أي يزداد طولا

وقال ابن هرمة

وقال ابن هرمة يمدح عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك

ما سلمت من المكارم والندى وعثارها ووقيت نفس الحسد

والنفس أيضا من الدباغ مقدار الدبغة تقول أعطني نفسا من
دباغ أي ما أدبغ به مرة والنفس الغيب تقول القائل إني لأعلم
نفس فلان أي غيبه وعلى هذا تأويل قوله تعالى تعلم ما في
نفسي ولا أعلم ما في نفسك أي تعلم غيبي وما عندي ولا أعلم غيبك
وقيل أن النفس أيضا العقوبة من قولهم أحذرك نفسي
أي عقوبتي وبعض المفسرين حمل قوله تعالى ويحذركم
الله نفسه على هذا المعنى كأنه قال يحذركم الله عقوبته وروي ذلك
عن ابن عباس والحسن البصري وآخرون قالوا معنى الآية
ويحذركم الله إياه وقد روي عن الحسن ومجاهد في قوله
تعالى تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك ما ذكرناه من
التأويل بعينه فإن قيل ما وجه تسمية الغيب بأنه
نفس قلنا لا يمتنع أن يكون الوجه في ذلك أن نفس الإنسان
لما كانت خفية الموضع نزل ما يكتمه ويجتهد في
ستره منزلتها وسمي باسمها فقيل فيه أنه نفسه مبالغة
في وصفه بالكتمان والخفاء وإنما حسن أن يقول تعالى مخبرا

عن نيته، ولا أعلم ما في نفسك من حيث تقدم قوله تعلم ما في نفسي
ليزدوج الكلام، ولهذا لا يحسن ابتداءً أن يقول أنا لا أعلم ما في
نفس الله تعالى وإن حسن على الوجه الأول، ولهذا نظائر في الاستعمال
مشهورة مذكورة. وأما الخبر الذي ذكره السائل فتأويله
ظاهر وهو خارج على مذهب العرب في مثل هذا الباب معروف
ومعناه أن من ذكرني في نفسه جازيته على ذكره لي، وإذا
تقرب إليّ شبرًا جازيته على تقربه إليّ، وكذلك الخبر إلى آخره
الذي تقدم، فسمّى المجازاة على الشيء باسمه اتباعًا كما قال تعالى وجزاء
سيئة سيئة مثلها، ويمكرون ويمكر الله، والله
يستهزئ بهم. وكما قال الشاعر:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ونظائر هذا كثيرة في كلام العرب، ولما أراد الله تعالى
المبالغة في وصف ما يفعله من الثواب والمجازاة على تقربهم
بالكثرة والزيادة كنى عن ذلك بذكر المسافة المتضاعفة
فقال باعًا وذراعًا إشارة إلى المعنى، وهذا أبلغ الوجوه وأحسنها.

مجلس آخر

تأويل آية

تأويل آية. إن سأل سائل فقال ما تأويل قوله تعالى إذ جاؤكم من فوقكم ومن
أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا
وكيف يجوز أن تبلغ القلوب الحناجر مع كونهم أحياء، ومعلوم أن القلب إذا
زال عن موضعه المخلوق فيه مات صاحبه، وعن أي شيء زاغت
الأبصار، وبأي شيء تعلقت ظنونهم بالله تعالى.

الجواب

قيل له في هذه الآية وجوه منها أن يكون المراد بذلك أنهم
جبنوا وفزع أكثرهم لما أشرف المشركون عليهم وخافوا من بوائقهم
وبوادرهم، ومن شأن الجبان عند العرب إذا اشتد خوفه أن تنتفخ
رئته، ولهذا يقولون انتفخ سحره أي رئته، وليس يمتنع أن تكون الرئة
إذا انتفخت رفعت القلب ونهضت به إلى نحو الحنجرة، وهذا
التأويل قد ذكره الفراء وغيره، ورواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن
عباس. ومنها أن القلوب قد توصف بالوجيب والاضطراب
في أحوال الجزع والهلع، قال الشاعر:

كأن قلوب أدلائها معلقة بقرون الظباء

وقال امرؤ القيس:

ولا مثل يوم في قذار ظللته كأني وأصحابي على قرن أعفرا

ويروى في تدانت ظللته ويروى في تدارى ظللته اراد المبالغة
في وصف نفسه واصحابه بالقلق والاضطراب ومفارقة
السكون والاستقرار وانما خص الظبي لان قرنه اكثر
تحركا واضطرابا لمرحه ونشاطه وشره عنه
وقد قال بعض الناس ان امرأ القيس لم يصف شدة اصابته في هذا
البيت فيليق قوله على قرن اعفرا بالتاويل المذكور بل وصف
اماكن كان فيها سرورا ومستمتعا الا ترى الى قوله قبل
هذا البيت بلا فصل

الا رب يوم صالح قد شهدته بتاذف ذات التل من فوق طرطرا

فيكون معنى قوله على قرن اعفرا على هذا الوجه انه كان
على مكان عال مشرف يشبهه لارتفاعه وطوله بقرن
الظبي وهذا القول لابن الاعرابي والاول للاصمعي واما
قول الاخر

الا قل حين الناس ليف نعتبرا واصبح يرمي الناس عن قرن اعفرا

فلا يحتمل الا الشدة والحال المذمومة ويجوز ان يريد ان
الناس منه غير مطمئنين بل هم منزعجون قلقون كانهم
على قرن ظبي ويحتمل انه يريد انه يطعنهم بقرن ظبي

كقولك

كقولك رماه بداهية ويكون معنى عن ههنا معنى الباء فقال
عن قرن اعفرا وهو يريد بقرن اعفرا وقد ذكر في هذا البيت
الوجهان معا فيكون معنى الاية على هذا التاويل ان القلوب لما اتصل وجيبها
واضطرابها بلغت الحناجر لشدة القلق ومنها ان يكون المعنى كادت
القلوب من شدة الخوف والرعب تبلغ الحناجر وان لم تبلغ في الحقيقة
فالقى ذكر كادت لوضوح الامر فيها ولفظة كادت ههنا
للمقاربة مثل قول قيس بن الخطيم

اتعرف رسما كاطراد المذاهب لعمرة وحشا غير موقف راكب
ديار التي كادت ونحن على منى تحل بنا لولا نجاء الركائب

معناه قاربت ان تحل بنا وان لم تحل في الحقيقة وقوله
غير موقف راكب فيه وجهان احدهما انه ليس
موضع يقف فيه راكب لخلوه من الناس ووحشته والاخر ان
يكون اراد انه وحش الا ان راكبا واقف به يعني نفسه وقال نصيب

وقد كدت يوم الحزن لما ترنمت هتوف الضحى محزونة بالترنم
اموت لمبكاها اسى ان عولتي ووجدي بسعدى شجوه غير منجم

معنى المنجم المقلع وقال ذو الرمة

وقفت على ربع لمية ناقتي فما زلت ابكي عنده واخاطبه

وأسقيه حتى كاد مما أبثه تكلمني أحجاره وملاعبه
وكل هذا معنى كاد فيه المقاربة ومتى أدخلت العرب على كاد
جحدا فقالوا ما كاد عبد الله يقوم ولم يكد عبد الله يقوم كان
فيه وجهان أحدهما قام عبد الله بعد إبطاء ولأي ومثله
قوله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون أي ذبحوها بعد إبطاء وتأخير
لأن وجدان البقرة عسر عليهم وروي أنهم أصابوها ليتيم لا مال له
غيرها فاشتروها من وليه بملء جلدها ذهبا فقال تعالى
وما كادوا يفعلون إما أنهم لم يقفوا عليها أو لغلائها وكثرة ثمنها ٥
والوجه الآخر في قولهم ما يكاد عبد الله يقوم أي ما يقوم
عبد الله وتكون لفظة يكاد على هذا المعنى مطرحة لا حكم لها
وعلى هذا يحمل أكثر المفسرين قوله تعالى إذا أخرج يده لم يكد
يراها الحكم لم يرها أصلا لأنه جل وعز لما قال أو كظلمات في بحر
لجي يغشاه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض هي من فوقه موج
كأن بعض هذه الظلمات يحول بين العين وبين النظر إلى اليد وسائر
المناظر فيكاد على هذا التأويل زيدت للتوكيد والمعنى إذا أخرج
يده لم يرها وقال قوم معنى الآية إذا أخرج يده رآها بعد إبطاء وعسر
لتكاثف الظلمة وترادف الموانع عن الرؤية فيكاد على هذا الوجه ليست

بزائدة

بزائدة ٥ وقال آخرون معنى الآية إذا أخرج يده لم يرد أن يراها
لأن الذي شاهد من الظلمات أيئسه من تأمل يده وقرر في نفسه
أنه لا يدركها ببصره ٥ وحكي عن العرب أولئك أصحابي الذين
أكادوا نزل عليهم قال الشاعر ٥

كادت وكدت وتلك خير إرادة لو عاد من لهو الصبابة ما مضى

أي أرادت وأردت وقال الأفوه الأودي ٥

فإن تجمع أوتاد وأعمدة وساكن بلغوا الأمر الذي كادوا

أي أرادوا وقال بعضهم معنى قوله تعالى كذلك كدنا ليوسف
أي أردنا ليوسف وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس
معناه كذلك صنعنا ليوسف ٥ ومما يشهد لمن جعل لفظة
يكاد زائدة في الآية قول الشاعر ٥

سريع إلى الهيجاء شاك سلاحه فما إن يكاد قرنه يتنفس

أي فما إن يتنفس قرنه ويكاد زيدت للتوكيد وقال حسان

وتكاد تكسل أن تجيء فراشها في جسم خرعبة وحسن قوام

معناه وتكسل أن تجيء فراشها وقال الآخر ٥

وألا ألوم النفس فيما أصابني وألا أكاد بالذي نلت أنجح

أي لا أنجح بالذي نلت ٥ ولو لم يكن الأمر على هذا لم يكن البيت مدحا

وروى عبد الصمد بن المعذل عن غيلان عن ابيه عن جده غيلان قال
قدم علينا ذو الرمة الكوفة فانشدنا بالكناسة وهو على
راحلته قصيدته الحائية التي يقول فيها ۝

اذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح

فقال له عبد الله بن شبرمة قد برح يا ذا الرمة ففكر ساعة ثم قال

اذا غير النأي المحبين لم اجد رسيس الهوى من حب مية يبرح

قال فاخبرت ابي بما كان من قول ذي الرمة واعتراض ابن شبرمة
عليه فقال اخطأ ذو الرمة في رجوعه عن قوله الاول واخطأ
ابن شبرمة في اعتراضه عليه هذا كقول الله عز وجل اذا اخرج يده لم يكد
يراها اي لم يرها ۝ فاما قوله عز وجل ان الساعة اتية اكاد
اخفيها فيحتمل ان يكون المعنى اريد اخفيها لكي تجزى كل نفس بما تسعى
ويجوز ان يكون زائدا ويكون المعنى ان الساعة اتية اخفيها لتجزى كل نفس ۝
وقد قيل فيه وجه آخر وهو ان يتم الكلام عند قوله تعالى
اتية اكاد ويكون المعنى اكاد اتي بها ووقع الابتداء بقوله
اخفيها لتجزى كل نفس ومما يشهد لهذا الوجه قول ضابئ البرجمي

هممت ولم افعل وكدت وليتني تركت على عثمان تبكي حلائله

اراد وكدت افعله فحذف الفعل لبيان معناه ۝ وروى عن سعيد بن جبير

انه كان

انه كان يقرأ اكاد اخفيها بمعنى اخفيها على هذا الوجه اظهرها قال عبدة بن
الطبيب يصف ثورا

يخفي التراب باظلاف ثمانية في اربع مسهن الارض تحليل

اراد انه يظهر التراب ويستخرجه باظلافه ۝ وقال امرؤ القيس

فان تدفنوا الداء لا نخفه وان تبعثوا الحرب لا نقعد

اراد لا نظهره ۝ وقال النابغة

يخفي باظلافها حتى اذا بلغت يبس الكثيب تداعى الترب فانهدما

وقد يقول اهل العربية اخفيت الشيء بمعنى سترته واخفيته بمعنى اظهرته
وكان القراءة بالضم تحتمل الامرين الاظهار والستر والقراءة بالفتح
لا تحتمل غير الاظهار واذا كانت بمعنى الاظهار كان الكلام
في كاد واحتمالها للوجوه الثلثة التي ذكرناها كالكلام
فيها اذا كانت بمعنى الستر والتغطية ۝ فان قيل اي معنى لقوله
اني استرها لتجزى كل نفس بما تسعى واظهرها على الوجهين جميعا
واي فائدة في ذلك قلنا الوجه في هذا ظاهر لانه تعالى اذا ستر
عنا وقت الساعة كانت دواعينا الى فعل الحسن والقبيح مترددة واذا
عرفنا وقتها بعينه كنا ملجئين الى التوبة بعد مقارفة الذنوب
وينقض ذلك الغرض بالتكليف واستحقاق الثواب به فصار ما اريد

من المجاز، لأن للمكلفين بتعجيلهم وإيصال ثواب أعمالهم يمنع من إطلاعهم
على وقت انقطاع التكليف عنهم. فأما إذا كانت لفظة أخفيها
بمعنى الإظهار فوجهها أيضا واضح لأنه تعالى إنما يقيم القيامة ويقطع
التكليف ليجازي كلا باستحقاقه ويوفي مستحق الثواب ثوابه
ويعاقب المسيء باستحقاقه فيصح وجه قوله تعالى أكاد أخفيها
لتجزى كل نفس بما تسعى على المعنيين جميعا. قال
قدس الله روحه: وجدت أبا بكر محمد بن القاسم الأنباري يطعن
على جواب من أجاب في قوله تعالى وبلغت القلوب الحناجر بأن معناه
كادت تبلغ الحناجر، ويقول كاد لا تضمر ولا بد أن تكون منطوقا
بها، ولو جاز أن تضمر لجاز قام عبد الله بمعنى كاد عبد الله يقوم
ولم يقم عبد الله. وهذا الذي ذكره غير صحيح، وأظن أن
الذي حمله على الطعن في هذا الوجه حكايته له عن ابن قتيبة
وإن تعسف في الطعن عليه، والذي استبعده غير بعيد لأن كاد
قد تضمر في مواضع يقتضيها بعض الكلام وإن لم تكن في
صريحه، ألا ترى أنهم يقولون أوردت على فلان من التوبيخ والعتاب
والتقريع ما مات عنده، وخرجت نفسه، ولما رأى فلان فلانا مات
لم يبق فيه روح، وما أشبه ذلك، ومعنى جميع ذلك ما ذكرناه من

المقاربة

المقاربة، ولا بد من إضمارها فيه. وقال جرير
إن العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
وإنما المعنى أنهن كدن يقتلننا. وهذا أكثر في الشعر والكلام
من أن نذكره. فأما قوله لم يحيين قتلانا فالأظهر في معناه
أنهن لم يزلن ما فات بنا عند الموت والقتل والصدود والهجر وما أشبه
ذلك. وسمى هذه الأمور حياة كما سمى أضدادها قتلا. وقد قيل
إن معنى يحيين أنهن لم يدين قتلانا من الدية لأن دية القتيل عند العرب
كالحياة له. وقد روي ثم لم يجنن، وهذه رواية شاذة لم تسمع
من عالم ولا يحصل ومعناها ركيك ضعيف.
وروي أنه وقع الخلاف بين هرون الرشيد وزبيدة في هذا
البيت، فكان هرون يقول يحيين بالحاء والياء، وزبيدة تقول
يجنن بالجيم والنون، فتخاطرا على ذلك بألف دينار، ودعا مسرورا
الخادم وأعطياه على أن يخرج به إلى أفضل من يجده من أهل
العلم، فإن صوب قول هرون أعطاه ألفه، وإن صوب قول زبيدة فالألف لها.
فخرج مسرور بالتوقيع يطلب من يفتيه في ذلك، فدل على الكسائي
وكان قريب عهد بالقدوم من الكوفة إلى بغداد، وكان يأوي
إلى مسجد فدخل مسرور عليه بخيله وجنده فتحير له الكسائي

فقال الا بانه يبيت فقد اشكل علينا واستفتنا في الكلمتين فصوبهما
جميعا فاعطاه الالفين واصبح وقد استفاد بكلمة او صححها ما اغناه
وهذا دليل حسن تأتيه ولطافة ادبه
واذا كان الامر على ما ذكرناه لم يمتنع ان يقال قام فلان بمعنى كاد
يقوم اذا دلت الحال على ذلك كما يقال مات بمعنى كاد يموت فاما
قوله فيكون تأويل قام عبد الله لم يقم عبد الله فخطأ لانه ليس معنى
كاد يقوم انه لم يقم كما ظن بل معناه انه قارب القيام ودنا
منه فمن قال قام عبد الله واراد كاد يقوم فقد افاد ما لا يفيده
قوله لم يقم فاما قوله زاغت الابصار فمعناه زاغت عن
النظر الى كل شيء فلم تلتفت الا الى عدوها ويجوز ان يكون
المراد زاغت اى حادت ومالت عن القصد والنظر دهشا
وتحيرا فاما قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا فمعناه انكم تظنون
مرة انكم تنصرون وتظهرون على عدوكم ومرة انكم تبتلون
وتمتحنون بالتخلية بينكم وبينهم ويجوز ايضا ان يريد الله تعالى ان
ظنونهم اختلفت فظن المنافقون منكم خلاف ما وعدكم الله تعالى به
من النصر وشكوا في خبره عز وجل كما قال تعالى حكاية عنهم ما
وعدنا الله ورسوله الا غرورا فظن المؤمنون ما طابق وعد الله لهم

كما حكى

كما حكى عز وجل عنهم في قوله هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله
وكل ما ذكرناه واضح في تأويل الآية وما يتعلق بها

مجلس آخر

تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى وجعلنا نومكم سباتا فقال اذا
كان السبات هو النوم فكأنه قال وجعلنا نومكم نوما وهذا ما لا
فائدة فيه

الجواب

قلنا له في هذه الآية وجوه منها ان يكون المراد بالسبات الراحة
والدعة وقد قال قوم ان اجتماع الخلق كان في يوم الجمعة والفراغ
منه في يوم السبت فسمي اليوم بالسبت للفراغ الذي كان فيه ولان الله
تعالى امر بني اسرائيل فيه بالاستراحة من الاعمال واصل السبات
التمدد يقال سبتت المرأة شعرها اذا حلته من العقص وارسلته
قال الشاعر

وان سبتته مال جثلا كأنه سدى واهلات من نواسج خثعما

اراد وان ارسلته ومنها ان يكون المراد بذلك القطع لان
السبت القطع والسبت ايضا الحلق يقال سبت شعره سبتا
اذا حلقه وهو يرجع الى معنى القطع والنعال السبتية التي لا شعر عليها

قال عشرين ٥

بطل كان سبابه في ترجمة يحذى تعالى السبت ليس بتوام
ويقال لكل أرض مرتفعة منقطعة مما حولها سبتا وجمعها
سبات فيكون المعنى على هذا الجواب وجعلنا نومكم قطعا لأعمالكم
وتصرفكم ومن أجاب بهذا الجواب يقول إنما سمي يوم السبت
بذلك لأن بدو الخلق كان يوم الأحد وجمع يوم الجمعة
وقطع يوم السبت فترجع التسمية إلى معنى القطع وقد اختلف
الناس في ابتداء الخلق فقال أهل التورية أن الله ابتدأه في يوم
الأحد وكان الخلق في يوم الأحد والاثنين والثلثا والاربعاء والخميس
والجمعة ثم فرغ في يوم السبت وهذا قول أهل التورية ٥
وقال آخرون أن الابتداء كان في يوم الاثنين إلى السبت وفرغ
في يوم الأحد وهذا قول أهل الإنجيل ٥ وأما قول أهل الإسلام
فهو أن ابتداء الخلق كان في يوم السبت واتصل إلى
الخميس وجعل الجمعة عيدا فعلى هذا القول الأخير
يمكن أن يسمى اليوم بالسبت من حيث قطع بعض خلق
الأرض ٥ فقد روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه
وآله أنه قال إن الله تعالى خلق التربة في يوم السبت وخلق فيها

الجبال

الجبال يوم الأحد ومنها أن يكون المراد بذلك أنا جعلنا نومكم سباتا
ليس بموت لأن النائم قد يفقد من علومه وقصوده وأحواله أشياء
كثيرة يفقدها الميت فأراد تعالى أن يمتن علينا بأن
جعل نومنا الذي يضاهي به بعض أحوال الميت ليس بموت
على الحقيقة ولا يخرج لنا عن الحيوة والإدراك فجعل
التأكيد بذكر المصدر قائما مقام نفي الموت وسادّا
مسدّ قوله وجعلنا نومكم سباتا ليس بموت ويمكن أن
يكون في الآية وجه آخر لم يذكر فيها وهو أن السبات
ليس هو كل نوم وإنما هو من صفات النوم إذا وقع على بعض
الوجوه والسبات هو النوم الممتد الطويل السكون ولهذا
يقال فيمن وصف بكثرة النوم إنه مسبوت وبه سبات ولا
يقال ذلك في كل نائم وإذا كان الأمر على هذا لم يجر قوله
تعالى وجعلنا نومكم سباتا مجرى أن يقول وجعلنا نومكم
نوما ٥ والوجه في الامتنان علينا بأن جعل نومنا ممتدا
طويلا ظاهر وهو لما في ذلك لنا من المنفعة والراحة لأن
التهويم والنوم الغرار لا يكسبان شيئا من الراحة بل يصحبهما
في الأكثر القلق والانزعاج والهموم وهي التي تقلل النوم

ونزيده وفراغ القلب وتخلي البال يكون معها غزارة النوم وامتداده وهذا
واضح ه قال المرتضى رضي الله عنه ووجدت ابا بكر محمد بن القاسم
الانباري يطعن على الجواب الذي ذكرناه اولا ويقول ان
ابن قتيبة اخطأ في اعتماده لان الراحة لا يقال لها سبات
ولا يقال سبت الرجل اذا استراح واراح ويعتمد على الجواب
الذي ثنينا بذكره ويقول فيما استشهد به ابن قتيبة
من قولهم سبتت المرأة شعرها ان معناه ايضا القطع لان
ذلك انما يكون بازالة الشداد الذي كان مجموعا به وقطعه
والمقدار الذي ذكره ابن الانباري لا يقدح في جواب
ابن قتيبة لانه لا ينكر ان يكون السبات هو الراحة
والدعة اذا كانت عن نوم وان لم توصف كل راحة بانها سبات
ويكون هذا الاسم يخص الراحة اذا كانت على هذا الوجه
ولهذا نظاير كثيرة في الاسماء واذا امكن ذلك لم يكن
في امتناع قولهم سبت الرجل بمعنى استراح في كل
موضع دلالة على ان السبات لا يكون اسما للراحة عند النوم
والذي يبقى على ابن قتيبة ان يبين ان السبات هو الراحة والدعة
ويستشهد على ذلك بشعر او لغة فان البيت الذي ذكره يمكن ان

يكون

يكون المراد به القطع دون التمدد والاسترسال فان قيل
فما الفرق بين جواب ابن قتيبة وجوابكم الذي ذكرتموه اخيرا
قلنا الفرق بينهما بين لان ابن قتيبة جعل السبات نفسه
راحة وجعله عبارة عنها واخذ يستشهد على ذلك بالتمدد
وغيره ونحن جعلنا السبات نفسه من صفات النوم والراحة
واقعة عنده للانسداد وطول السكون فيه ولا يلزمنا
ان يقال سبت الرجل بمعنى استراح لان الشيء لا يسمى بما يقع عنده
حقيقة والاستراحة تقع على جوابنا عند السبات
وليس السبات اياها بعينها ه على ان في الجواب الذي اختاره
ابن الانباري ضربا من الكلام لان السبت وان كان
القطع على ما ذكره فلم نسمع فيه البناء الذي ذكره وهو
السبات ونحتاج في اثبات مثل هذا البناء الى سماع
عن اهل اللغة وقد كان يجب ان يجوز من اي وجه اذا كان
السبت هو القطع جاز ان يقال سبات على هذا المعنى ولم
نره فعل ذلك

تاويل خبر

ان قال قايل ما تاويل الخبر الذي روي عن النبي صلى الله عليه

واله ان الميت ليعذب ببكاء الحي عليه وفي رواية اخرى ان
الميت ليعذب في قبره بالنياحة عليه ۵ وقد روي هذا المعنى
المغيرة بن شعبة ايضا قال سمعت رسول الله صلى الله عليه واله
يقول من ينح عليه فانه يعذب بما نيح عليه ۵

الجواب

انا اذا كنا قد علمنا بادلة العقل التي لا يدخلها الاحتمال والاتساع
والمجاز قبح مواخذة احد بذنب غيره وعلمنا ايضا ذلك بادلة
السمع مثل قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى فلا
بد من ان نصرف ما ظاهره بخلاف هذه الادلة الى ما يطابقها
والمعنى في الاخبار التي سئلنا عنها ان صحت روايتها انه
اذا اوصى موص بان يناح عليه ففعل ذلك باذنه وعن امره
فانه يعذب بالنياحة عليه وليس معنى يعذب بها انه يواخذ
بفعل النواح وانما معناه يواخذ بامره بها ووصيته
بفعلها وانما قال صلى الله عليه واله ذلك لان الجاهلية كانوا
يرون البكاء عليهم والنوح فيامرون به ويؤكدون الوصية بفعله
وهذا مشهور عنهم قال طرفة بن العبد ۵

فان مت

فان مت فانعيني بما انا اهله وشقي علي الجيب يا ابنة معبد
وقال بشر بن ابي خازم لابنته عمرة ۵

فمن يك سائلا عن بيت بشر فان له بجنب الردة بابا
ثوى في ملحد لا بد منه كفى بالموت نايا واغترابا
رهين بلى وكل فتى سيبلى فاذري الدمع وانتحبي انتحابا

وقد روي عن ابن عباس في هذا الخبر انه قال وهل ابن عمر انما
مر رسول الله صلى الله عليه واله على يهودي فقال انكم لتبكون
عليه وانه ليعذب في قبره ۵ وقد روي انكار هذا الخبر
عليه ايضا عن بعض ازواج النبي صلى الله عليه واله وانها قالت
لما اخبرت بروايته وهل ابو عبد الرحمن كما وهل يوم
قليب بدر انما قال ان اهل الميت ليبكون عليه وانه
ليعذب بجرمه ۵ قال قدس الله روحه وهل اي ذهب
وهمه الى غير الصواب يقال وهلت الى الشيء فانا اهل وهلا
اذا ذهب وهمك اليه ووهلت عنه اهل وهلا اي نسيته
وغلطت فيه ووهل الرجل يوهل وهلا اذا فزع والوهل الفزع
واما القليب فهي البئر والجمع القلب قال حسان
ابن ثابت يذكر قتلى بدر من المشركين ۵

يقال الفؤاد وهلت في الشيء وعنه اوهل وهلا
اذا غلطت ووهلت الى الشيء اهل وهلا
اذا ذهب وهمك اليه

فما ذا بالقليب قليب بدر … من الفتيان والشرب الكرام
وماذا بالقليب قليب بدر … من الشيزى تكلل بالسنام

ومعنى قوله في ذكر القليب انه روي ان النبي صلى الله عليه
وآله وقف على قليب بدر فقال هل وجدتم ما وعدكم ربكم
حقا ثم قال انهم ليسمعون ما اقول لهم فانكر ذلك عليه
وقيل انما قال عليه السلام انهم الآن ليعلمون ان الذي كنت
اقول لهم هو الحق واستشهدوا بقول الله تعالى انك لا
تسمع الموتى ٥ واهل القليب جماعة من قريش منهم عتبة
وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة وغيرهم وروي عن
عبد الله بن مسعود انه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وآله
ذات يوم قائما يصلي بمكة واناس من قريش في حلقة
فيهم ابو جهل بن هشام فقال ما يمنع احدكم ان يأتي
الجزور التي نحرها آل فلان فيأخذ سلاها ثم يأتي به حتى
اذا سجد وضعه على ظهره قال عبد الله فانبعث اشقى القوم
وانا انظر اليه فجاء به حتى وضعه على ظهره قال عبد الله فلو كانت
لي يومئذ منعة لمنعته وجاءت فاطمة عليها السلام وهي
يومئذ صبية حتى اماطته عن ظهر ابيها ثم جاءت حتى قامت..

على رؤوسهم

على رؤوسهم فاوسعتهم شتما قال فوالله لقد رأيت بعضهم يضحك
حتى انه ليطرح نفسه على صاحبه من الضحك فلما سلم النبي صلى
الله عليه وسلم اقبل على القوم فقال اللهم عليك بفلان وفلان فلما
رأوا النبي عليه السلام قد دعا عليهم اسقط في ايديهم فوالله الذي
لا اله غيره ما سمى النبي صلى الله عليه وآله يومئذ احدا
الا وقد رأيته يوم بدر قد اخذ برجله يجر الى القليب
مقتولا ٥ قوله فيأخذ سلاها السلى جلدة فيها الولد يكون فيها
ولدها ما دام في بطنها والجمع الاسلاء وقال ابن حبيب
الاسلاء التي فيها الاولاد وقال الاخطل ٥

ويطرحن بالثغر السخال كانما … يشققن بالاسلاء اردية العصب

وقال الشماخ ٥

والعيس دامية المناسم ضمر … يقذفن بالاسلاء تحت الاركب

وقال الفراء سقط في ايديهم من الندامة واسقط لغتان وسقط بغير
الالف اكثر واجود ويمكن ان يكون في قوله يعذب
ببكاء اهله واعزته عليه وما لحقهم تعلق من الحزن والهم
نالهم بذلك فكان عذابا له والعذاب ليس يجري مجرى العقاب
الذي لا يكون الا على ذنب متقدم بل قد يستعمل كثيرا بحيث

تستعمل الالم والضرر الا ترى ان القايل ليقول لمن ابتداه
بالضرر والالم قد عذبتني بكذا وكذا واذيتني كما تقول اضررت
بي وآلمتني وانما لم تستعمل العقاب حقيقة في الالام المبتداة
من حيث كان اشتقاق لفظه من المعاقبة التي لا بد من تقدم
سببها ولتبين هذا في العذاب

تاويل خبر اخر

ان سال سايل عن الخبر الذي رواه ابو هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ما من احد يدخله عمله الجنة
وينجيه من النار قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا
ان يتغمدني الله برحمة منه وفضل يقولها ثلثا فقال اليس في
هذا دلالة على ان الله تعالى يتفضل بالثواب وانه غير مستحق
عليه ومذهبكم بخلاف ذلك

الجواب

قلنا فايدة الخبر ومعناه بان فقر المكلفين الى الله تعالى وحاجتهم
الى الطافه وتوفيقاته ومعوناته وان العبد لو اخرج الى نفسه

وقطع الله

وقطع الله مواد المعونة واللطف عنه لم يدخل بعمله الجنة ولا نجا من
النار فكانه عليه السلام اراد ان احدا لا يدخل بعمله الذي لم يعنه
الله عليه ولا لطف له فيه ولا ان شد له الجنة وهذا هو الحق الذي
الذي لا شبهة فيه . فاما الثواب فمتى اتى القول بانه تفضل
بمعنى ان الله تفضل بسببه الذي هو التكليف ولهذا نقول انه
لا يجب على الله تعالى شيء ابدا وانما يجب عليه ما اوجبه على نفسه
فالثواب مما كان اوجبه على نفسه بالتكليف وكذلك التمكين
والالطاف وكل ما يحتاج اليه ويوجبه التكليف ولولا ايجابه
له على نفسه بالتكليف لما وجب فان قيل فقد سمى الرسول
عليه السلام ما يفعل به تفضلا فقال عليه السلام الا ان يتغمدني
الله برحمة منه وفضل قلنا هذا كما يطابق ما ذكرناه
لان الرحمة النعمة والثواب نعمة وهو فضل وتفضل من الوجه
الذي ذكرناه . وان حملنا قوله عليه السلام برحمة
منه وفضل على ما يفعل به من الالطاف والمعونات فهي ايضا
فضل وتفضل لان سببها غير واجب . فاما قوله عليه
السلام يتغمدني فمعناه يسترني يقال غمدت السيف في غمده
اذا سترته قال الشاعر

نصبنا رماحًا فوقها جدّ عامرٍ كظلّ السماء كلَّ أرض تعمّدا

فالجدّ ها هنا الحظّ وشبّه ما قسم لعامرٍ من الغلبة والظفر
بظلّ السماء الذي يستر كلّ شيء ويظهر عليه . أخبرنا
أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى بن جنيقا قال أخبرنا
أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيمي قراءةً عليه قال أملى علينا
أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب النحوي قال أخبرنا ابن الأعرابي
قال يقال للقوم إذا دعوت عليهم بهرهم الله والمبهور هو المكروب
وأنشدنا .

أبرزوها مثل المهاة تهادى بين خمسٍ كواعبٍ أترابِ

ثم قالوا تحبّها قلت بهرًا عدد الرمل والحصى والترابِ

وقد قيل في معنى قوله بهرًا غير هذا الوجه . أخبرنا
أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال أخبرني محمد بن يحيى
الصولي قال حدثني القاسم بن إسماعيل قال حدثنا التوزي
عن أبي عمرو الأسدي قال سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول قول عمر بن أبي
ربيعة حجّة في العربية وما أُخذ عليه شيء إلا قوله . ثم قالوا
تحبّها قلت بهرًا ولَه فيه عذرٌ إن أراد الخبر لا الاستفهام
فولّد بنو الجان ثمّ بجوابه فهذا حسن وقد يجوز أن يكون

اراد

أراد نعم حبًّا بهرني بهرًا ويكون أيضًا بمعنى عفرًا وتعسًا دعا
عليهم إذ جهلوا من حبّه لها ما لا يجهل مثله وأنشد أبو عمرو .

لحى الله قومي إذ يبيعون مهجتي بجاريةٍ بهرًا لهم بعدها بهرا

قال أبو عمرو ويكون بهرًا بمعنى ظاهرًا أي بدّ حبًّا ظاهرًا من
قولهم قمر باهر وقد روى بعض الرواة أنه قال قيل أما تحبّها
قلت بهرًا . والرواية الأولى هي المشهورة ولعلّ من روى ذلك
فرّ بهذه الرواية من اللحن . وهذان البيتان لعمر بن أبي ربيعة
المخزومي من جملة أبيات منها .

من رسولي إلى الثريا بأني ضقت ذرعًا بهجرها والكتابِ

وهي مكنونةٌ تحيّر منها في أديم الخدّين ماء الشبابِ

سلبتني مجاجة المسك عقلي فسلوها بما يحلّ اغتصابي

أزهقت أمّ نوفلٍ إذ دعتها مهجتي ما لقاتلي من متابِ

حين قالت لها أجيبي فقالت من دعاني قالت أبو الخطّابِ

أبرزوها مثل المهاة تهادى بين خمسٍ كواعبٍ أترابِ

ثم قالوا تحبّها قلت بهرًا عدد القطر والحصى والترابِ

والثريا هذه التي عناها عمر أموية وقد اختُلف في نسبها فقيل إنها
الثريا بنت عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر وذكر الزبير بن

بكار ان الثريا بنت عبد الله بن محمد بن عبد الله بن الحرث بن امية
الاصغر وانها اخت محمد بن عبد الله المعروف بابي جراب العبلي
الذي قتله داود بن علي . واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني
قال حدثني محمد بن ابرهيم قال حدثنا احمد بن يحيى عن الزبير
ابن بكار قال حدثني مومن بن عمر بن افلح قال اخبرني بلال
ابن ابي عتيق في حديث طويل لعمر بن ابي ربيعة مع الثريا اختصرناه
واوردنا بعضه قال لما سمع ابن ابي عتيق قول عمر

من رسولي الى الثريا

قال اياي اراد وبي نوه لا جرم والله لا اذوق اكالا حتى اشخص
اليهما فاصلح بينهما فنهض ونهضت معه فجا قوما من بني الديل بن
بكر لم تذلل النجايب تغالا بهم بكروتها فاكترى
منهم راحلتين واغلى لهم بها فقلت له استوضعهم شيا او دعني
اماكسهم فقد اشتطوا فقال لي ويحك اما علمت ان المكاس
ليس من خلق الكرام وركب احدهما وركبت الاخرى
فسار سيرا شديدا فقلت له ارفق على نفسك فان ما تريد
لا يفوتك فقال ويحك ابادر حبل الود ان ينقضبا وما
ملح الدنيا ان تم الصدع بين عمر والثريا فقدمنا مكة ليلا

[illegible]

غير محرمين فدق على عمر بابه فخرج اليه فسلم عليه فما نزل ابن ابي
عتيق عن راحلته وقال لعمر اركب اصلح بينك وبين الثريا
فانا رسولك الذي سالت عنه فركب معه فقدمنا الطايف
فقال ابن ابي عتيق للثريا هذا عمر قد جشمني سفر المدينة
فجيتك به معترفا بذنب لم يجنه معتذرا من اساءته
اليه فدعيني من التعداد والترداد فانه من الشعرا الذين
يقولون ما لا يفعلون فصالحته احسن صلح وكررنا
راجعين الى المدينة ولم يقم ابن ابي عتيق بمكة ساعة واحدة
وفي الثريا يقول عمر ايضا لما تزوجها سهيل بن عبد الرحمن
ابن عوف المكني بابي الابيض وقيل بل تزوجها سهيل
ابن عبد العزيز بن مروان

ايها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية اذا ما استقلت وسهيل اذا استقل يماني

مجلس اخر

تاويل اية ان سال سايل عن قوله تعالى فغشيهم من اليم ما غشيهم
واضل فرعون قومه وما هدى فقال ما الفايدة في قوله

ما غشيهم يدل عليه ويستغنى به عنه لان غشيهم لا يكون الا
للذي غشيهم وما الوجه في ذلك ۝ قلنا قد ذكر في هذا
اجوبة احدها ان يكون المعنى فغشيهم من اليم البعض
الذي غشيهم لانه لم يغشهم جميع مائه بل غشيهم بعضه
فقال تعالى ما غشيهم ليدل على ان الذي غرقهم بعض الماء وانهم
لم يغرقوا بجميعه وهذا الوجه حكي عن الفراء وذكره
ابو بكر الانباري واعتمده وغيره اوضح منه واليم هو البحر
قال الشاعر ۝

وبنى تبع على اليم قصرا عاليا مشرفا على البنيان

وثانيها ان يكون المعنى فغشيهم من اليم ما غشي موسى
واصحابه وذلك ان موسى عليه السلم واصحابه وفرعون واصحابه
سلكوا جميعا البحر وغشيهم كلهم الا ان فرعون
وقومه لما غشيهم غرقهم وموسى عليه السلام وقومه جعل
لهم في البحر طريق يبس فقال تعالى فغشي فرعون وقومه من
ماء اليم ما غشي موسى وقومه فنجا هولاء وهلك هولاء وعلى هذا
التاويل يكون الها في قوله تعالى ما غشيهم كناية عن غير
من كني عنه بقوله فغشيهم لان الاولة كناية عن فرعون

وقومه

وقومه والثانية كناية عن موسى وقومه ۝ وثالثها انه غشيهم من عذاب
اليم واهلاكه لهم ما غشي الامم السالفة من العذاب والهلاك عند
تكذيبهم انبياهم واقامتهم على رد اقوالهم والعدول عن ارشادهم
والامم السالفة وان لم يغشهم العذاب والاهلاك من قبل البحر
فقد غشيهم عذاب واهلاك استحقوهما بكفرهم وتكذيبهم
انبياهم فشبه بينهم وبين هولاء من حيث اشتمال العذاب على جميعهم
عقوبة على التكذيب ۝ ورابعها ان يكون المعنى فغشيهم من قبل
اليم ما غشيهم من العطب والهلاك فتكون لفظة غشيهم الاولى
للبحر والثانية للهلاك والعطب اللذين لحقاهم من قبل البحر
ويمكن في الاية وجه اخر لم نذكره فيها وهو واضح يليق
بمذاهب العرب في استعمال مثل هذا اللفظ وهو ان يكون الفايدة
في قوله تعالى ما غشيهم تعظيم الامر وتفخيمه كما يقول القايل
فعل فلان ما فعل واقدم على ما اقدم اذا اراد التفخيم وكما قال
وفعلت فعلتك التي فعلت وما يجري هذا المجرى ويدخل في هذا
الباب قولهم للرجل هذا وانت انت وفي القوم هم هم قال الهذلي

رفوني وقالوا يا خويلد لا ترع فقلت وانكرت الوجوه هم هم

وقال ابو النجم ۝

انا ابو النجم وشعري شعري

كل ذلك إذا أراد تعظيم الأمر وتكبيره

تأويل آية أخرى

إن سأل سائل عن قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم فقال ما الفائدة في قوله من فوقهم وهو لا يفيد إلا ما يفيده قوله فخر عليهم السقف لأن مع الاقتصار على القول الأول لا يذهب وهم أحد إلى أن السقف يخر من تحتهم

الجواب

قيل له في ذلك أجوبة أولها أن يكون على بمعنى عن فيكون المعنى فخر عنهم السقف من فوقهم أي خر عن كفرهم وجحودهم بالله تعالى وآياته كما يقول القائل اشتكى فلان عن دواء شربه فيكون على وعن بمعنى من أجل الدواء وكذلك يكون معنى الآية فخر من أجل كفرهم السقف من فوقهم قال الشاعر

أرمي عليها وهي فرع أجمع ... وهي ثلاث أذرع وإصبع

أراد أرمي عنها لأن كلام العرب رميت عن القوس فأقام على مقام عن ولو أنه قال تعالى على هذا المعنى فخر عليهم

السقف ولم يقل من فوقهم جاز أن يتوهم متوهم أن السقف خر وليس هم تحته وثانيها أن يكون على بمعنى اللام والمراد فخر لهم السقف فإن على قد تقام مقام اللام وحكي عن العرب ما أغيظك علي وما أغمك علي يريدون ما أغيظك لي وما أغمك لي وقال الطرماح يصف ناقة

كأن مخواها على ثفناتها ... معرس خمس وقعت للجناجن

أراد وقعت على الجناجن وهي عظام الصدر فأقام اللام مقام على وقد يقول القائل أيضا تداعت على فلان داره واستهدم عليه حائطه ولا يريد أنه كان تحته فأخبر تعالى بقوله من فوقهم عن فائدة لولاه ما فهمت ولجاز أن يتوهم متوهم في قوله تعالى فخر عليهم السقف ما يتوهمه من قوله خربت عليه ربعه ووقفت عليه دابته وأشباه ذلك وللعرب في هذا مذهب طريف لأنهم لا يستعملون لفظة على في مثل هذا الموضع إلا في الشر والأمر المكروه الضار ويستعملون اللام وغيرها في خلاف ذلك ألا ترى أنهم لا يقولون عمرت على فلان ضيعته بل لا يقولون إلا خربت عليه ضيعته ولا ولدت عليه جاريته بل يقولون عمرت له ضيعته وولدت له جاريته وهكذا من شأنهم إذا قالوا مال علي وردي علي فإنه يقال في الشر

والكذب في الخبر والحق يقولون فلان عني وروى عني ومثل ذلك
قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان لأنهم لما أضافوا
السحر والكفر إلى ملك سليمان حسن أن يقال يتلون عليه
ولو كان خبرا لقيل عنه ومثله ويقولون على الله الكذب
وهم يعلمون وقوله تعالى أتقولون على الله ما لا تعلمون وقال الشاعر

عرضت نصيحة مني ليحيى فقال غششتني والنصح مر
وما بي أن أكون أعيب يحيى يقال عليه في بقعاء شر
فقلت له تجنب كل شيء يقال عليك إن الحر حر

ومثله قول الفرزدق في عنبسة بن معدان المعروف بعنبسة
الفيل وقد كان يتتبع شعره ويخطئه ويلحنه

لقد كان في معدان والفيل زاجر لعنبسة الراوي علي القصائدا

فقال علي ولم يقل عني للمعنى الذي ذكرناه وثالث الوجوه
في الآية أن يكون من فوقهم تأكيدا للكلام وزيادة في
البيان كما قال تعالى ولكن تعمى القلوب التي في الصدور والقلب
لا يكون إلا في الصدر ونظائر ذلك في الكتاب وكلام العرب كثير

تأويل خبر

إن سأل سائل

إن سأل سائل عن الخبر الذي رواه نافع عن أبي إسحق الهجري عن
أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وآله أنه
قال إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا مأدبته ما استطعتم وإن أصفر
البيوت لجوف أصفر من كتاب الله تعالى فقال ما تأويله وكيف
بيان غريبه

الجواب

قلنا المأدبة في كلام العرب هي الطعام يصنعه الرجل ويدعو
الناس إليه فشبه النبي صلى الله عليه وآله ما يكتسبه الإنسان
من خير القرآن ونفعه وعائدته عليه إذا قرأه وحفظه
بما يناله المدعو من طعام الداعي وانتفاعه به ويقال قد
أدب الرجل يأدب فهو آدب إذا دعا الناس إلى طعامه
ويقال للمأدبة المدعاة وذكر الأحمر أنه يقال فيها
أيضا مأدبة بفتح الدال وقال طرفة بن العبد

نحن في المشتاة ندعو الجفلى لا ترى الآدب فينا ينتقر

ومعنى الجفلى أنه عم بدعوته ولم يخص بها قوما دون قوم والنقرى
إذا خص بها بعضا دون بعض ومعنى ينتقر من النقرى

قال بعض هذيل

وليلةٍ يصطلي بالفرث جازرها يختص بالنقرى المثرين داعيها
لا ينبح الكلب فيها غير واحدةٍ عند الصباح ولا تسري أفاعيها

معنى يصطلي بالفرث جازرها أن الجازر إذا شق الكرش أدخل يده لشدة البرد في الفرث يستدفئ به ومعنى يختص بالنقرى المثرين داعيها أنه يخص بدعائه إلى طعامه الأغنياء الذين يطمع من جهتهم في المكافأة وقال الآخر

فالي تلثا ده حضبت ومادبة فكل أيامه يوم الثلثاء

وقال الهذلي يصف عقابا

كأن قلوب الطير في جوف وكرها نوى القسب يلقى عند بعض المآدب

أراد جمع مادبة وقد روي هذا الحديث بفتح الدال المادبة وقال الأحمر المراد بهذه اللفظة مع الفتح هو المراد بها مع الضم وقال غيره المادبة بفتح الدال مفعلة من الأدب معناه أن الله تعالى أنزل القرآن أدبا للخلق وتقويما لهم وإنما دخلت الهاء في مادبة ومادبة والقرآن مذكر لمعنى المبالغة كما قالوا هذا شراب مطيبة للنفس وكما قال عنترة

بنت ع



بنت عمرٍ أغرّ شاكر نعمتي والكفر مخبثة لنفس المنعم

وجرى ذلك مجرى قولهم رجل علامة ونسابة في باب المدح على جهة التشبيه بالداهية ورجل هلباجة في باب الذم على جهة التشبيه بالبهيمة ويقال لطعام الإملاك وليمة ولطعام الزفاف العرس ولطعام الختان العذيرة ولطعام بناء الدار الوكيرة ولطعام حلق الشعر العقيقة ولطعام القادم من سفر النقيعة ولطعام النفاس الخرس والذي تطعمه النفساء الخرسة قال الشاعر

إذا النفساء لم تخرس ببكرها غلاما ولم يسكت بحتر فطيمها

الحتر الشيء القليل وقال الآخر

كل الطعام تشتهي ربيعه الخرس والإعذار والنقيعه

ويروى الخرس وينشد أيضا في النقيعة قول الشاعر

إنا لنضرب بالسيوف رؤوسهم ضرب القدار نقيعة القدام

والقدار الجزار والقدام جمع قادم وقال أبو زيد يقال لطعام الإملاك النقيعة ولطعام بناء الدار الوكيرة ولطعام الختان الإعذار والعذيرة وقال الفراء الشندخي طعام الإملاك والوليمة طعام العرس وقال أبو زيد يقال من النقيعة نقعت وقال الفراء يقال منها أنقعت



وقال ابن السكيت يقال للطعام الذي يتعلل به قبل الغداء السلفة
واللهنة يقال لهنوا ضيفكم اي اطعموه اللهنة قال الشاعر

تجبز عارضها منقل   طعامها اللهنة او اقل

وقال ابن السكيت يقال فلان ياكل الوزمة اذا كان ياكل اكلة في
اليوم . وقال الاصمعي فلان ياكل الوجبة اذا كان ياكل في اليوم
والليلة اكلة قال بشار

فاستغن بالوجبات عن ذهب لم يبق قبلك لابن ذهبه

وقال ابن السكيت قال الاصمعي لرجل اعرابي في سنين كيف كان سيرك
قال كنت اكل الوجبة وانجو الوقعة واعرس اذا افجرت وارتحل
اذا اسفرت واسير الوضع واجتنب الملع فجئتكم لمسي سبع .
قوله انجو الوقعة معناه اقضي حاجتي مرة في اليوم وهو من
النجو وقوله اسير الوضع والوضع سير فيه بعض الاسراع والملع
سير اشد منه فاراد انه يجتنب السير الشديد كراهة ان ينقف
ظهره قبل ان يبلغ الارض التي يقصدها . ويقال شر السير
الحقحقة اي السير الشديد الذي يقطع صاحبه عن بلوغ بغيته
قال الشاعر .

اذا ما اردت الارض ثم تباعدت عليك فضع رحل المطية وانزل

اي استرح

اي استرح حتى تقوى على السير وان جهدت نفسك لم تقطع ارضا
ولم تبق ظهرا وهذا من اثبات المعاني التي يسئل عنها والذي قبله مما
ذكرناه . ويمكن ايضا ان يكون معنى البيت اذا بعدت
عليك الارض فدعها ويسل عنها كما يقال دروا عن مطلبه الصعب وما
جرى مجرى ذلك من الفاظ التسلية والامر بالعدول عن تتبع
ما صعب من الامور وقال الاخر في معنى البيت الاول

تقطع بالنزول الارض عنا وبعد الارض يقطعه النزول

وقوله جئتكم لمسي سبع معناه لمساء سبع ليال . ويقال للذي
يحضر طعام القوم من غير ان يدعوه اليه الوارش والعروش . وقول
العامة طفيلي مولد لا يوجد في العتيق من كلام العرب واصل ذلك
ان رجلا يقال له طفيل كان بالكوفة لا يفتقد من وليمة من
غير ان يدعى اليها فقيل للوارش طفيلي تشبيها بطفيل هذا في فعله
ويقال للذي يحضر شراب القوم من غير ان يدعى اليه واغل قال امرؤ القيس

فاليوم فاشرب غير مستحقب اثما من الله ولا واغل

ويقال لما يشربه الواغل الوغل قال الشاعر .

ان اكن مسكرا فلا اشرب الوغل ولا يسلم مني البعير

وقوله صلى الله عليه واله ان اصفر البيوت لجوف اصفر من كتاب الله معناه

أخلى البيوت والصفر عند العرب الخالي من الآنية وغيرها ه ويمكن
في قوله مأدبة وجه آخر وهو أن يكون وجه التشبيه للقرآن
بالمأدبة وتسميته بها من حيث دعا الخلق إليه وأمرهم بالاجتماع
عليه فسماه عليه السلام مأدبة لهذا الوجه لأن المأدبة هي التي يدعى
الناس إليها ويجتمعون عليها وهذا الوجه يخالف الأول
لأن الأول تضمن أن وجه التشبيه من حيث النفع العائد على
الحافظ للقرآن كما ينتفع المدعو إلى المأدبة بما يصيبه
من الطعام وهذا الوجه الآخر تضمن أن التشبيه وقع
لاجتماع الناس في الدعاء إليه والإرشاد إلى إصابته وليس
يبعد أن يريد عليه السلام بالخبر المعنيين معًا ولا تنافي بينهما
أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد
قال أخبرنا أبو حاتم قال كنا في مجلس الأصمعي إذ أقبل أعرابي فقال
أين عميدكم فأشرنا إلى الأصمعي فقال ما معنى قول الشاعر ه

لا مال إلا العطاف تؤزره ... أم ثلاثين وابنة الجبل
لا يرتقي النز في ذلاذله ... ولا يعدي نعليه من بلل

فقال الأصمعي

عصرته نطفة تضمنها ... لصب تلقى مواقع السبل

أو وجبة

أو وجبة من جناة أشكلة ... إن لم يرغها بالقوس لم تنل

فقال فأدبر الأعرابي وهو يقول لم أر كاليوم عضلة ه قال ابن
دريد إنما وصف رجلا خائفًا في رأس جبل يقول لا مال له
إلا العطاف وهو السيف تؤزره أم ثلاثين يعني كنانة فيها
ثلاثون سهمًا وابنة الجبل يعني القوس لأنها تعمل من شجر الجبال
مثل النبع وغيره ه وقوله لا يرتقي النز في ذلاذله لأنه في رأس
جبل فلا نز هناك يتعلق بما يفضل من ثيابه ولا بلل يعدي نعليه
عنهما والعصرة الملجأ والنطفة الماء المجتمع في صخر أو غيره من بقية ماء
المطر ه واللصب الشق في الجبل أضيق من اللهب وأوسع من
الشعب والسبل المطر والوجبة أن يأكل كل يوم مرة والأشكل
السدر الجبلي واحده أشكلة يقول فهذه النطفة والوجبة
من الأشكلة عصرتاه ه وقوله إن لم يرغها بالقوس يعني أنها
لا تنال باليد حتى تحرك بالقوس ه قال سيدنا الشريف المرتضى رضي الله
عنه وإنما جعل الأصمعي إنشاده باقي الأبيات دلالة على معرفته
معناها لأنه يبعد أن يعرفها ولا يعرف معناها والأعرابي إنما
سأل عن المعنى فكان إنشاده لها تمام تفسيرها واستغنى الأعرابي
بذلك وعلم بإتمامه للأبيات معرفته بمعناها وكان الأصمعي يتبرأ إذا

انشد شيئا من الشعر ينشد في معناه في الحال فمن ذلك ان اسحق بن
ابرهيم الموصلي انشده يوما لنفسه

اذا كانت الاحرار اصلي ومنصبي ... وقام بنصري حازم وابن حازم
عطست بانف شامخ وتناولت ... يداي الثريا قاعدا غير قائم

قال فلما فرغت من انشادها انشد عقب ذلك

الا ايها السائل جاهلا ليعرفني ... انا انف الكرم
نمت في الكرام بني عامر ... فروعي واصلي قريش العجم

قال فجاء والله بالشعر الذي نحوته وعملت بيتي عليه واخبرنا
ابو عبد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن يحيى الصولي
قال حدثنا عون بن محمد قال حدثنا اسحق بن ابرهيم قال ما انشدت
الاصمعي شيئا الا انشدني مثله كانه اعده لي فانشدته يوما للاعشى

علقتها عرضا وعلقت رجلا غيري وعلق اخرى غيرها الرجل

فانشدني من وقته

فلتك اختي بني اد اذ رمت ... واصاب نبلك اذ رميت سواها
واعارها الحدثان منك مودة ... فاعار غيرك ودها وهواها

وذكر ابو العيناء قال كان الاصمعي اذا سمع انسانا ينشد
شعرا في معنى انشد في ذلك المعنى من غير ان يريه انه اراده

فانشد

فانشد رجل قول القطامي

والناس من يلق خيرا قائلون له ... ما يشتهي ولام المخطئ الهبل

فانشد هو قول قعنب الباهلي

فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ... ومن يغو لا يعدم على الغي لائما

وروى ميمون بن هرون قال سمعت اسحق بن ابرهيم يقول انشدني
الاصمعي قول الاعشى طلبا ان ينشدني مثله وكان مع بخله بالعلم لا يبخل
بمثل هذا

ان تركبوا فركوب الخيل عادتنا ... او تنزلون فانا معشر نزل

فانشدني لربيعة بن مقروم الضبي

ولقد شهدت الخيل يوم طرادها ... بسليم اوظفة القوائم هيكل
فدعوا نزال فكنت اول نازل ... وعلام اركبه اذا لم انزل

وروى اسحق بن ابرهيم ايضا انه قال دخلت يوما الى الاصمعي وعنده اخ
للعماني الراجز حافظ راوية فلما دخلت عبث به اخو العماني فقال
له من هذا فقال هو الباهلي الذي يقول

وما صحة بادية باهالة ... باطيب من فيها ولا اقط رطب

فقال له قبل ان يستتم كلامه هو على كل حال اصلح من قول
اخيك العماني

مارث جاريه جون ناعمه كانها عومة فى جوف راقود
قال اسحق فقلت له اكنت اعددت هذا الجواب قال لا ولكن ما مر
بى شى الا وانا اعرف منه طرفا

مجلس اخر

تاويل اية ان سال سايل عن قوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله
وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم فقال اى
معنى لقوله بافواههم ومعلوم ان القول لا يكون الا بالافواه

الجواب

قلنا هذا القول يحتمل معنيين فى لغة العرب احدهما القول باللسان
والاخر بالقلب فالقول الذى يضاف الى القلب هو الظن والاعتقاد
ولهذا المعنى ذهبت العرب بالقول مذهب الظن فقال اتقول عبد الله
خارجا ومتى تقول محمدا منطلقا يريدون بذلك تظن قال الشاعر

اما الرحيل فدون بعد غد فمتى تقول الدار تجمعنا

اراد فمتى تظن الدار وقال الاخر

اجهالا تقول بنى لوى لعمر ابيك ام متجاهلينا

اراد تظن بنى لوى وقال توبة بن الحمير

الا يا صفى النفس كيف تقولها لو ان طريدا خايفا بات يستجيرها
تخبر ان شطت بها غربة النوى ستنعم ليلى او يفك اسيرها

اراد كيف تظنها فلما كان القول يستعمل فى الامرين معا افاد قوله
تعالى بافواههم قصر المعنى على ما يكون باللسان دون القلب ولو اطلق
القول ولم ياتى بذكر الافواه لجاز ان يتوهم المعنى الاخر
ومما يشهد لذلك قوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك
لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون
فلم يكذبهم الله تعالى فى قول السنتهم لانهم لم يخبروا بافواههم الا بالحق
بل كذبهم بما يرجع الى قلوبهم من الاعتقادات ووجه اخر وهو
ان يكون الفايدة فى قوله تعالى بافواههم ان القول لا برهان
عليه وانه باطل كذب لا يرجع فيه الا الى مجرد القول باللسان
لان الانسان قد يقول بلسانه الحق والباطل وانما يكون قوله حقا
اذا كان راجعا الى الحجة فيكون اضافة القول الى اللسان يقتضى ما
ذكرناه من الفايدة وهذا كما يقول القايل لمن يشك فى قوله
او يكذبه هكذا تقول وليس الشان فيما تقوله وتتفوه به وتقلب به
لسانك فكانهم ارادوا ان يقولوا هذا قول لا برهان عليه
فاقاموا قولهم هكذا تقول بلسانك وانما يقولون كذا بافواههم

تمام ذلك والمعنى انه قول لا تعضده حجة ولا برهان ولا يرجع
فيه الا الى اللسان ٥ ووجه اخر وهو ان تكون الفايدة في
ذلك التاكيد فقد جرت به عادة العرب في كلامها وما تقدم
من الجهتين اولى لان حمل كلامه تعالى على الفايدة اولى من حمله
على ما تسقط معه الفايدة ٥

تاويل اية اخرى

ان سال سايل عن قوله تعالى الم ياتكم نبا الذين من قبلكم
قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاتهم
رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم فقال اي معنى لرد
الايدي في الافواه واي مدخل لذلك في التكذيب بالرسل عليهم ٥

الجواب

قلنا في ذلك وجوه اولها ان يكون اخبارا عن القوم بانهم ردوا
ايديهم في افواههم عاضين عليها غيظا وحنقا على الانبيا كما يفعل
المتوعد لغيره المبالغ في معاندته ومكايدته وهذه عادة معروفة
في المغيظ المحنق انه يعض على اصابعه ويفرك انامله ويضرب
باحدى يديه على الاخرى وما شاكل ذلك من الافعال ٥ وثانيها
ان يكون الها في الايدي للكفار المكذبين والها التي في الافواه
للرسل عليهم السلام فكانهم لما سمعوا وعظ الرسل ودعاهم

واندارهم

[illegible]

واندارهم اشاروا بايديهم الى افواه الرسل ما يعني لهم عن الكلام
كما يفعل المسكت منا لصاحبه الراد لقوله ٥ وثالثها ان تكون
الها في الايدي والتي في الافواه معا للرسل ٥ والمعنى انهم كانوا
ياخذون ايدي الرسل فيضعونها على افواههم ليسكتوهم
ويقطعوا كلامهم ٥ ورابعها ان تكون الها ان جميعا
ترجعان الى الكفار لا الى الرسل فيكون المعنى انهم اذا سمعوا وعظهم
وانذارهم وضعوا ايدي انفسهم على افواههم مشيرين لهم بذلك الى
الكف عن الكلام والامساك عنه كما يفعل من يريد منا
تسكيت غيره ومنعه عن الكلام من وضع اصبعه على في نفسه
وخامسها ان يكون المعنى فردوا القول بايدي انفسهم الى افواه
الرسل اي انهم كذبوهم ولم يصغوا الى اقوالهم فالها الاولى
للقوم والثانية للرسل والايدي انما ذكرت مثلا وتاكيدا
كما يقول القايل اهلك فلان نفسه بيده اي وقع الهلاك به من
جهته لا من جهة غيره ٥ وسادسها ان المراد بالايدي النعم
وفي محمولة على البا والها الثانية للقوم المكذبين والتي قبلها
للرسل والتقدير فردوا بافواههم نعم الرسل اي ردوا وعظهم وانذارهم
وتنبيههم على مصالحهم الذي لو قبلوه لكان نعما عليهم ٥ ويجوز ايضا ان

تكون الهاء التي في الايدي للقوم الكفار لانها نعم من الله تعالى
عليهم فيجوز اضافتها اليهم وحمل لفظة في على معنى الباء جائز لقيام
بعض الصفات مقام بعض يقولون رضيت عنك ورضيت عليك
وحكي في لغة طي ادخلك الله بالجنة يريدون في الجنة فيعبرون
بالباء عن معنى في كذلك ايضا يصح ان يعبروا بفي عن الباء
قال الشاعر

وارغب فيها عن لقيط ورهطه ولكنني عن سنبس لست ارغب

واراد وارغب بها فحمل في على الباء . وسابعها وهو جواب اختاره
ابو مسلم محمد بن بحر وزعم انه اولى من غيره قال المضمرون في قوله
ايديهم الرسل وكذلك المضمرون في افواههم . والمراد باليد هاهنا
ما نطق به الرسل من الحجج والبينات التي ذكرها الله تعالى انهم جاؤوا
بها قومهم . واليد في كلام العرب قد تقع على النعمة وعلى
السلطان ايضا وعلى الملك وعلى العهد والعقد ولكل ذلك
شاهد من كلامهم والذي اتى به الانبيا قومهم هو الحجة
والسلطان وهو النعمة وهو العهد وكل ذلك يقع عليه اسم اليد
ولما كان ما يعظ به الانبيا قومهم وينذرونهم به انما يخرج
من افواههم فردوه وكذبوه قيل انهم ردوا ايديهم في افواههم

اي انهم

اي انهم ردوا القول من حيث جاء قال ولا يجوز ان يكون الضمير
في ذلك للرسل اليهم كما قاله بعض المفسرين وذكر ان معناه انهم عضوا
عليهم اناملهم غيظا لان من رد يده الى فيه والعاض عليها لا يسمى رادا
يده الى فيه الا اذا كان يبتدئ في فيه يخرجها ثم يردها . قال
قدس الله روحه وليس ما استنكره ابو مسلم من رد الايدي
الى الافواه بمستنكر ولا بعيد لانه قد يقال رد يده الى
فيه والى وجهه وعادة فلان ان يقول كذا وترجع يفعل كذا
وان لم يتقدم ذلك الفعل ولو لم يسغ هذا القول تحقيقا
لساغ تجوزا واتساعا وليس ان يوخذ العرب بالتحقيق في كلامها
فان تجوزها واستعاراتها اكثر على انه يمكن ان يكون
المراد بذلك انهم فعلوا ذلك الفعل شيئا بعد شيء وتكرر
منهم فلهذا جاز ان يقول ردوا ايديهم في افواههم لانه بعد
تقدم منهم مثل هذا الفعل فلما تكرر جازت العبارة عنه
بالرد وهذا يبطل استضعافه للجواب اذا صرنا الى مراده .

تاويل خبر

روى ان سلما الخزاعي ثم المصطلقي قال شهدت رسول الله صلى الله عليه

واله وقد انشد منشد قول سويد بن عامر المصطلقي ❁

لا تامنن وان امسيت في حرم ان المنايا بكفي كل انسان

واسلك طريقك تمشي غير مختشع حتى تبين ما يمنى لك الماني

فكل ذي صاحب يوما تفارقه وكل زاد وان ابقيته فاني

والخير والشر مقرونان في قرن بكل ذلك ياتيك الجديدان

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ادرك هذا الاسلم فبكا

مسلم فقال له ابنه يا ابة ما يبكيك من مشرك مات في

الجاهلية فقال يا بني لا تفعل فما رايت مشركة تلقفت من

مشرك خيرا من سويد ❁ قوله ما يمنى لك الماني معناه

ما تقدر لك القادر قال العرب تمنى الله عليه الموت اي

قدر الله عليه الموت وقال يعقوب يمناك الله بما يسرك اي قدر

الله لك ما يسرك وانشد ❁

لعمر ابي عمرو لقد ساقه المنا الى جدث يوزى له بالاهاضب

فقال ابن الاعرابي ساقه المنا اي ساقه القدر وانشد ابن الاعرابي ❁

منت لك ان تلاقيني المنايا احاد احاد في الشهر الحلال

معناه قدرت لك ❁ وقال ابو عبيدة في قوله تعالى من نطفة

اذا تمنى معناه اذا تخلق وتقدر وقال بعض اهل اللغة وانما سمي منى لما

يمنى

يمنى فيه من ثواب الله تعالى اي يقدر فيه وقيل ايضا بما يمنى فيه من

الدم وقيل انما سمي بذلك لان ابرهيم عليه السلام لما انتهى اليه قال

له الملك تمن قال اتمنى الجنة فسمي منى لذلك ❁ ومنى يذكر

ويونث والتذكير اجود قال الشاعر في التذكير ❁

سقى منى ثم رواه وساكنه ومن ثوى فيه واهي الودق منبعق

وقال الاخر في التانيث ❁

ليوما بمنى اذ نحن ننزلها اسر من يومنا بالعرج او ملك

فاما قوله والخير والشر مقرونان في قرن فالقرن الحبل

واراد انهما مجموعان لا يفترقان من حيث لا يكاد

الانسان في الدنيا خيرا صرفا لا شر فيه ولهذا قال انهما

مقرونان مجموعان معا لتقارب ما بينهما ❁ فاما الجديدان

فهما الليل والنهار ويقال لهما ايضا الاجدان والملوان والعصران والردفان

والعصران وقال الشاعر ❁

ان الجديدين في طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس

وقال الاخر ❁

وامطله العصرين حتى يملني ويرضى بنصف الدين والانف راغم

وقال ابو عبيدة ويقال لليل والنهار ابنا سبات وانشد لابن الاعرابي

ومنهم ابو الفتح محمد بن [illegible] الطائي [illegible] منسوب الى [illegible]
وهو عبد الله بن [illegible]

وكنا وهم كابني سبات تفرقا سوى ثم كانا منجدا وتهاميا

ويقال للغداة والعشي القرنان والبردان والصرعان ٥ اخبرنا
ابو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال اخبرنا ابو عبد الله
محمد بن احمد الحكيمي قال املى علينا ابو العباس احمد بن يحيى
النحوي قال انشدنا ابن الاعرابي لرقيع الوالبي ٥

لذرتك ما وعدتك اشر صلاح وعسى يكون لما وعدت نجاح
بز من السقم الطويل ضمانة لا تستوي سقم بكم وصحاح
اصلاح انك قد رميت نوافذا وجوايفا لبستهن جراح
ولقد رايتك بالقوادم مرة وعلي من سدف العشي رياح

يعني برياح ها هنا اي على وقت من العشي ومثله رواح وفوم
يرونه بالكسر والنصب ٢

ما كان ابصرني بغرات الصبى فاليوم قد شغلت الي الاشباح
ومشى بجنب الشخص شخص مثله والارض نابية الشخوص براح
خلق الحوادث لمتي فتركن لي راسا يصل كانه جماح
وذكا باصداغي وفوق ذوائبي لمع المشيب كانه مصباح

قال الجماح من امثلة وجماح سهم او قصبة يجعل عليه
طين ثم يرمى به الطير ٥ وبهذا الاسناد لبعضهم ٥

ارى الناس

ارى الناس للصعلوك حربا ولا ارى لذي نشب الا خليلا مصافيا
ارى المال يغشى ذا الوصوم فلا يرى ويدعى من الاشراف من كان غانيا

الصعلوك الفقير وهو ايضا القرضوب والسبروت والوصوم
العيوب ٢ وبهذا الاسناد ايضا لعقيل بن علفة

اني ليحمدني الصديق اذا اجتدى مالي ويكرهني ذوو الاضغان
وابيت يحلني الهموم كانني دلو السقاة تمد بالاشطان
واعيش بالبلل القليل وقد ارى ان الرموس مصارع الفتيان

واخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثني علي بن ابي منصور قال
اخبرني محمد بن موسى عن دعبل بن علي قال قال علفة وذكر
الابيات الثلثة وزاد فيها ٥

ولقد علمت لئن هلكت لتبذلن قومي اذا علن النعي مكاني

قال السيد رضي الله عنه وكان عقيل بن علفة مع قوة شعره جيد
الكلام جلم الالفاظ ٥ وروى المدايني قال قال عبد الملك
ابن مروان لعقيل بن علفة المري ما احسن اتوا الكم فقال ما نال احدنا
عن صاحبه تفضلا قال ثم ايها قال سوا ربنا قال فايها اشرف
قال ما استفدناه بوقعة خولت نعما وافادت عزا قال فما مبلغ عزكم
قال ما لم يطمع فينا ولم نؤمن قال فما مبلغ جودكم قال ما عقدنا

يومًا وانتسابه ذكرا قال فما مبلغ حفاظكم قال يدفع كل رجل منا
عن المستجير به كدفاعه عن نفسه قال عبد الملك هكذا فليصف
الرجل قومه ٥ وروى انه قيل لعقيل بن علفة قد عنست بناتك
فما تخشى عليهن الفساد قال كلا اني خلفت عندهن الحافظين
قيل وما هما قال الجوع والعري اجيعهن فلا يأشرن واعريهن فلا يظهرن ٥
وقال عبد الملك يوما ما لك تهجوا قومك قال لانهم اشباه
الغنم اذا صيح بها رتعت واذا سكت عنها رتعت قال انما تقول البيت
والبيتين قال حسبي من القلادة ما احاط بالعنق ٥ فاما معنى علفة
اسم ابيه قال ابن الاعرابي ٥ العلفة مثل الباقلاء الرطبة تكون تحت
الزهر من الطلح وغيره ٥ قال ابو سعيد السكري العلفة
ضرب من اوعية بزر بعض النبات مثل قشر الباقلي واللوبيا وهو
الغلاف الذي يجمع عدة حب وقيل ان عقيلا كان يكنى بابي الوليد
وكان رجلا غيورا شديد الغيرة ٥ وروى ابو عمرو بن
العلاء انه حمل يوما ابنة له وانشا يقول ٥

اني وان سيق الي المهر — الف وعبدان وذود عشر
احب اصهاري الي القبر

وذكر الاصمعي ان عقيلا كان لغيرته اذا راى الرجل يتحدث الى النساء

اخذه

اخذه ودهن استه ومغابنه بزبد وربطه وطرحه في قرية النمل فلا
يعود الى محادثتهن ٥ وروى الاصمعي قال كان عقيل بن علفة في بعض سفره
ومعه ابنته العملس وابنته الجرباء فانشا يقول ٥

قضت وطرا من دير سعد وربما — على عجل ناطحته بالجماجم

ثم اقبل على ابنه فقال اجز يا عملس فقال ٥

واصبحن بالموماة يحملن فتية — نشاوى من الادلاج ميل العمائم

ثم اقبل على ابنته فقال اجيزي يا جرباء فقالت ٥

كان الكرى سقاهم صرخدية — عقارا تمشت في المطا والقوائم

قال فاقبل على ابنته يضربها ويقول والله ما وصفتها بهذه الصفة
حتى شربتها فوثب عليه اخوها فقاتلوه دونها ثم رماه احدهم
بسهم فانتظم فخذيه فقال عقيل

ان بني زملوني بالدم — من يلق ابطال الرجال يكلم
ومن يكن ذا اود يقوم — شنشنة اعرفها من اخزم

الشنشنة الطبيعة والسجية وقيل النسبة وهذا مثل اجلبه عقيل
وقد قيل قبله ولعقيل ٥

وللدهر اثواب فكن في ثيابه — كلبسته يوما اجد واخلقا
وكن اكيس الكيسى اذا كنت فيهم — وان كنت في الحمقى فكن انت احمقا

[illegible]

مجلس آخر

تأويل آية ۞ إن سأل سائل عن قوله تعالى وإلى الله ترجع الأمور فقال
كيف يصح القول بأنها ترجع إليه وهي لم تخرج عن يده ۞

الجواب

قلنا قد ذكر في ذلك وجوه أحدها أن الناس في دار المحنة
والتكليف قد يغتر بعضهم ببعض فيعتقدون فيهم أنهم يملكون جر
المنافع إليهم وصرف المضار عنهم وقد يدخل عليهم الشبهة لتقصيرهم
في النظر وعدولهم عن وجهه وطريقه فيعبد قوم الأصنام
وغيرها من المعبودات الجامدة الهامدة التي لا تسمع ولا تبصر
ويعبد آخرون البشر ويجعلونهم شركاء الله تعالى في استحقاق
العبادة وتضيف كل هؤلاء أفعال الله عز وجل فيهم إلى غيره فإذا
جاءت الآخرة وانكشف الغطاء واضطروا إلى المعارف زال ما كانوا
عليه في الدنيا من الضلال واعتقاد الباطل وأيقن كل أنه
لا خالق ولا رازق ولا ضار ولا نافع غير الله تعالى فردوا إليه
أمورهم وانقطعت آمالهم من غيره وعلموا أن الذي كانوا عليه
من عبادة غيره وتأميله للضر والنفع غرور وزور فقال
تعالى وإلى الله ترجع الأمور لهذا المعنى ۞ والوجه الثاني

أن يكون

أن يكون معنى الآية أن الأمور كلها لله تعالى وفي يده وقبضته
من غير خروج ورجوع حقيقي وقد تقول العرب قد رجع علي من فلان
مكروه بمعنى صار إلي منه ولم يكن سبق منه مكروه إلي
قبل هذا الوقت ولذلك يقولون قد عاد علي من زيد كذا وكذا
وإن وقع منه على سبيل الابتداء قال الشاعر ۞

وإن تكن الأيام أحسن مرة إلي فقد عادت لهن ذنوب

أي صارت لهن ذنوب لم تكن من قبل بل كان قبلها إحسان
فحمل الآية على هذا المعنى سائغ جائز تشهد له اللغة ۞ والوجه
الثالث أنا قد علمنا أن الله تعالى قد ملك العباد في دار التكليف أمورا
تنقطع بانقطاع التكليف وإفضاء الأمر إلى الدار الآخرة
مثل ما ملكه الموالي من العبيد وما ملكه الحكام من
الحكم وغير ذلك فيجوز أن يريد تعالى برجوع الأمور
إليه أنها ما ذكرناه من الأمور التي يملكها غيره تمليكه
إلا أن يكون هو وحده مالكها ومدبرها ۞ ويمكن في الآية
وجه آخر وهو أن يكون المراد بها أن الأمور تنتهي إلى أن لا يكون
موجود فاعل غيره ويفضي الأمر في الانتهاء إلى ما كان عليه
في الابتداء لأن قبل إنشاء الخلق هكذا كانت الصورة وبعد

فناء

ابنائهم هكذا نصيب وتكون الكناية برجوع الامور اليه على هذا...
المعنى ويكون رجوع حقيقي لانه عاد الى ما كان عليه متفردا بما
ويحتمل ان يكون المراد بذلك ان الى قدرته تعود المقدورات
لان ما افناه من مقدوراته الباقية كالجواهر والاعراض
الباقية ترجع الى قدرته ويصح منه تعالى ايجادها لعودها الى ما كان
عليه وان كان ذلك لا يصح في مقدور رابع البشر وان كانت
باقية لما دل عليه الدليل من اختصاص مقدور القدر باستحالة
العود لها من حيث لم يجز فيها التقديم والتاخير وهذا ايضا
حكم هو تعالى المنفرد دون سائر القادرين ه والله
اعلم بما اراد ه

تاويل اية اخرى

ان سال سائل عن قوله تعالى وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها
ولكن البر من اتقى واتوا البيوت من ابوابها ه فقال
اي معنى لذكر البيوت وظهورها وابوابها وهل المراد بذلك البيوت
المسكونة على الحقيقة او كنى بهذه اللفظة عن غيرها
فان كان الاول فما الفائدة في اتيانها من ابوابها دون ظهورها
وان كانت كناية فبينوا وجهها ومعناها ه

الجواب قيل له

الجواب

قيل له في هذه الآية وجوه اولها ما ذكره من ان الرجل من العرب
كان اذا قصد حاجة فلم تقض له ولم ينجح فيها رجع فدخل من مؤخر
البيت ولم يدخل من بابه تطيرا فاعلمهم الله تعالى ان هذا من فعلهم لا بر
فيه وامرهم من التقى بما ينفعهم ويقربهم اليه وقد نهى رسول الله
صلى الله عليه واله عن التطير وقال لا عدوى ولا طيرة ولا
هامة ولا صفر اي لا يعدي شيء شيئا وقال عليه السلام لا يوردن
ذو عاهة على مصح ومعنى هذا الكلام ان من لحقت ابله آفة
او مرض فلا ينبغي ان يوردها على ابل غيره صحاح لانه متى لحق
الصحاح مثل هذه الآفة اتفاقا فلا لاجل العدوى لم يؤمن من
صاحب الصحاح ان يقول انما لحقت ابلي هذه الآفة من تلك الابل
ويبني لعدت ابلي فنهى النبي صلى الله عليه واله عن هذا لزوال المأثم بين
الفريقين والظن القبيح ه وثانيها ان العرب الا قريشا
ومن ولدته قريش كانوا اذا احرموا في غير الاشهر الحرم لم يدخلوا
بيوتهم من ابوابها ودخلوها من ظهورها اذا كانوا من اهل
الوبر واذا كانوا من اهل المدر نقبوا في بيوتهم ما يدخلون
ويخرجون منه ولم يدخلوا ولم يخرجوا من ابواب البيوت فنهاهم

الله تعالى عن ذلك وأعلم أنه لا معنى له وأنه ليس من البر وأن البر
غيره ۞ وثالثها هو جواب أبي عبيدة معمر بن المثنى أن المعنى ليس
البر بأن تطلبوا الخير من غير أهله وتلتمسوه من غير بابه وأتوا
البيوت من أبوابها معناه واطلبوا الخير من وجهه ومن عند
أهله ۞ ورابعها وهو جواب أبي علي الجبائي أن يكون القائل
في هذا الكلام ضرب هذا المثل وأراد ليس البر أن يأتي الرجل
الشيء من خلاف جهته فيخرج الفعل عن حد الصواب والبر
إلى الإثم والخطأ ويبين أن البر التقوى وأمر بأن تأتي الأمور من
وجوهها وأن تفعل على الوجوه التي لها وجبت وحسنت وجعل
تعالى ذكر البيوت وظهورها وأبوابها مثلا لأن العادل
في الأمر عن وجهه كالعادل في البيت عن بابه ۞ وخامسها أن تكون
البيوت كناية عن النساء ويكون المعنى وأتوا النساء من حيث أمركم
الله والعرب تسمي المرأة بيتا قال الشاعر ۞

ما لي إذا أنزعها صأيت   أكبر غيرني أم بيت

أراد بالبيت المرأة ۞ ومما يمكن أن يكون شاهدا للجواب
الذي حكيناه عن أبي علي الجبائي والجواب عن أبي عبيدة أيضا
ما أخبرنا به أبو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال أخبرنا

أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيمي قال أملى علينا أبو العباس أحمد بن يحيى النحوي
قال أنشدنا ابن الأعرابي ۞

إني عجبت لأم العمر إذ هزئت   من شيب رأسي وما بالشيب من عار

ويروى لأم الغمر بالغين المعجمة ۞

ما شقوة المرء بالإقتار يقتره   ولا سعادته يوما بإكثار
إن الشقي الذي في النار منزله   والفوز فوز الذي ينجو من النار
أعوذ بالله من أمر يزين لي   شتم العشيرة أو يدني من العار
وخير دنيا ينسي أمر آخرة   وسوف يبدي لي الجبار أسراري
لا أدخل البيت أحبو من مؤخره   ولا أكسر في ابن العم أظفاري

فقوله لا أدخل البيت أحبو من مؤخره يحتمل أن يريد به أنني لا
آتي الأمور من غير وجوهها على أحد الأجوبة في الآية ويحتمل
أيضا أنني لا أطلب الخير إلا من أهله على جواب أبي عبيدة ۞ ووجه
آخر وهو أن يريد أنني لا أقصد البيت للريبة والفساد لأن
شأن من يسعى إلى فساد الحرم ويقصد البيوت للريبة أن
يعدل عن أبوابها طلبا لإخفاء أمره فكأنه ينفي عن نفسه بهذا القول
القبيح ويتنزه عنه كما تنزه بقوله ولا أكسر في ابن العم أظفاري
عن مثله ۞ وأراد أنه لا يرى ابن العم مني السوء ولا يناله من جهتي

ما أكون كأنني قد جرحته بأظفاري وكسرتها في جسمه ٭ وهذه
كنايات لطيفة مشهورة للعرب وتجري مجرى هذه الأبيات
وتقاربها في المعنى وحسن الكناية قول هلال بن خثعم ٭

وإني لعف عن زيارة جارتي وإني لمشنوء إلي اغتيابها
إذا غاب عنها بعلها لم أكن لها زؤورا ولم تنبح علي كلابها
وما أنا بالداري أحاديث بيتها ولا عالم من أي حوك ثيابها
وإن قراب البطن يكفيك ملؤه ويكفيك سوآت الأمور اجتنابها

وقد جمعت هذه الأبيات فقرا عجيبة وكنايات بليغة
لأنه نفى عن نفسه زيارة جارته عند غيبة بعلها وخص حال
الغيبة لأنها أدنى إلى الريبة وأخص بالتهمة وقال ولم تنبح
علي كلابها أراد أني لا أطرقها ليلا متخفيا متنكرا
فتنكرني كلابها فتنبحني وهذه الكناية تجري
مجرى قول الشاعر المتقدم ٭ لا أدخل البيت أحبو من مؤخره
وقد روي ٭ ولم تأنس إلي كلابها وهذا معنى آخر كأنه
أراد لست بكثير الطروق لها والغشيان لمنزلها فتأنس
بي كلابها لأن الأنس لا يكون إلا مع المواصلة
والمواترة وقوله ٭ وما أنا بالداري أحاديث بيتها يحتمل

ان يريد

أن يريد به التأكيد لنفي زيارتها وطروقها عن نفسه لأنه إذا أدمن
الزيارة عرف أحاديث بيتها وإذا لم يزرها فصارته لها لم يعرف
ويحتمل أن يريد أنني لا أسأل عن أحوالها وأحاديثها كما
يفعل أهل الفضول فنفى ذلك عن نفسه ٭ وقوله ولا عالم من
أي حوك ثيابها كناية مليحة عن أنه لا يجتمع معها
ولا يقرب منها فيعرف صفة ثيابها ٭ وبالإسناد المتقدم
لحارثة بن بدر الغداني من بني غدانة ٭

إذا الهم أمسى وهو داء فأمضه ولست بممضيه وأنت تعادله
ولا تنزلن أمر الشديدة بامرئ إذا هم أمرا عوقته عواذله
فما كل ما حاولته المرء دونه ولا دونه إن صان وجها بلله
وما الفتك ما أمرت فيه ولا الذي تحدث من لاقيت أنك فاعله
وما الفتك إلا لامرئ ذي حفيظة إذا صال لم ترعد إليه خصائله
ولا تجعلن سرا إلى غير أهله فتقعد إن أفشى عليك تجادله
ولا تسأل المال البخيل ترى له غنى بعد ضر أو رثته أوابله
أتى المال آبا الطلال فتارة يئوب وأخرى يخبل المال خابله

معنى أمرت فيه أي شاورت والخصائل كل لحم مجتمع وقد
روينا في هذه الأبيات زيادة على القدر الذي ذكرناه ٭ أخبرنا

ابو عبد الله محمد بن عمران المرزباني قال حدثني المفضل بن محمد
عن ابي المنهال المهلبي قال من الابيات السائرة قول حارثة بن بدر
الغداني

لعمرك ما ابقى لي الدهر من اخ حفي ولا من ذي خلة لي اواصله
ولا من خليل ليس فيه غوائل وشر الاخلاء الكثير غوائله
وقل للفؤاد ان نزا بك نزوة من الروع افرخ اكثر الروع باطله

معنى افرخ اي اسكن يقال افرخ روعه اذا سكن

وما كل ما حاولته الموت دونه

وذكر البيتين اللذين بعده وزاد

ولكن انت ترعى سر نفسك واعلمن بان اقل الناس للناس حامله
اذا ما قتلت الشيء علما فقل به ولا تقل الشيء الذي انت جاهله

ومما يستحسن لحارثة بن بدر قوله

لنا نبعة كانت تقينا فروعها وقد بلغت الا قليلا عروقها
وانا لتستحلي المنايا نفوسنا ونترك اخرى مرة لا نذوقها
وشيبني قبل حين مشيبه رعود المنايا بيننا وبروقها

قوله لنا نبعة كانت تقينا فروعها مثل ضربه وانما
اراد عشيرته واهل بيته وقد روى هذه الابيات على بن

سليمان

سليمان الاخفش عن ابي العباس ثعلب وزاد فيها

رأيت المنايا بادئات وعودا الى دارنا سهلا الينا طريقها
وقد قسمت نفسي فريقين منهما فريق مع الموتى وعندي فريقها
وبينا ترجي النفس ما هو نازح من الامر لاقت دونه ما يعوقها

وروى ابو العيناء قال انشد الشعبي عبد الله بن جعفر الابيات الثلثة
الاول فقال عبد الله لمن هذا يا شعبي فقال لحارثة بن بدر فقال
نحن احق بهذا ثم امر للشعبي باربعمائة دينار ومما يستحسن
قول حارثة

ولقد وليت امارة فرجعت منها في المال سالمة ولم اتمول
ولقد منعت النصح من يقبل ولقد رددت النصح من لم يقبل
فباي لمة لامرئ لم التمس وباي حبلة حابل لم احتبل
يا طالب الحاجات يرجو نجحها ليس النجاح مع الاخف الاعجل
فاصدق اذا حدثت تكتب صادقا واذا حلفت مماريا فتحلل

معنى تكتب صادقا اي تكون عند الله صادقا وقوله فتحلل
اي استثن

واذا رأيت الباهشين الى العلى غبرا اكفهم بقرب فاعجل

معنى الباهشين الماذين ايديهم الى الشيء المتشبثين له

واحذر مكان السوء لا تنزل به ... وإذا نبا بك منزل فتحول
وإذا ابن عمك لج بعض لجاجة ... فانظر به عدة ولا تستعجل
وإذا افتقرت فلا تكن متخشعا ... ترجو الفواضل عند غير المفضل
استغن ما أغناك ربك بالغنى ... وإذا تكون خصاصة فتحمل

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن أبي الأزهر
قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال كان حارثة بن بدر الغداني
رجل تميم في وقته وكان قد غلب على زياد وكان الشراب قد غلب
عليه فقيل لزياد إن هذا قد غلب عليك وهو مستهتر بالشراب
فقال زياد كيف باطراح رجل هو يسايرني منذ دخلت العراق
ولم يصككني ركابي ركابه ولا تقدمني فنظرت إلى قفاه ولا تأخر
عني فلويت عنقي إليه ولا أخذ علي الشمس في شتاء قط ولا سألته
عن علم إلا ظننته لا يحسن غيره ۵ فلما مات زياد جفاه
ابنه عبيد الله فقال له حارثة أيها الأمير ما هذا الجفاء مع معرفتك
بالحال عند أبي المغيرة فقال له عبيد الله إن أبا المغيرة قد كان برع
بروعا لا يلحقه معه عيب وأنا حدث وإنما أنسب إلى من يغلب
علي وأنت رجل تديم الشراب فمتى قربتك فظهرت منك رائحة
الشراب لم آمن أن يظن بي فدع الشراب وكن أول داخل علي وآخر

خارج

خارج فقال له حارثة أنا لا أدعه لمن يملك ضري ونفعي أفأدعه
للحال عندك قال فاختر من عملي ما شئت قال تولّيني رام هرمز
فإنها أرض عذاة وسرق فإن بها شرابا وصف لي فولاه إياها
فلما شيعه الناس قال أنس بن أبي أنيس وقيل ابن أبي أناس الدؤلي

أحار بن بدر قد وليت ولاية ... فكن جرذا فيها تخون وتسرق
ولا تحقرن يا حار شيئا وجدته ... فحظك من ملك العراقين سرق
وباه تميما بالغنى إن للغنى ... لسانا به المرء الهيوبة ينطق
فإن جميع الناس إما مكذب ... يقول بما يهوى وإما مصدق
يقولون أقوالا ولا يعلمونها ... فإن قيل هاتوا حققوا لم يحققوا

وهذه الأبيات تروى لأبي الأسود الدؤلي وأنه كتب بها إلى حارثة
لما ولي سرق ويزاد فيها ۵

ولكن حار ما في اليوم الذي به ... يجيء غد يوم على الناس مطبق
ولا تعجزن فالعجز أوطأ مركب ... وما كل من يدعى إلى الخير يرزق
إذا ما دعاك القوم عدوك آكلا ... فكل حار أو جع لست ممن تحمق

ويقال إن حارثة بن بدر أجاب عن هذه الأبيات بقوله

جزاك إله الناس خير جزائه ... فقد قلت معروفا وأوصيت كافيا
أمرت بأمر لو أمرت بغيره ... لألفيتني فيه لأمرك عاصيا

وقال ان حارثة بن بدر والاحنف بن قيس دخلا على ابن زياد
فقال لحارثة اي الطعام اطيب وكان نهما فقال برة طا سارية
وافطة غنوية وسمنة عنبرية وسكرة سوسية ونطفة
مترقابية ٥ فقال للاحنف يا بحر اي الشراب اطيب
قال الخمر قال وما يدريك ولست من اهلها قال رايت
فيها خصلتين عرفت انها اطيب الشراب بهما قال وما هما
قال رايت من احلت له لا يتعداها الى غيرها ومن حرمت
عليه يتناولها فعرفت انها اطيب الشراب ٥ ولحارثة
ابن بدر يخاطب عبيد الله بن زياد لما تغير عليه بعد
اختصاصه كان بابنه ٥

اهان واقصى ثم تنتصحونني واي امرء يعطي نصيحته قسرا
رايت اكف المصلتين عليكم ملاء وكفي من عطايكم صفرا
واني مع الساعي اليكم بسيفه اذا احدثت الاعدا في عظمكم كسرا
متى تسلوني ما علي وتمنعوا الذي لي لم استطع على ذلكم صبرا

وله يعاتبه ٥

وكم من امير قد تجبر بعد ما مريت له الدنيا بسقي فدرت
اذا زبنته عن فواق اتيته دعاني ولا ادعى اذا ما افرت

اذا ما هي

اذا ما هي احلولت بحاجي مسي ويقسم لي منها اذا ما امرت

زبنته اي دفعته عن ان يحلبها والفواق اجتماع اللبن في الضرع
بين الحلبتين ومعنى افرت تركته يحلبها ٥ ويشبه ابيات حارثة
هذه قول عبد الله بن الزبير الاسدي يعاتب معوية واهل بيته من
جملة قصيدة ٥

عطاؤكم للضاربين ثيابكم ويدعى اذا ما كان حز الكراكر
انحن اخوكم في المضيق وسهمنا اذا ما قسمتم في الحظاء الاصاغر
وتدنيكم الادني اذا ما سالتم وتلقي شذي حين تسال باسر
وان كان فينا الذنب في الناس مثله اخذنا به من قبل باه وامر

معناه من قبل باه وامر اي من قبل ان نهي عنه او نومر به ٥

وان جاءكم منا غريب بارضكم لويتم له يوما جنوب المناخر
فهل يفعل الاعدا الا فعلكم هوان السراة وابتغا العواثر
وعيرني تعني عنكم ما فعلتم ودكر هوان منكم متظاهر
جفاوكم من عالج الحرب عنكم واعد اوكم من بين جاب وعاشر
فلا تسلوني عن هواي وودكم وقلبي في فؤاد قد توجد ما فر

توجه

ولحارثة بن بدر يعاتب زيادا ٥

الهي عليك للخليفة من خايف سعي جوانك عن ابن محبر

أمّا القبور فإنهنّ أوانس بجوار قبرك والديار قبور
عمّت فواضله فعمّ مصابه فالناس فيه كلّهم مأجور
ردّت صنائعه إليه حياته فكأنّه من نشرها منشور
وأظنّ أبا تمّام الطائي نظر إلى قول حارثة بن بدر ردّت صنائعه إليه
حياته في قوله
ألم يمت يا شقيق النفس من زمن فقال لم يمت من لم يمت كرمه
وأخبرنا علي بن محمد الكاتب قال أخبرنا ابن دريد قال أخبرنا
عبد الرحمن يعني ابن أخي الأصمعي عن عمّه قال مرّ حارثة بن بدر الغداني
ومعه لعب مولاه فجعل لا يمرّ بمجلس من مجالس تميم إلّا قالوا مرحبا
بسيّدنا فقال لعب ما سمعت كلاما قطّ أقرّ لعيني وألذّ لسمعي
ممّا سمعته اليوم فقال حارثة ولكنّي ما سمعت كلاما قطّ هو أكره
إليّ منه ثمّ قال
ذهب الرجال فسدت غير مسوّد ومن الشقاء تفرّدي بالسؤدد
وهذا البيت يقال إنّه لحارثة لا أنّه تمثّل به. وأخبرنا
أبو عبيد الله المرزباني قال حدّثني عبد الرحمن بن جعفر
قال حدّثنا محمد بن يزيد قال قال الكناني مرّ حارثة بن بدر
بالأحنف بن قيس فقال لولا أنّك مستعجل لشاورتك

فقال أجل

فقال أجل كانوا يكرهون أن يشاوروا الجائع حتّى يشبع
والظمآن حتّى ينقع والمضلّ حتّى يجد والغضبان حتّى يرضى والمحزون
حتّى يفيق

مجلس آخر

تأويل آية. إن سأل سائل عن قوله تعالى أولئك لهم نصيب ممّا
كسبوا والله سريع الحساب. فقال أيّ تمدّح في سرعة
الحساب وليس بظاهر وجه المدحة فيه.

الجواب

قلنا في ذلك وجوه أوّلها أن يكون المعنى سريع المجازاة
للعباد على أعمالهم وأنّ وقت الجزاء قريب وإن تأخّر. ويجري مجرى
قوله تعالى وما أمر الساعة إلّا كلمح البصر أو هو أقرب وإنّما
جاز أن يعبّر عن المجازاة والجزاء بالحساب لأنّ ما يجازى
به العبد هو كفؤ لفعله وبمقداره فهو حساب له إذا كان
مماثلا مكافئا وممّا يشهد بأنّ في الحساب معنى الكفاية والمكافأة
قوله تعالى جزاء من ربّك عطاء حسابا أي عطاء كافيا ويقال
أحسبني الطعام يحسبني إحسابا إذا كفاني قال الشاعر
وإذ لا ترى في الناس حسنا يفوقها وفي الناس حسن لو تأمّلت محسب

معناه كاف ٥ وثانيها ان يكون المراد انه يحاسب الخلق جميعا
في اوقات يسيرة ويقال ان مقدار حلب شاة لانه تعالى لا
تشغله محاسبة بعضهم عن محاسبة غيره بل يكلمهم جميعا
ويحاسبهم كلهم على اعمالهم في وقت واحد وهذا احد ما يدل
على انه تعالى ليس بجسم وانه لا يحتاج في فعل الكلام الى
آلة لانه لو كان بهذه الصفات تعالى عنها لما جاز ان يخاطب
اثنين في وقت واحد بمخاطبتين مختلفتين ولكان خطاب
بعض الناس يشغله عن خطاب غيره ولكانت مدة محاسبته
للخلق على اعمالهم طويلة غير قصيرة كما ان جميع ذلك واجب
في المحدثين الذين يفتقرون في الكلام الى الآلات ٥
وثالثها ما ذكره بعضهم ان المراد بالآية انه سريع
العلم بكل محسوب وانه لما كانت عادة بني الدنيا ان يستعملوا
الحساب والاحصا في اكثر امورهم اعلمهم الله تعالى انه
يعلم ما يحسبون بغير حساب وانما سمى العلم حسابا لان
الحساب انما يراد به العلم وهذا جواب ضعيف لان العلم
بالحساب او المحسوب لا يسمى حسابا ولو سمي بذلك لما جاز
ايضا ان يقال انه سريع العلم بكذا لان علمه بالاشياء

مما لا يجد

مما لا يتجدد ولا يوصف بالسرعة ٥ ورابعها ان الله تعالى سريع
القبول لدعاء عباده والاجابة لهم وذلك انه يسال في وقت
واحد سؤالات مختلفة من امور الدنيا والآخرة فيجزي كل عبد
بمقدار استحقاقه ومصلحته فيوصل اليه عند دعائه وما
ما يستوجبه بحد ومقدار فلو كان الامر على ما يتعاطاه
الناس لطال العدد واتصل الحساب فاعلمنا تعالى انه سريع
الحساب اي سريع القبول للدعاء بغير احتباس فيه وبحث
عن المقدار الذي يستحقه الداعي كما يحتبس المخلوقون
للحساب والاحصاء وهذا الجواب ايضا مبني على دعوى لان
قبول الدعاء لا يسمى حسابا في لغة ولا عرف ولا شرع وقد كان
يجب على من اجاب بهذا الجواب ان يستشهد على ذلك بما يكون
حجة فيه والا فلا طائل فيما ذكره ٥ ويمكن في الآية
وجه آخر وهو ان يكون المراد بالحساب محاسبة الخلق على
اعمالهم يوم القيامة ومواقفتهم عليها ويكون الفائدة في الاخبار بسرعته
الاخبار عن قرب الساعة كما قال تعالى سريع العقاب وليس لاحد
ان يقول هذا هو الجواب الاول الذي حكيتموه وذلك ان بينهما
فرقا لان الاول مبني على ان الحساب في الآية هو الجزاء والمكافاة على

لنه

الأعمال وفي هذا الجواب لم يخرج الحساب عن بابه وعن معنى المحاسبة
والمقابلة بالأعمال وترجيحها وذلك غير الجزاء الذي يقتضي الحساب
اليه وقد طعن بعضهم في الجواب الثاني معترضا على ابي علي الجبائي
في اعتماده اياه فقال يخرج الكلام في الآية على وجه الوعيد وليس في
خفة الحساب وسرعة زمانه ما يقتضي زجرا ولا تنويها بما يتوعد
بمثله فيجب ان يكون المراد الاخبار عن قرب امر الآخرة
والمجازاة على الأعمال وهذا الجواب ليس ابو علي هو المبتدئ به
بل قد حكي عن الحسن البصري واعتمده ايضا قطرب بن المستنير النحوي
وذكره المفضل بن سلمة وليس الطعن الذي حكيناه عن هذا
الطاعن بمبطل له لانه اعتمد على ان مخرج الآية مخرج الوعيد
وليس كذلك لانه تعالى قال فمن الناس من يقول ربنا آتنا في
الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا
حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار اولئك لهم نصيب
مما كسبوا والله سريع الحساب والاشبه بالظاهر ان يكون
الكلام وعدا بالثواب وراجعا الى الذين يقولون ربنا آتنا في الدنيا
حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار او يكون راجعا
الى الجميع فيكون المعنى ان للجميع نصيبا مما كسبوا فلا يكون وعيدا

خالصا

خالصا بل اما ان يكون وعدا خالصا على ما ذكر الطاعن لكان لقوله
تعالى والله سريع الحساب على تأويل من اراد قصر الزمان وسرعة
الموافقة وجه وتعلق بالوعد والوعيد لان الكلام على كل حال
متضمن لوقوع المحاسبة على اعمال العباد والاحاطة بخيرها
وشرها وان وصف الحساب مع ذلك بالسرعة وفي هذا ترغيب وترهيب
لا محالة لان من علم انه يحاسب باعماله ويواقف على جميلها وقبيحها انزجر
عن القبيح ورغب في فعل الواجب فبهذا ينصر الجواب وان كنا لا ندفع
ان يحمل الحساب على قرب المجازاة او قرب المحاسبة على الاعمال
ترغيبا في الطاعات وزجرا عن المقبحات وذلك اشبه بالظاهر
ونسق الآية الا ان التأويل الآخر غير مدفوع ايضا ولا مردود

تأويل آية أخرى

ان سأل سائل عن قوله تعالى والله يرزق من يشاء بغير حساب وقد
يكون المعطي بحساب اجزل عطية من المعطي بغير حساب

الجواب

قلنا في هذه الآية وجوه اولها ان يكون الفائدة انه تعالى يرزق من
يشاء بغير تقدير من المرزوق ولا احتساب منه فالحساب

ههنا راجع إلى المرزوق لا إلى الله تعالى كما يقول القائل ما كان كذا
وكذا في حسابي أي ظني أو أملي ولم أقدر أنه يكون وهذا وصف للرزق
بأحسن الأوصاف لأن الرزق إذا كان محتسبا كان أهنى له وأحلى
وقد روي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفسير هذه
الآية أنه قال عنى بها أموال بني قريظة والنضير وأنها تصيبكم
بغير حساب ولا قتال على أسهل الأمور وأقربها وأيسرها
وثانيها أنه تعالى يرزق من يشاء رزقا غير مضيق ولا مقتر
بل يزيد في السعة والكثرة على كل عطاء للمخلوقين فيكون
نفي الحساب عنه نفيا للتضييق ومبالغة في وصفه بالسعة والعرب
تسمي العطاء القليل محسوبا قال قيس بن الخطيم ٥

إني سربت وكنت غير سروب ۞ وتقرب الأحلام غير قريب
كان المنى بلقائها فلقيتها ۞ فلهوت من لهو امرئ مكذوب
ما تمنعي يقظى فقد تؤتينه ۞ في النوم غير مصرد محسوب

وثالثها أن يكون المعنى أنه يرزق من يشاء من غير طلب المكافأة
أو إرادة لغاية تعود إليه أو منفعة ترجع عليه لأن من شأن
أهل الدنيا أن يعطوا ليكافؤوا أو لينتفعوا ولهذا يقال فيمن
يقصد بالعطية إلى هذه الأمور فلان يحاسب الناس فيما يعطيهم ويناقشهم

فيما

فيما يوصله إليهم وما أشبه ذلك فلما انتفت هذه الأمور عن عطاياه سبحانه جاز
أن يقول إنه يرزق بغير حساب ٥ ورابعها ما أجاب به قطرب
قال معنى الآية يعطي العدد الكثير مما لا يضبطه الحساب أو يأتي عليه
العدد لأن مقدوره تعالى لا يتناهى وما في خزائنه لا ينحصر ولا يصح
عليه النفاد وليس كالمعطي منا الألف من الألفين والعشرة
من المائة لأن مقدار ما يتسع ويتمكن منه محدود متناه ولا
تناهي ولا انقطاع لما يقدر سبحانه عليه ٥ وخامسها أنه تعالى
يعطي عباده في الجنة من النعيم واللذات أكثر مما استحقوا
وأزيد مما وجب لهم لمحاسبته إياهم على طاعتهم كما قال تعالى من ذا
الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وكما قال تعالى
إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم وكما قال تعالى
ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله ٥ وسادسها أن يكون
المعطي منا غيره شيئا والرازق سواه رزقا قد يكون له ذلك
فيكون فعله قبيحا يؤاخذ به ويحاسب عليه فنفى الله تعالى عن
نفسه أن يفعل من الرزق القبيح ما ليس له أن يفعله بنفي الحساب
عنه وأيضا أنه لا يرزق ولا يعطي إلا على أفضل الوجوه وأحسنها
وأبعدها من الذم ويجري الآية مجرى قوله تعالى لا يسأل عما يفعل

ولم يسألون وإنما أراد أنه تعالى من حيث وقعت أفعاله كلها
حسنة غير قبيحة لم يجز أن يسأل عنها وإن يسأل العباد
عن أفعالهم لأنهم يفعلون الحسن والقبيح معاً ۵ وسابعها أن الله
تعالى إذا رزق العبد وأعطاه من فضله كان الحساب عن العبد
ساقطاً من جهة الناس فليس لأحد أن يقول لم رزقت
ولا يقول لربه لم رزقته ولا يسأله ربه عن الرزق وإنما يسأله
عن إنفاقه في الوجوه التي ينفقه فيها فسقط الحساب من هذه
الوجوه عما يرزقه الله تعالى فلذلك قال تعالى بغير حساب ۵ وثامنها
أن يكون المراد بمن يشاء أن يرزقه أهل الجنة لأنه يرزقهم لا يصح أن يتناول
جميعه الحساب ولا العدد والإحصاء من حيث لا نهاية له ولا انقطاع
للمستحق منه ويطابق هذه الآية قوله تعالى في موضع آخر فأولئك
يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ۵

تأويل خبر

إن سأل سائل عن الخبر الذي يروى عن زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وآله
أنه قال توضؤوا مما غيرت النار فقال ما المراد بالوضوء هاهنا ومذهبكم
أن مس ما غيرته النار لا يوجب وضوءاً ۵

الجواب أن معنى

الجواب

أن معنى توضؤوا أي نظفوا أيديكم من الزهومة لأنه روي أن جماعة من الأعراب
كانوا لا يغسلون أيديهم من الزهومة ويقولون إن فقدها أشد علينا
من ريحها فأمر عليه السلام بتنظيف الأيدي لذلك ۵ فإن قيل
كيف يصح أن تحملوا الخبر على اللفظ اللغوي مع انتقاله بالعرف
الشرعي إلى الأفعال المخصوصة بدلالة أن من غسل وجهه ويده لا
يقول بالإطلاق توضأت ومتى سلم لكم أن الوضوء أصله من النظافة
لم ينفعكم مع الانتقال الذي ذكرناه وكلامه عليه السلام
أخص بالعرف الشرعي وحمله عليه أولى من حمله على اللغة ۵ قلنا ليس
ينكر أن يكون إطلاق الوضوء هو المنتقل من اللغة إلى عرف
الشرع والمختص بالأفعال المعينة وكذلك المضاف منه إلى الحدث والصلاة
وما أشبههما ۵ فأما المضاف إلى الطعام وما جرى مجراه فباق على
أصله اللغوي ألا ترى أنهم لو قالوا توضأت من الطعام أو من الغمر أو توضأت
للطعام لم يفهم منه إلا الغسل والتنظيف وإذا قال توضأت إطلاقاً أو
توضأت من الحدث أو للصلاة فهم منه الأفعال الشرعية فليس
ينكر ما ذكرناه من اختصاص النقل لأنه كما يجوز
انتقال اللفظ من فائدة في اللغة إلى فائدة في الشرع على كل وجه

وكذلك يجوز أن ينتقل على وجه دون وجه ويبقى من
الوجه الذي لم ينتقل منه على ما كان عليه في اللغة وقد ذهب
كثير من الناس إلى أن إطلاق لفظة مؤمن منتقل من اللغة
إلى عرف الدين ومختص باستحقاق الثواب وإن كان مقيدها
باقيا على ما كان عليه في اللغة ويبين ذلك أيضا ما روي عن الحسن
أنه قال الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم وإنما أراد
غسل اليد بغير شك • وروي عن قتادة أنه قال غسل اليد
وضوء ه وروى عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل وغسل
يديه ومسح ببلل يديه وجهه وذراعيه ورأسه وقال هكذا الوضوء مما
مست النار ه على أنه لو كانت هذه اللفظة منتقلة على كل
حال إلى الأفعال الشرعية المخصوصة لصح أن نحملها في الخبر على
خلاف ذلك ونردها إلى أصلها بالأدلة وإن كان الأولى لولا الأدلة
أن نحمل على مقتضى الشرع ه فمن الأدلة على ما ذكرناه ما روى ابن
عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم أكل كتف شاة وقام فصلى ولم
يتوضأ ه وروى عطاء عن أم سلمة قالت قربت جنبا مشويا إلى النبي صلى
الله عليه وسلم فأكل منه وصلى ولم يتوضأ ه وروى محمد بن المنكدر
عن جابر أنه قال كان آخر الأمرين من رسول الله صلى الله عليه وآله ترك الوضوء

تمامست

مما مست النار وكل هذه الأخبار توجب العدول عن ظاهر الخبر الأول
لو كان له ظاهر فكيف وقد بينا أنه لا ظاهر له ه فأما اشتقاق الوضوء فهو
من الوضاءة التي هي الحسن فلما كان من غسل يديه ونظفهما قد حسنهما قيل قد
وضأها ويقال فلان وضيء الوجه وقوم وضاء قال الشاعر •

مساميح الفعال ذوو أناة مراجيح وأوجههم وضاء

والوضوء بضم الواو المصدر وكذلك أيضا التوضؤ ه والوضوء بفتح الواو
اسم ما يتوضأ به وكذلك الوقود اسم لما توقد به النار والوقود بالضم
المصدر ومثله التوقد وقد يجوز أن يكون الوقود بفتح الواو المصدر
وكذلك الوضوء بفتح الواو كما قالوا حسن القبول مصدرا وهو مفتوح
الأول ولا يجوز في الوقود والوضوء بالضم إلا معنى المصدر وحده قال جرير

اود علم موضع بالبادية

أهوى أراك برامتين وقودا أم بالجنينة من مدافع أودا

وقال آخر •

إذا سهيل لاح كالوقود فردا كشاة البقر المطرود

وقال آخر •

وأججنا بكل يفاع أرض وقود النار للمتوسمينا

أخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال حدثني محمد بن إبراهيم قال حدثنا
أحمد بن يحيى قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إبراهيم بن المنذر قال حدثني

احمد بن يحيى قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا ابرهيم بن المنذر قال حدثني
ابرهيم بن محمد بن عبد العزيز عن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن ابيه عن
ابن شهاب قال اتيت عبيد بن عبد الله بن عتبة بن مسعود
يوما في منزله فاذا هو مغتاظ ينفخ فقلت له ما لي اراك هكذا
فقال دخلت على عاملكم هذا يعني عمر بن عبد العزيز ومعه
عبد الله بن عمرو بن عثمان فسلمت فلم يردا علي السلام ۞ فقلت

الا ابلغا عني عراك بن مالك فان انت لم تفعل فابلغ ابا بكر
فقد جعلت تبدو شواكل منكما كانكما بي موقر من الصخر
وطاوعتما بي غادرا ذا معاكة لعمري لقد اورى وما مثله يوري
ولولا اتقا الله تعالى عنكما للمتكما لوما احر من الجمر
فمسا تراب الارض منها خلقتما وفيها المعاد والمقام الى الحشر
ولا تانفا ان تعتبا فتكلما فما حشي الاقوام شرا من الكبر
ولو شئت ادلي فيكما غير واحد علانية او قال عندي في السر
فان انا لم امر ولم انه عنكما ضحكت له حتى يلج ويستشري
وكيف ترجوان ابن سبعين حجة على ما اتى وهو ابن عشرين او عشر
لقد علقت دلوا كما دلو حول من القوم لا رخو الرشاء ولا نزر

قال ابن شهاب فقلت له مثلك يرحمك الله مع نسكك

وفضلك

وفضلك وسنك تقول الشعر فقال ان المصدور اذا نفث برا وانما
ذكر عراك بن مالك وابا بكر بن عمرو بن حزم وكانا صديقيه
كناية بذكرهما عن ذكر غيرهما ۞ وقد جاءت رواية اخرى بان ابا بكر
ابن حزم وعراك بن مالك كانا لحنا ان على عبيد الله فلا
يسلمان عليه فقال الابيات يخاطبهما بها ۞ وروى محمد بن سلام
لعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ۞

اذا كان لي سر فحدثته العدى وضاق به صدري فللناس اعذر
هو السر ما استودعته وكتمته وليس بسر حين يفشو ويظهر

وانشد مصعب الزبيري لعبيد الله بن عتبة ۞

اواخي رجالا لست مطلع بعضهم على سر بعض ان صدري واسعه
اذا بني حلت وسط عوذ بن غالب فذلك ود نازح لا اطالعه
تلاقت حبالي على قلب حازم لتوم لما ضمنت عليه اضالعه
بنى لي عبد الله في سورة العلى وعتبة مجدا لا تنال مصانعه

والبيت الاول يشبه قول مسكين الدارمي ۞

وفتيان صدق لست مطلع بعضهم على سر بعض كان عندي جماعها

ومما ينحل لعبيد الله بن عتبة قوله ۞

تغلغل حب عثمة في فؤادي فباديه مع الخافي يسير

تغلغل حيث لم يبلغ شرابٌ ولا حزنٌ ولم يبلغ سرورُ
شققت القلب ثم ذررت فيه هواك فليم فالتام الفطورُ
اكاد اذا ذكرت العهد منها اطير لو ان انسانا يطيرُ
غني النفس ان ازداد حبا ولكني الى وصل فقيرُ
واخذ هذا المعنى ابو نواس فقال
احللت من قلبي هواك محلةً ما حلها المأكول
واخذ المتنبي في قوله
وللسر مني موضعٌ لا يناله نديمٌ ولا يفضي اليه شرابُ
وكان العباس بن الاحنف الم به في قوله
لو شق عن قلبي فُرِي وسطه اسمك والتوحيد في سطر
واخذ اسماعيل بن عباد هذا المعنى فقال
لو شق قلبي لفي وسطه سطران قد خطا بلا كاتب
العدل والتوحيد في جانب وحب اهل البيت في جانب
وقول عبيد الله بن عتبة احسن من الجميع وبعده بيت المثنى ولعبيد الله ابن عبد الله
لعمر ابي المحصين ايام نلتقي لما لا نلاقيها من الدهر اكثرُ
يعدون يوما واحدا ان اتيتها وينسون ما كانت على الدهر تهجرُ

وان يكن

وان يكن الواشون اغروا بهجرها فانا نجد بالمودة اجددُ
ومن مستحسن قوله
لعمري لئن شطت بعثمة دارها لقد كنت من وشك الفراق اليحُ
اروح بهم ثم اغدو بمثله ويحسب اني في الثياب صحيحُ
واخذ هذا المعنى بشار فقصر عنه في قوله
يصبح مخزونا ويمسي به وليس يدري ماله عندك

مجلس آخر

تأويل آية . ان سأل سائل عن قوله تعالى حاكيا عن شعيب عليه السلام قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا . فقال ليس هذا تصريحا منه بان الله تعالى يجوز ان يشاء الكفر والقبيح لان ملة قومه كانت كفرا وضلالا وقد اخبر انه لا يعود فيها الا ان يشاء الله

الجواب

قيل له في هذه الآية وجوه اولها ان تكون الملة التي عناها الله تعالى انما هي العبادات الشرعيات التي كان قوم شعيب متمسكين بها وهي

منسوخة عنهم ولم تعبّد بها مما يرجع الى الاعتقادات في الله تعالى
وصفاته مما لا يجوز ان تختلف العبادة فيه والشرعيات يجوز
فيها اختلاف العبادة من حيث تبعت المصالح والالطاف
والمعلوم من احوال المكلفين فكانه قال ان ملتكم لا
نعود فيها مع علمنا بان الله تعالى قد نسخها وازال حكمها الا ان يشا
الله ان يتعبدنا بمثلها فنعود اليها وتلك الافعال التي كانوا
متمسكين بها مع نسخها عنهم ونهيهم عنها وان كانت
ضلالا وكفرا فقد كان يجوز ذلك ولبس تجري
هذه الافعال مجرى الجهل بالله تعالى الذي لا يجوز ان يكون
الا قبيحا ه وقد طعن بعضهم على هذا الجواب فقال
كيف يجوز ان يتعبدهم الله بتلك الملة مع قوله قد افترينا على
الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها فيقال
له لم ينف عودهم اليها على كل وجه وانما نفى العود اليها مع كونها
منسوخة منهيا عنها والذي علقه بمشية الله سبحانه من
العود اليها هو مشروط بان يامر بها ويتعبدنا بمثلها والجواب
مستقيم لا خلل فيها ه وثانيها انه اراد ان ذلك لا يكون ابدا
من حيث علقه بمشية الله تعالى لما كان معلوما انه لا يشاوه

وكل امر

وكل امر علق بما لا يكون فقد نفي كونه على ابعد الوجوه وتجري الاية
مجرى قوله تعالى لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط
وكما يقول القائل انا لا افعل كذا حتى يبيض القار او يشيب الغراب
وكما قال الشاعر

وحتى يؤوب القارظان كلاهما وينشر في القتلى كليب لوائل

والقارظان لا يؤوبان ابدا وكليب لا ينشر ابدا فكانه قال ان هذا
لا يكون ابدا ه وثالثها ما ذكره قطرب بن المستنير من
ان في الكلام تقديما وتاخيرا وان الاستثناء من الكفار
وقع لا من شعيب فكانه تعالى قال حاكيا عن الكفار لنخرجنك
يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا الا ان يشا الله ان تعود في
ملتنا ثم قال تعالى حاكيا عن شعيب عليه السلم وما يكون لنا ان نعود
فيها على كل حال ه ورابعها ان تعود الهاء التي في قوله فيها الى
القرية لا الى الملة لان ذكر القرية قد تقدم كما تقدم
ذكر الملة ويكون تلخيص الكلام انا سنخرج من قريتكم
ولا نعود فيها الا ان يشا الله بما ينجزه من الوعد لنا في الاظهار
عليكم والظفر بكم فنعود اليها ه وخامسها ان يكون المعنى الا
ان يشا الله ان يردكم الى الحق فنكون جميعا على ملة واحدة

غير مختلفة لأنه لما قال تعالى حاكيا عنهم أو لتعودن في ملتنا كان معناه أو لتكونن على ملة واحدة غير مختلفة فحسن أن يقول من بعد إلا أن يشاء الله أن يجمعكم معنا على ملة واحدة ٥ فإن قيل الاستثناء بالمشيئة إنما كان بعد قوله وما يكون لنا أن نعود فيها فكأنه قال ليس نعود فيها إلا أن يشاء الله فكيف يصح هذا الجواب قلنا هو كذلك إلا أنه لما كان معنى أن نعود فيها هو أن نصير ملتنا واحدة غير مختلفة جاز أن يوقع الاستثناء على المعنى فيقول إلا أن يشاء الله أن نتفق في الملة بأن ترجعوا أنتم إلى الحق فإن قيل فكان الله تعالى ما شاء أن يرجع الكفار إلى الحق قلنا بلى قد شاء ذلك إلا أنه ما شاءه على كل حال بل من وجه دون وجه وهو أن يؤمنوا ويصيروا إلى الحق مختارين ليستحقوا الثواب الذي أجري بالتكليف ولو شاءه على كل حال لما جاز أن لا ينتفع منهم فكأن شعيبا عليه السلام قال إن ملتنا لا تكون واحدة أبدا إلا بأن يشاء الله أن يلجئكم إلى الاجتماع معنا على ديننا وتوافقنا في ملتنا والفائدة في ذلك واضحة لأنه لو أطلق أنا لا نتفق أبدا ولا تصير ملتنا واحدة لتوهم متوهم أن ذلك مما لا يمكن على حال من الأحوال فأفاد بتعليقه

له بالمشيئة

له بالمشيئة هذا الوجه ويجري قوله إلا أن يشاء الله مجرى قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا ٥ وسادسها أن يكون المعنى إلا أن يشاء الله أن يمكنكم من إكراهنا ويخلي بينكم وبينه فنعود إلى إظهارها مكرهين ويقوي هذا الوجه قوله تعالى أولو كنا كارهين ٥ وسابعها أن يكون المعنى إلا أن يشاء الله أن يتعبدنا بإظهار ملتكم مع الإكراه لأن إظهار كلمة الكفر قد يحسن في بعض الأحوال إذا تعبد الله بإظهارها وقوله أولو كنا كارهين يقوي هذا الوجه أيضا ٥ فإن قيل فكيف يجوز من نبي من أنبياء الله تعالى أن يتعبد بإظهار الكفر وخلاف ما جاء به من الشرع ٥ قلنا يجوز أن يكون لم يرد بالاستثناء نفسه بل قومه فكأنه قال وما يكون لي ولا لأمتي أن نعود فيها إلا أن يشاء الله أن يتعبد أمتي بإظهار ملتكم على سبيل الإكراه وهذا جائز غير ممتنع ٥

تأويل خبر

روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خير الصدقة ما أبقت غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول ٥

قيل في قوله خير الصدقة ما ابقت غنى قولان احدهما ان خير ما تصدقت
به ما فضل عن قوت عيالك وكفايتهم فاذا خرجت صدقتك عنك
الى من اعطيت خرجت عن استغناء منك ومن عيالك وكفايتهم
عنها ۝ ومثله الحديث الآخر انما الصدقة عن ظهر غنى
وقال ابن عباس رحمة الله عليه في قوله تعالى ويسالونك ماذا
ينفقون قل العفو قال ما فضل عن اهلك ۝ والجواب
الآخر ان يكون اراد خير الصدقة ما اغنيت به من
اعطيت عن المسالة اي تجزل له في العطية فيستغني بها
وذلك مثل ان يريد الرجل ان يتصدق بمائة درهم فيدفعها
الى رجل واحد محتاج فيستغني بها ويكف عن المسالة فذلك افضل
من ان يدفعها الى مائة رجل لا تبين عليهم ۝ والتاويل الاول
يشهد له الخبر الآخر وهو قوله وابدأ بمن تعول ويشهد له
الحديث الآخر ايضا انما الصدقة عن ظهر غنى ۝
وقوله واليد العليا خير من اليد السفلى قال قوم يريد
ان اليد المعطية خير من الآخذة وقال آخرون ان العليا هي
الآخذة والسفلى هي المعطية ۝ وقال ابن قتيبة
ولا ارى هؤلاء الا قوما استطابوا السؤال فهم يحتجون للدناءة

ولو كان

ولو كان هذا يجوز لقيل ان المولى من فوق هو الذي اعتق والمولى من
اسفل هو الذي اعتق ۝ والناس انما يعلون بالعطايا لا بالسؤال
قال السيد رضي الله عنه وعندي ان معنى قوله عليه
السلام اليد العليا خير من اليد السفلى غير ما ذكر من
الوجهين جميعا وهو ان تكون اليد ههنا هي العطية والنعمة
لان النعمة قد تسمى يدا في مذهب اهل اللسان بغير شك فكانه
صلى الله عليه وسلم اراد ان العطية الجزيلة خير من العطية
القليلة وهذا حث منه صلى الله عليه وآله على المكارم واصطناع
المعروف باوجز الكلام واحسنه مخرجا ويشهد لهذا التاويل
احد التاويلين المتقدمين في قوله ما ابقت غنى وهذا اشبه
واولى من ان تحمل اليد على الجارحة لان من ذهب الى ذلك
وجعل المعطية خيرا من الآخذة لا يستمر قوله لان فيمن ياخذ
من هو خير عند الله ممن يعطي ولفظة خير لا تحمل الا على
الفضل في الدين واستحقاق الثواب ۝ فاما من جعل الآخذة
خيرا من المعطية فيدخل عليه هذا الطعن ايضا مع انه قد
قال قولا شنيعا على ما ذكر ابن قتيبة ۝ فان قيل
كيف يصح تاويلكم مع قوله عليه السلام خير الصدقة ما ابقت

غنى فتى لا تبقي غنى الا بعد ان تنقص عن غيرها واذا كانت العطية
التي هي اجزل وافضل فتلك لا تبقي غنى والتي تبقي غنى ليست
بالجزيلة وهذا تناقض ۞ قلنا اما تاويلنا فمطابق
للوجهين المقولين في قوله ما ابقت غنى لان من تاول
ذلك على ان المراد بها المعطى وان خير العطية ما اغنته
عن المسألة فالمطابقة ظاهرة ۞ ومن تاوله على الوجه
الاخر وحمل ابقى الغنى على المعطي واهله واقاربه فتاويلنا
ايضا مطابق له لانه قد يكون في العطايا التي تبقي بعدها
الغنى على الاهل والاقارب جزيل وغير جزيل فقال عليه السلام
خير الصدقة ما ابقت غنى بعد اخراجها والعطية الجزيلة
التي تبقي بعدها الغنى على الاهل والاقارب جزيل وغير جزيل
فقال عليه السلام خير الصدقة ما ابقت غنى بعد اخراجها
والعطية الجزيلة التي تبقي بعد غنى خير من القليلة فمدح
عليه السلام بعد ابقاء الغنى جزيل العطية وحث على الكرم والفضل
اخبرنا ابو القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى قال اخبرنا
ابو عبد الله الحكيمي قال املى علينا ابو العباس احمد بن يحيى النحوي
قال انشدنا ابن الاعرابي لثابت قطنة العتكي ۞

يا هند

يا هند لتسف بنضب ان تنكبني وعاثر في سواد العين تؤذيني
كان ليلي والاصداء هاجعة ليل السليم واعيا من يداويني
لما حنى الدهر من قوسي وعذرني شيبي وقاسيت امر الغلظ واللين
اذا ذكرت ابا غسان ارقني هم اذا عرض الساري يشجيني
كان المفضل عزا في ذوي يمن وعصمة وثمالا للمساكين
غيثا لذي ازمة غبرا شاتية من السنين وماوى كل مسكين
اني تذكرت قتلى لو شهدتهم في حومة الحرب لم يصلوا بها دوني
لا خير في العيش ان لم اجن بعدهم حربا تبيئهم قتلى فتشفيني
لا خير في طمع يدني الى طبع وغفة من قوام العيش تكفيني
لا اركب الامر تزريني عواقبه ولا يعاب به عرضي ولا ديني
وانظر الامر يعنيني الجواب به ولست انظر فيما ليس يعنيني
لا يغلب الجهل حلمي عند مقدرة ولا العضيهة من ذي الضغن
كم من عدو رماني لو قصدت له لم ياخذ النصف مني حين يرميني
وهذه الابيات يروى بعضها لعروة بن اذينة وتداخل ابياتا له على
هذا الوزن وهي التي يقول فيها ۞
لقد علمت وما الاشراف من خلقي ان الذي هو رزقي سوف ياتيني
اسعى له فيعنيني تطلبه ولو قعدت اتاني لا يعنيني

كم امدت وكم اتلفت من نشب ومن معا نبض ذوق غبين ممنون

فما اثرت على بشر وما ضرعت نفسي لخلق عشر جاب يسلوني

حسبي لربي ونفسي لا تحدثني ان الاله بلا تذق يخلبني

ولا اشتريت بما لي فظ مكرمة ولا اجتنيت البه من بنا ديني

لا انبغي وصل من يبغي مفارقتي ولا ألين لمن لا يبتغي ليني

اني ليبعثني من لست اعرفه ولو كرهت وابدو واحن لحقتني

يعطني جاهدا واجهد على اذا لاقيت قومك فانظر هل تعطيني

وقوم يخطئون في هذا دون قوله ۵ لقد علمت وما الاسراف

بالسبن غير معجبة وذلك خطا وانما اراد بالاسراف اني لا

استشرف ولا انطلع الى ما فاتني من امور الدنيا ومكاسبها ولا

تتبعها نفسي ۵ قال السيد رضي الله عنه ولي ابيات في معنى

ابيات ثابت قطنة وعروة بن اذينة التي تقدمت وهي من جملة

قصيدة طويلة خرجت عني منذ اثنتي عشرة سنة والابيات ۵

تعاقبني بوس الزمان وخفضه وادبني حرب الزمان وسلمه

وقد علم المغرور بالدهر انه وراء سرور المرء في الدهر غمه

وما المرء الا نهب يوم وليلة تخب به شهب الفناء ودهمه

يعلله برد الحياة بمسه ويغتره روح الحياة وشمه

وكان بعيدا

وكان بعيدا من منازعة الردى فالفته في لف المنية امه

الا ان خير الزاد ما سد فاقة وخير تلادي الذي لا اجمه

وان الطوى بالعز احسن بالفتى اذا كان من كسب المذلة طعمه

واني لانهى النفس عن كل لذة اذا ما ارتقت منها الى العرض وصمه

واعرض عن نيل الثراء اذا بدا وفي نيله سوء المقال وذمه

اعف وما الفحشاء عني بعيدة وحسبي في صد عن الامر اثمه

وما العف من ولى عن الضرب سيفه ولكن من ولى عن السوء حزمه

ولي في معنى قوله ۵

ما خامر الرزق قلبي قبل مجانه ولا بسطت له في النائبات يدي

كم قد تردد لم احفل زيارته ولو نحا ورني ما فت في عضدي

ان اسخط الامر ادركه مضطربا وان ارد بدلا من مذهب اجد

ومعنى ما خامر الرزق قلبي اي لم اتمنه ولا تطلعت الى حصوله

ولا خطر لي ببال تنزها وتقنعا ۵ والوجه في تخصيص بسط

اليد بالنوائب لان النوائب يضرع عندها في الاكثر

المثرة ويطلب المتعفف ممن لزم النزاهة مع الحاجة

وشدة الضرورة فهو الكامل المروءة ومعنى البيت الثاني ظاهر

فاما الثالث فالمراد به انني متى اذا كرهت شيئا تمكنت من

مفارقته والنزوع عنه ولست ممن تضيق حيلته وتقصر قدرته
عن استبدال ذلك بما يحب بما يلين ۞ وفيه فايدة اخرى وهي
انني ممن لا تملكه العادات وتقتاده الاهوا بل متى اردت
مفارقة خلق الى غيره وعادة الى سواها لم يكن ذلك علي
متعذرا من حيث كان لرايي على هواي السلطان والرجحان
اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني قال حدثنا محمد بن ابرهيم
قال حدثنا احمد بن يحيى ثعلب النحوي قال حدثنا الزبير بن
بكار قال حدثني عروة بن عبد الله بن عروة بن الزبير قال كان
عروة بن اذينة نازلا مع ابي في قصر عروة بالعقيق فسمعته ينشد لنفسه

ان التي زعمت فوادك ملها خلقت هواك كما خلقت هوى لها
فبك الذي زعمت بها وكلاكما ابدى لصاحبه الصبابة كلها
ولعمرها لو كان حبك فوقها يوما وقد ضحيت اذا لاظلها
واذا وجدت لها وساوس سلوة شفع الضمير الى الفواد فسلها
بيضا باكرها النعيم فصاغها بلباقة فادقها واجلها
لما عرضت مسلما لي حاجة اخشى صعوبتها وارجو ذلها
منعت تحيتها فقلت لصاحبي ما كان اكثرها لنا واقلها
فدنا فقال لعلها معذورة في بعض رقبتها فقلت لعلها

قال عروة

قال عروة بن عبد الله فجاني ابو السايب المخزومي يوما فسلم علي وجلس
الي فقلت له بعد الترحيب به الك حاجة يا ابا السايب فقال
او كما يلوى الحاجة ابيات لعروة بن اذينة بلغني انك سمعتها منه قلت
اي ابيات قال وهل يخفى القمر ۞ ان التي زعمت فوادك ملها
فانشدته اياها فقال ما يروي هذا الا اهل المعرفة والفضل هذا
والله الصادق الود الدايم العهد لا الهذلي الذي يقول ۞

ان كان اهلك يمنعونك رغبة عني فاهلي بي اضن وارغب

لقد عدا الاعرابي طوره واني لارجو ان يغفر الله لابن اذينة
في حسن الظن بها وطلب العذر لها فدعوت له بطعام فقال
لا والله حتى اروى هذه الابيات فلما رواها وثب فقلت له كما انت
يغفر الله لك حتى تاكل فقال والله ما كنت لاخلط
لمحبتي لها وتحري اياها ما غيرها ۞ وانصرف
قال قدس الله روحه والهذلي الذي عناه وانشد له هذا
البيت هو عبد الله بن مسلم بن جندب الهذلي وقول عروة ۞
باكرها النعيم اراد انها لم تعش الا في النعيم ولم تعرف الا
الخفض وانها لم تلاق بوسا فتخشع وتضرع ويوثر ذلك في
جمالها وتمامها والبكور هو التقدم في كل وقت ۞

وكان عروة بن اذينة مع تغزله يوصف بالعفاف والنزاهة
وروي ان سكينة بنت الحسين عليها السلام مرت به فقالت
له يا ابا عامر انت الذي يقول

اذا وجدت اوار الحب في كبدي اقبلت نحو سقاء القوم ابترد
هبني بردت ببرد الماء ظاهره فمن لنار على الاحشاء تتقد

وانت القايل

قالت وابثثتها وجدي فبحت به قد كنت عندي تحب الستر فاستتر
الست تبصر من حولي فقلت لها غطى هواك وما القى على بصري

قال نعم قالت هن حراير واشارت الى جواريها ان كان هذا
خرج من قلب سليم وانشد ابو الحسن احمد بن يحيى
لعروة بن اذينة

كان خزامى طلة صابها الندى وفارة مسك ضمنتها ثيابها
بكرت لذي داما اطر صبابة وغالبت نفسا زاد شوقا غلابها
اذا اقتربت سعدى لججت بهجرها وان تغتربت يوما يرعك اغترابها
ففي اي هذا راحة لك عندها سوا العمري نايها واقترابها
وعاد الهوى منها كظل سحابة الاح ببرق ثم مر سحابها

قال قدس الله روحه ومثبات هذا البيت الاخير من قول كثير

واني

٢٣٩

واني وتهيامي بعزة بعد ما تخليت مما بيننا وتخلت
لكالمرتجي ظل الغمامة كلما تبوأ منها للمقيل اضمحلت
كاني واياها سحابة ممحل رجاها فلما جاوزته استهلت

وروي يحيى بن علي قال حدثنا ابو هفان قال الشعر ابيات قيلت
في الحسد والدعاء لهم بالكثرة اربعة اولها قول الكميت
ابن زيد

ان يحسدوني فاني لا الومهم قبلي من الناس اهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم ومات اكثرنا غيظا بما يجد
انا الذي يجدوني في حلوقهم لا ارتقي صدرا منها ولا ارد
لا ينقص الله حسادي فانهم ابر عندي من اللائي بهم الود

وقال عروة بن اذينة

لا ابعد الله حسادي وزادهم حتى يموتوا بداء في مكنون
اني رايتهم في كل منزلة اجل قدرا من اللائي يحسبوني

وقال نصر بن سيار

ان يحسدوني على ما بي وما بهم فمثل ما بي لعمري جر لي الحسدا

وقال معن بن زايدة

اني حسدت فزاد الله في حسدي لا عاش من عاش يوما غير محسود

ما يحمد المرء الا من فضائله بالعلم والظرف او بالبأس والجود

قال قدس الله روحه وقد لحظ البحتري هذا المعنى في قوله

يحمد بخلال فيه فاضلة وليس تفتخر النعمى والجند

واظن ابا العتاهية اخذ قوله

كم عائب لك لم اسمع مقالته ولم يزدك لدينا عيب من يشين
كأن عائبكم يبدي محاسنكم وصفا فيمدحكم عندي ويغريني
ما فوق حبك حب لست اعلمه فلا يضرك اذ لا تستريبني

من قول عروة بن اذينة

لا يبعد سعدى من يرجى من جوى سقم يوما ولا قربها ان جم يشفيني
اذا الوشاة لحوا فيها عصيتهم وخلت ان سعدى اللوم يغريني

وقد اخذ ابو نواس هذا المعنى في قوله

ما حطك الواشون عن رتبة عندي ولا ضرك مغتاب
كأنهم اثنوا ولم يعلموا عليك عندي بالذي عابوا

ولعروة بن اذينة

تروعنا الجنائز مقبلات ونلهو حين تخفى ذاهبات
كروعة ثلة لمغار ذئب فلما غاب عادت راتعات

اخذ ابو العتاهية في قوله

اذا ما

اذا ما اتيتم مبيتين جزعتم وان غبتم املتم الى صبوا انفسا

واخذ عروة قوله

ان الفتى مثل الهلال له نور قليل ثم يستحق
يبلى وتفنيه الدهور كما يبلى وينضو الجدة الخلق

من قول بعض شعراء طي

مهما يكن ريب الزمان فانني ارى قمر الليل المعذب كالفتى
يهل صغيرا ثم يعظم ضوؤه وصورته حتى اذا ما هو استوى
تقارب يخبو ضوؤه وشعاعه ويمصح حتى يستتر فلا يرى
كذلك زيد المرء ثم انتقاصه يعود الى مثل الذي كان قد بدا

اخذه محمد بن يزيد الكاتب فقال

المرء مثل هلال عند مطلعه يبدو ضئيلا ضعيفا ثم يتسق
يزداد حتى اذا ما تم اعقبه كر الجديدين نقصا ثم ينمحق

مجلس آخر

تأويل آية ان سأل سائل عن قوله تعالى واتبعوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت

وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون
منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد
الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه
ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون
فقال كيف ينزل الله السحر على الملائكة ام كيف
تعلم الملائكة الناس السحر والتفريق بين المرء وزوجه
وكيف تنسب الضرر الواقع عند ذلك الى انه باذنه وهو تعالى قد
نهى عنه وحذر من فعله وكيف اثبت العلم لهم ونفاه عنهم بقوله
ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ثم قال لو كانوا يعلمون

الجواب

قلنا في الآية وجوه كل منها يزيل الشبهة الداخلة على من لم
يمعن النظر فيها ٥ اولها ان يكون ما في قوله وما انزل على الملكين
ببابل بمعنى الذي فكانه تعالى خبر عن طائفة من اهل
الكتاب بانهم اتبعوا ما تكذب فيه الشياطين على ملك سليمان
وتضيفه اليه من السحر فبرأه الله تعالى من قرفهم واكذبهم
في قولهم فقال وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا باستعمال
السحر

السحر والتمويه على الناس ثم قال تعالى يعلمون الناس السحر وما
انزل على الملكين واراد انهم يعلمونهم السحر والذي انزل
على الملكين وصف السحر وماهيته وكيفية الاحتيال
فيه ليعرفا ذلك ويعرفاه الناس فيجتنبوه ويحذروا منه كما انه
تعالى قد اعلمنا ضروب المعاصي ووصف لنا احوال القبائح لنجتنبها
لا لنواقعها لان الشياطين كانوا اذا علموا ذلك وعرفوه استعملوه
واقدموا على فعله وان كان غيرهم من المؤمنين لما عرفه اجتنبه
وحاد عنه وانتفع باطلاعه على كيفيته ثم قال وما يعلمان من احد
يعني الملكين ٥ ومعنى يعلمان يعلمان والعرب تستعمل لفظة علمه
بمعنى اعلمه قال القطامي

تعلم ان بعد الغي رشدا وان لذلك الغير انقشاعا

وقال كعب بن زهير

تعلم رسول الله انك مدركي وان وعيدا منك كالاخذ باليد

ومعنى تعلم في البيتين معنى اعلم والذي يدل انه ههنا الاعلام
لا التعليم قوله وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة
فلا تكفر اي انهما لا يعرفان صفات السحر وكيفيته
الا بعد ان يقولا انما نحن محنة لان الفتنة بمعنى المحنة وانما

[illegible]

كانا محنة من حيث القيا الى المكلفين امرا لينزجروا عنه
وليمتنعوا من مواقعته وبينا اذا عرفوه امكن ان يستعملوه
ويرتكبوه فقالا لمن يطلعانه على ذلك لا تكفر
باستعماله ولا تعدل في القاء هذا اليك فانما القي اليك
واطلعت عليه لتجتنبه لا لتفعله ثم قال فيتعلمون منهما
ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي يعرفون من جهتهما
ما يستعملونه في هذا الباب وان كان الملكان ما القياه
اليهم لذلك ولهذا قال ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم
لما قصدوا بتعلمه ان يفعلوه ويرتكبوه لا ان يجتنبوه
صار ذلك بسوء اختيارهم ضررا عليهم ۝ وثانيها ان يكون
ما انزل في موضع جر ويكون معطوفا بالواو
على ملك سليمان والمعنى واتبعوا ما كذب به الشياطين على
ملك سليمان وعلى ما انزل على الملكين ومعنى ما انزل
على الملكين اي معهما وعلى السنتهما كما قال تعالى ربنا
واتنا ما وعدتنا على رسلك اي على السنتهم ومعهم وليس
بمنكر ان يكون ما انزل معطوفا على ملك سليمان وان
اعترض بينهما ما ليس منهما ولهذا نظائر في القران وكلام

العرب

العرب كثيرة قال الله تعالى الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل
له عوجا قيما وقيم من صفات الكتاب لا من صفة عوج وان تباعد
ما بينهما ومثله قوله يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال
فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج اهله
منه والمسجد الحرام هاهنا معطوف به على الشهر الحرام
اي يسالونك عن القتال في الشهر الحرام وعن المسجد الحرام ۝ وحكي عن
بعض علماء اهل اللغة انه قال العرب تلف الخبرين المختلفين ثم
ترمي بتفسيرهما جملة ثقة بان السامع يرد الى كل خبره
كقوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا
فيه ولتبتغوا من فضله وهذا واضح في مذهب العرب كثير النظائر
ثم قال تعالى وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة
فلا تكفر والمعنى انهما لا يعلمان احدا بل ينهيان عنه ويبلغ
من نهيهما عنه وصدهما عن فعله واستعماله ان يقولا انما
نحن فتنة فلا تكفر باستعمال السحر والاقدام على فعله وهذا
كما يقول الرجل ما امرت فلانا بكذا ولقد بالغت في نهيه حتى قلت
له انك ان فعلته اصابك كذا وكذا وهذا نهاية البلاغة في الكلام
والاختصار الدال مع اللفظ القليل على المعاني الكثيرة لانه

لانه استغنى بقوله تعالى وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة
عن بسط الكلام الذي ذكرناه ولذلك نظاير في القران
قال الله تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله اذا لذهب كل اله
بما خلق ولعلا بعضهم على بعض فلولا الاختصار لكان مع شرح
الكلام يقول ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله ولو كان
معه اله اذا لذهب كل اله بما خلق ومثله قوله تعالى يوم تبيض
وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد
ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اي فيقال لك
للذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم وامثاله
اكثر من ان تورد ٥ ثم قال تعالى فيتعلمون منهما ما يفرقون به
بين المرء وزوجه وليس يجوز ان يرجع الضمير على هذا الجواب
الى الملكين وكيف يرجع اليهما وقد نفى عنهما التعليم بل يرجع
الى الكفر والسحر وقد تقدم ذكر السحر وتقدم ايضا
ذكر ما يدل على الكفر ويقتضيه في قوله ولكن الشياطين
كفروا فدل كفروا على الكفر ويقتضيه في قوله مع السحر جاز ان
وان كان التصريح قد وقع بذكر السحر دونه ومثل ذلك
قوله تعالى سيذكر من يخشى ويتجنبها الاشقى اي يتجنب الذكرى

الاشقى

الاشقى ولم يتقدم تصريح بالذكرى لكن دل عليها قوله سيذكر
ويجوز ايضا ان يكون معنى فيتعلمون منهما اي بدلا مما علمهم الملكان
ويكون المعنى انهم يعدلون عما علمهم ووقفهم عليه الملكان من النهي عن
السحر الى تعلمه واستعماله كما يقول القائل ليت لنا من كذا وكذا
كذا اي بدلا منه وكما قال الشاعر •

جمعت من الخيرات وطبا وعلبة ... وصرا لاخلاف المزممة البزل
ومن كل اخلاق الكرام نميمة ... وسعيا على الجار المجاور بالمحل

يريد جمعت مكان الخيرات ومكان اخلاق الكرام هذه الخصال
الذميمة ٥ وقوله ما يفرقون به بين المرء وزوجه فيه وجهان
احدهما ان يكونوا يغوون احد الزوجين ويحملونه على
الكفر والشرك بالله تعالى فيكون بذلك قد فارق زوجه
الاخر المؤمن المقيم على دينه فيفرق بينهما اختلاف النحلة
والملة ٥ والوجه الاخر ان يسعوا بين الزوجين بالنميمة والوشاية
والاغراء والتمويه بالباطل حتى يؤول امرهما الى الفرقة والمباينة
وثالث الوجوه في الاية ان نحمل ما في قوله وما انزل على الملكين على
الجحد والنفي وكانه تعالى قال واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك
سليمان وما كفر سليمان ولا انزل الله السحر على الملكين

قوله الزمل [illegible] الضعيف الجبان
[illegible]

ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت
ويكون قوله ببابل هاروت وماروت من المؤخر الذي معناه التقديم
ويكون على هذا التأويل هاروت وماروت رجلين من جملة
الناس هذان اسماهما وانما ذكرا بعد ذكر الناس تمييزا
وتبيينا ويكون الملكان المذكوران اللذان نفي عنهما السحر
جبريل وميكائيل عليهما السلام لان سحرة اليهود فيما ذكر
كانت تدعي ان الله تعالى انزل السحر على لسان جبريل وميكائيل
الى سليمان بن داود عليه السلام فاكذبهم الله تعالى بذلك
ويجوز ان يكون هاروت وماروت يرجعان الى الشياطين
كانه قال ولكن الشياطين هاروت وماروت كفروا ويسوغ
ذلك كما ساغ في قوله تعالى وكنا لحكمهم شاهدين يعني حكم داود
وسليمان عليهما السلام ويكون قوله تعالى على هذا التأويل وما يعلمان
من احد حتى يقولا انما نحن فتنة راجعا الى هاروت وماروت
اللذين هما من الشياطين او من الانس المتعلمين للسحر من الشياطين
والعاملين به ومعنى قولهما انما نحن فتنة فلا تكفر يكون على طريق
الاستهزاء والتماجن والتخالع كما يقول الماجن من الناس اذا فعل
قبيحا او قال باطلا هذا فعل من لا يفلح وقول من لا ينجب

ووالله

ووالله ما حصلت الا على الخسران وليس ذلك منه على سبيل النصح
للناس وتحذيرهم من مثل فعله بل على وجه المجون والتهالك
ويجوز ايضا على التأويل الذي يتضمن النفي والجحد ان يكون
هاروت وماروت اسمين للملكين ونفي عنهما انزال السحر
بقوله وما انزل على الملكين ببابل ويكون قوله وما
يعلمان من احد يرجع الى قبيلين من الجن او الى شياطين الجن
والانس فتحسن التثنية لهذا ٥ وقد روي هذا التأويل
الاخير في حمل ما على النفي عن ابن عباس وغيره من المفسرين ٥
وروي عنه ايضا انه كان يقرأ وما انزل على الملكين بكسر
اللام ويقول متى كان العلجان ملكين انما كانا ملكين وعلى هذه
القراءة لا ينكر ان يرجع قوله وما يعلمان من احد اليهما
ويمكن على هذه القراءة في الاية وجه اخر وان لم يحمل قوله
وما انزل على الملكين على الجحد والنفي وهو ان يكون
هؤلاء الذين اخبر عنهم اتبعوا ما تتلو الشياطين وتدعيه
على ملك سليمان واتبعوا ما انزل على هذين الملكين من السحر
ولا يكون الانزال مضافا الى الله سبحانه وان اطلق لانه
جل وعز لا ينزل السحر بل يكون منزله اليهما بعض الضلال

والعصاة ويكون معنى أنزل وإن كان من الأرض حمل إليهما لا من السماء
أنه أتى به من نجود الأرض وأعاليها فإن من هبط من نجدي
البلاد إلى غورتها يقال نزل وهبط وما جرى هذا المجرى
فأما قوله وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله
فيحتمل وجوهاً منها أن يريد بالإذن العلم من قولهم أذنت
فلاناً بكذا إذا أعلمته وأذنت لكذا إذا سمعته وعلمته قال الشاعر

في سماع يأذن الشيخ له ... وحديث مثل ماذي مشار

ومنها أن تكون إلا زائدة فيكون المعنى وما هم بضارين به من أحد
بإذن الله ويجري مجرى قول أحدنا لقيت زيداً إلا أني أكرمته
أي لقيت زيداً فأكرمته ۞ ومنها أن يكون أراد بالإذن
التخلية وترك المنع فكأنه أفاد بذلك أن العباد لن يعجزوه وما هم
بضارين أحداً إلا بأن يخلي الله تعالى بينهم وبينه ولو شاء
لمنعهم بالقهر والقسر زائداً على منعهم بالزجر والنهي ۞ ومنها
أن يكون الضرر الذي عنى أنه لا يكون إلا بإذنه وأضافه إليه
هو ما يلحق المسحور من الأدوية والأغذية والأطعمة التي يطعمه
إياها السحرة ويدعون أنها موجبة لما يقصدونه فيه
من الأمور ومعلوم أن الضرر الحاصل عن ذلك من فعل الله

تعالى بالعادة لأن الأغذية لا توجب ضرراً ولا نفعاً وإن كان المعرض
للضرر من حيث كان كالفاعل هو المستحق للذم وعليه يجب
العوض ۞ ومنها أن يكون الضرر المذكور إنما هو ما يحصل
عن التفريق بين الأزواج لأنه أقرب إليه في ترتيب الكلام
والمعنى أنهم إذا أغووا أحد الزوجين وكفر فبانت منه زوجته
فاستضر بذلك كانوا ضارين له بما حسنوه له من الكفر
إلا أن الفرقة لم تكن إلا بإذن الله وحكمه لأنه تعالى هو الذي حكم
وأمر بالتفريق بين المختلفي الأديان فلهذا قال تعالى وما هم بضارين به
من أحد إلا بإذن الله والمعنى أنه لولا حكم الله وإذنه في الفرقة بين
هذين الزوجين باختلاف الملة لم يكونوا ضارين له هذا
الضرر الحاصل عند الفرقة ويقوي هذا الوجه ما روي أنه كان
من دين سليمان أنه من سحر بانت امرأته ۞ فأما قوله تعالى
ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ثم قال لو كانوا
يعلمون ففيه وجوه أولها أن يكون الذين علموا غير الذين لم
يعلموا ويكون علموا الشياطين أو الذين خبر عنهم بأنهم نبذوا
كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون واتبعوا ما تتلوا الشياطين
على ملك سليمان والذين لم يعلموا هم الذين تعلموا السحر وشروا به

أنفسهم ٥ وثانيها أن يكون الذين علموا هم الذين لم يعلموا إلا أنهم
علموا شيئاً ولم يعلموا غيره فكأنه تعالى وصفهم بأنهم عالمون
بأنه لا نصيب لمن اشترى ذلك ورضيه لنفسه على الجملة ولم
يعلموا كنه ما يصيبه اليوم من عقاب الله الذي لا نفاد
له ولا انقطاع ٥ وثالثها أن تكون الفائدة في نفي العلم
بعد إثباته أنهم لم يعملوا بما علموا فكأنهم لم يعلموا وهذا كما
يقول أحدنا لغيره ما أدعوك إليه خير لك وأعود عليك
لو كنت تعقل وتنظر في العواقب وهو يعقل وينظر في العواقب
إلا أنه لا يعمل بموجب علمه فيحسن أن يقال له مثل هذا القول
قال كعب بن زهير يصف ذئباً وغراباً اتبعاه ليصيبا
من زاده

إذا حضراني قلت لو تعلمانه ألم تعلما أني من الزاد مرمل

فنفى عنهما العلم ثم أثبته بقوله ألم تعلما أني من الزاد مرمل وإنما
المعنى في نفيه العلم عنهما أنهما لم يعملا بما علماه فكأنهما لم يعلماه
ورابعها أن يكون المعنى أن هؤلاء القوم الذين علموا أن الآخرة
لا حظ لهم فيها مع عملهم القبيح إلا أنهم ارتكبوه طمعاً في حطام
الدنيا وزخرفها فقال تعالى ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا

يعلمون

يعلمون أن الذي آثروه وجعلوه عوضاً من الآخرة لا يتم لهم ولا
يبقى عليهم وأنه منقطع زائل ومضمحل باطل وأن المآل إلى المستحق
في الآخرة وكل ذلك واضح بحمد الله ٥

مجلس آخر

تأويل خبر ٥ روى عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال لو كان هذا القرآن في إهاب ما مسته النار ٥ وقد
ذكر متأولو حديث النبي صلى الله عليه وآله في هذا الخبر
وجوهاً كثيرة كلها غير صحيح ولا شاف وأنا أذكر ما اعتمدوه
وأبين ما فيه ثم أذكر الوجه الصحيح ٥ قال ابن قتيبة
ذهب الأصمعي إلى أن من تعلم القرآن من المسلمين لو ألقي في
النار لم تحرقه فكنى بالإهاب وهو الجلد عن الشخص والجسم
واحتج على تأويله هذا بالحديث عن سليمان بن محمد قال سمعت
أبا أمامة يقول اقرؤوا القرآن ولا يغرنكم هذه المصاحف
المعلقة فإن الله تعالى لا يعذب القرآن ٥ قال ابن قتيبة وفي
الحديث تأويل آخر وهو أن القرآن لو كتب في جلد ثم ألقي في النار
على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله لم تحرقه النار على وجه

بالنار قلباً وعى

الدلالة على صحة أمر النبي صلى الله عليه وآله ثم انقطع ذلك بعده
قال وجرى هذا مجرى كلام الذئب وشكاية البعير وغير
ذلك من آياته عليه السلام ٥ قال وفيه تأويل ثالث وهو أن
يكون الإحراق إنما نفي عن القرآن لا عن الإهاب ويكون معنى
الحديث لو جعل القرآن في إهاب ثم ألقي في النار لما احترق القرآن
فكان النار تحرق الجلد والمداد ولا تحرق القرآن
لأن الله تعالى ينتسخه ويرفعه من الجلد صيانة له عن الإحراق
وقال أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري رادا على ابن قتيبة
ومعترضا عليه اعترضت ما قاله ابن قتيبة من ذلك كله
فما وجدت فيه شيئا صحيحا أما قوله الأول فيرده ما روي
عنه عليه السلام من قوله يخرج من النار قوم بعد ما يحرقون
فيها فيقال هؤلاء الجهنميون طلقاء الله عز وجل ٥ قال وقد
روى أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال إذا
دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار قال عز وجل انظروا
من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجوه
منها ٥ وقال أبو بكر محمد بن القاسم بن الأنباري ولم يصح قول
ابن قتيبة في زعمه أن النار لا تحرق من قرأ القرآن ولا خلاف بين

المسلمين

المسلمين أن الخوارج وغيرهم ممن يلحد في دين الله تعالى ويقرؤن
القرآن تحرقهم النار بغير شك ٥ واحتجاجه بخبر أبي أمامة
أن الله تعالى لا يعذب قلبا وعى القرآن فمعناه من قرأ القرآن وعمل به
فأما من حفظ ألفاظه وضيع حدوده فإنه غير واع له ٥
قال فأما قوله إنه من دلائل النبوة التي انقطعت بعده فما روى هذا
الحديث أحد أنه كان من دلائله عليه السلام ولو أراد ذلك
دليلا لكان صلى الله عليه وآله يجعل القرآن في إهاب
ثم يلقيه في النار فلا يحترق قال وقول ابن قتيبة
الثالث لا يحترق الجلد والمداد ولم يحترق القرآن غير
صحيح أيضا لأن الذي يصحح هذا القول يوجب أن القرآن
غير المكتوب وهذا محال لأن المكتوب في المصحف
هو القرآن والدليل على هذا قوله تعالى إنه لقرآن كريم
في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون ومنه الحديث
لا تسافروا بالقرآن إلى أرض العدو وإنما يريد المصحف ٥
قال أبو بكر والقول عندنا في تأويل هذا الحديث أنه لو أراد لو
كان القرآن في جلد ثم ألقي في النار ما أبطلته لأنها وإن
أحرقته فإنها لا تدرسه إذ كان الله تعالى قد ضمنه قلوب

الإخبار بتر عبادته والدليل على هذا قول الله تعالى للنبي عليه السلام
فيما روي عنه إني منزل عليك كتابا لا يغسله الماء تقرأه نائما
ويقظان ٥ فلم يرد الله تعالى أن القرآن لو كتب في شيء ثم غسل
بالماء لم يغسل وإنما أراد أن الماء لا يبطله ولا يذهب به إذ كانت
القلوب تعيه وتحفظه قال ومثل هذا كثير في كتاب الله
تعالى وفي لغة العرب قال الله تعالى يومئذ يود الذين كفروا
وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله
حديثا فهم قد كتموا الله تعالى لما قالوا والله ربنا ما كنا
مشركين وإنما أراد تعالى ولا يكتمون الله تعالى حديثا
في حقيقة الأمر لأنهم وإن كتموه في الظاهر فالذي كتموه
غير مستتر عنه ٥ قال السيد رضي الله عنه والصحيح
في تأويل الخبر غير ما أتى به ابن قتيبة وابن الأنباري جميعا
وهو أن هذا من كلام النبي صلى الله عليه وآله على طريق المثل
والمبالغة في تعظيم شأن القرآن والإخبار عن جلالة
قدره وعظم خطره والمعنى أنه لو كتب في إهاب وألقي في النار
وكانت النار مما لا تحرق شيئا لعلو شأنه وجلالته لم
تحرقه النار ولهذا نظائر في القرآن وكلام العرب

وأمثالهم

وأمثالهم لكثير ظاهر لا يخفى على من له أدنى أنس بمذاهبهم وتصرف
كلامهم فمن ذلك قوله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل
لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها
للناس لعلهم يتفكرون ٥ ومعنى الكلام أننا لو أنزلنا
القرآن على جبل وكان الجبل مما يتصدع إشفاقا من شيء أو
خشية لأمر لتصدع مع صلابته وقوته فكيف
بكم يا معاشر المكلفين مع ضعفكم وقلتكم فأنتم
أولى بالخشية والإشفاق ٥ وقد صرح الله تعالى بأن
الكلام خرج مخرج المثل بقوله تعالى وتلك الأمثال
نضربها للناس لعلهم يتفكرون ومثله قوله تعالى
تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر
الجبال هدا ومثله قول الشاعر ٥

أما وجلال الله لو تذكرينني كذكراك ما نهنهت للعين مدمعا
فقالت بلى والله ذكرا لو أنه تضمنه صم الصفا لتصدعا

ومثله ٥

فلو أن ما بي بالحصا فلق الحصا وبالريح لم يسمع لهن هبوب

ومثله ٥

وقفت على ربع لمية ناقتي فما زلت ابكي عنده واخاطبه
واسقيه حتى كاد مما ابثه تكلمني احجاره وملاعبه

وهذه طريقة للعرب مشهورة في المبالغة يقولون هذا كلام يفلق الصخر ويهد الجبال ويصرع الطير ويستنزل الوعول وليس ذلك بكذب منهم بل المعنى انه لحسنه وحلاوته وبلاغته يفعل مثل هذه الامور لو تأتت ولو كانت مما يتسهل ويتيسر لشيء من الاشياء لتسهلت به من اجله ٥ فاما الجواب الاول المحكي عن ابن قتيبة فان الذي يفسده زائدا على ما رده ابن الانباري انه لو كان الامر على ما ذكره ابن قتيبة وحكاه عن الاصمعي لكان النبي صلى الله عليه وآله قد اغرانا بالذنوب لانه اذا امن حافظ القرآن ومتعلمه من دخول النار والعذاب فيها لكن المكلفون الى تعلم القرآن والاقدام على القبائح امنين غير خائفين وهذا لا يجوز عليه صلى الله عليه وآله ٥ والمعنى في قول ابي امامة ان الله لا يعذب قلبا وعى القرآن على نحو ما ذكره ابن الانباري فاما جواب ابن قتيبة الثاني من انه ان ذلك مختص بزمانه عليه السلام وليس في اللفظ ولا في غيره دلالة عليه واقوى ما يبطله انه لو كان هذا كما ذكر لما جاز ان يخفى

على جماعة

على جماعة المسلمين الذين رووا جميع معجزاته عليه السلام وضبطوها وفي وجداننا من روى ذلك وجمعه وعني به غير عارف بهذه الدلالة والآية ابطال لما توهمه فاما جوابه الثالث فباطل لان القرآن في الحقيقة ليس يحل الجلد ولا يكون فيه حتى ينسب الاحتراق الى الجلد دونه واذا كان الامر على هذا لم يكن في قوله ان الاهاب هو المحترق دون القرآن فائدة لان هذه سبيل كل كلام كتب في اهاب او غيره اذا احترق الاهاب لم يصف الاحتراق الى الكلام لاستحالة هذه الصفة عليه ٥ ومن عجيب الامور تقول ابن الانباري وهذا يوجب ان القرآن غير المكتوب لان كلام ابن قتيبة ليس يوجب ما ظنه بل يوجب ضده من ان لفظ المكتوب هو القرآن ولهذا علق الاحراق بالكتابة والجلد دون المكتوب الذي هو القرآن واذا كان المكتوب في المصحف هو القرآن على ما اقترح ابن الانباري فالمانع من قول ابن قتيبة ان الجلد يحترق دونه لان احدا لا يقول ان الجلد هو القرآن وانما يقول قوم انه مكتوب فيه واذا كان غيره لم يمتنع اضافة الاحتراق الى احدهما دون الآخر وهذا

كله تختلط من الرجلين لان القرآن غير حال في الجلد على الحقيقة
وليست الكتابة غير المكتوب وانما الكتابة امارة
للحروف ۰ فاما ان تكون هي الكلام على الحقيقة او
يوجد معها الكلام مكتوبا فمحال ۰ فاما
استشهاده على ذلك بقوله لا تسافروا بالقرآن الى ارض
العدو فذلك تجوز وتوسع وليس يجب ان تجعل اطلاق
الالفاظ المحتملة دليلا على اثبات الاحكام والمعاني
ومعترضة على ادلة العقول وقد تجوز القوم باكثر من هذا
فقالوا في هذا الكتاب شعر امرئ القيس وعلم الشافعي
وفقه فلان ولم يقتض ذلك ان يكون العلم والكلام
على الحقيقة موجودين في الدفتين وقد بينا الكلام في
هذا الباب في مواضع هي اولى به ۰ فاما جواب ابن الانباري
الذي ارتضاه لنفسه فلا طائل ايضا فيه لانه لا مزية للقرآن
فيما ذكره على كل كلام وشعر في العالم لانا نعلم
ان الشعر والكلام المحفوظ في صدور الرجال اذا كتب في جلد
ثم احرق او غسل لم يذهب ما في الصدور منه بل يكون ثابتا بحاله
فاي مزية للقرآن في هذا على غيره واي فضيلة فان قال وجه
المزية

المزية ان عين القرآن من الشعر وغيره يمكن ان يتدبر ويبطل
باحراق الناس والقرآن اذا كان هو المتولي لايداعه في الصدور لا يتم
ذلك فيه قلنا الكل سوا لان عين القرآن انما يبطل باحتراق الاهاب
المكتوب فيه متى لم يكن محفوظا مودعا للصدور ومتى كان في هذه
الصفة لم يبطل باحتراق الجلد وهكذا القرآن لو لم يحفظ
في الصدور لبطل بالاحتراق ولكنه لا يبطل بهذا الشرط
فصار الشرط في بطلان عين القرآن وثباته كالشرط في بطلان
القرآن وثباته فلا مزية على هذا الجواب للقرآن فيما خص به من
ان النار لا تمسه وهذا يبين انه لا وجه غير ما ذكرناه في
الخبر وهو اشبه بمذاهب العرب واولى بتفضيل القرآن وتعظيمه
اخبرنا ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال اخبرنا ابن دريد قال
انشدنا ابو حاتم قال ابن دريد وانشدنا عبد الرحمن يعني ابن اخي
الاصمعي عن عمه للحسين بن مطير الاسدي ۰ وقال عبد الرحمن قال
عمي لو كان شعر العرب هكذا ما اثم منشده ۰

الا حبذا البيت الذي انت هاجره وانت بتلماح من الطرف زائره
لانك من بيت لعيني معجب واملح في عيني من البيت عامره
اصد حياء ان يلج بي الهوى وفيك المنى لولا عدو احاذره

وفيك حبيب النفس لو تستطيعه لمات الهوى والشوق حين تجاوره
فإن آته لا آت إلا بظنة وإن بانه غيري تشظى جرائره
وكان حبيب النفس للقلب واترا فكيف يحب القلب من هو واتره
فإن تكن الأعداء أحموا كلامه علينا فلن تحمى علينا مناظره
أحبك يا سلمى على غير ريبة ولا بأس في حب تعف سرائره
ويا عاذلي لولا نفاسة حبها عليك لما باليت أنك خابره
بنفسي من لا بد أني هاجره ومن أنا في الميسور والعسر ذاكره
ومن قد لحاه الناس حتى اتقاهم ببغضي إلا ما تجن ضمائره
أحبك حبا لا أعنف بعده محبا ولكني إذا ليم عاذره
لقد مات قبلي أول الحب فانقضى ولو مت أضحى الحب قد مات آخره
كلامك يا سلمى وإن قل نافع ولا تحسبي أني وإن قل حاقره
ألا لا أبالي أي حي تحملوا إذا ثمد الزرقاء لم يخل حاضره
[illegible]

وأنشد ابن الأعرابي لابن مطير

لعمرك للبيت الذي لا نطوره أحب إلينا من بلاد نطورها
تقلبت في الإخوان حتى عرفتهم ولا يعرف الإخوان إلا خبيرها
فلا أصرم الخلان حتى يصارموا وحتى يسيروا سيرة لا أسيرها
فإنك بعد الشر ما أنت واجد خليلا مديما شيمة لا يديرها

معنى يديرها

معنى لا يديرها لا ينقلها ها هنا ومرة ها هنا

معنى يديرها ينقلها مرة هاهنا ومرة هاهنا

وإنك في غير الأخلاء عالم بأن الذي تخفي عليك ضميرها
ولا تك مغرورا بمنحة صاحب من الود لا تدري علام مصيرها
وما الجود عن فقر الرجال ولا الغنى ولكنه خيم الرجال وخيرها
وقد تغدر الدنيا فيضحي غنيها فقيرا ويغنى بعد بؤس فقيرها
وكائن ترى من حال دنيا تغيرت وحال صفا بعد اكدرار غديرها
ومن طامع في حاجة لا ينالها ومن يائس منها أتاه بشيرها
ومن يتبع ما يعجب النفس لا يزل مطيعا لها في فعل شيء يضيرها
فنفسك أكرم عن أمور كثيرة فما لك نفس بعدها تستعيرها

[illegible]

قال السيد رضي الله عنه ولي في معنى قول ابن مطير وقد تغدر الدنيا البيت الذي تقدم من جملة قصيدة

ولست آنس بالدنيا ولست أرى الأمرا قد تعتريني من عواديها
نصبوا إليها بآمال مخيبة كأننا ما رأينا عقبى أمانيها
في وحشة الدار ممن كان يسكنها كل اعتبار لمن قد ظل يأويها
لا تكذبن فما قلبي لها وطنا وقد رأيت طلول الأمن مغانيها

وأخبرنا أبو عبيد الله المرزباني قال أنشدنا علي بن سليمان الأخفش قال أنشدنا أحمد بن يحيى ثعلب للحسين بن مطير

لقد كنت جلدا قبل ان يوقد الهوى على كبدي نارا بطيا خمودها
ولو تركت نار الهوى لتضرمت ولكن شوقا كل يوم يزيدها
وقد كنت ارجو ان تموت صبابتي اذا قدمت ايامها وعهودها
فقد جعلت في حبة القلب والحشا عهاد الهوى تولى بشوق يعيدها
بمرتجة الارداف هيف خصورها عذاب ثناياها عجاف قيودها
يعني انها عجاف اللثات واصول الاسنان التي قيودها قال ابو العباس ثعلب عجاف بالخفض لحن لانه ليس من صفة الثنايا وسبيله ان يكون نصبا لانه حال من الثنايا

مخصرة الاوساط زانت عقودها باحسن مما زينتها عقودها
وصفر تراقيها وحمر اكفها وسود نواصيها وبيض خدودها
وصف التراقي بالصفرة من الطيب وحمرة اكفها من الخضاب
يمنيننا حتى ترف قلوبنا رفيف الخزامى بات طل يجودها
اخذ قوله مخصرة الاوساط زانت عقودها البيت من قول مالك بن اسماء بن خارجة

وتزيدين اطيب الطيب طيبا ان تمسيه اين مثلك اينا
واذا الدر زان حسن وجوه كان للدر حسن وجهك زينا
وقد روى ابو تمام الطائي في الحماسة بعض الابيات التي ذكرناها

[illegible]

الحسيني

للحسين بن مطير وروى له ايضا ويشبه ان يكون الجميع من قصيدة واحدة

ولكنت اذود العين ان ترد البكا فقد وردت ما كنت عنه اذودها
خليلي ما بالعيش عيب لو اننا وجدنا لايام الصبى من يعيدها
وروى ابو تمام الطائي ايضا لغيره وبعض الرواة يرويها لابن مطير
ولي نظرة بعد الصدود من الجوى كنظرة ثكلى قد اصيب وليدها
هل الله عاف عن ذنوب تسلفت ام الله ان لم يعف عنها معيدها
وانشد ابو محلم لابن مطير

قضى الله يا اسماء ان لست زائلا احبك حتى يغمض العين مغمض
وحبك بلوى غير ان لا يسرني وان كان بلوى انني لك مبغض
اذا انا رضت النفس في حب غيرها اتى حبها من دونها يتعرض
فيا ليتني اقرضت جلدا صبابتي واقرضني صبرا على الشوق مقرض
ويشبه ان يكون اخذ قوله اذا انا رضت النفس في حب غيرها من قول رجل من فزارة

واعرض حتى يحسب الناس انما بي الهجر لا والله ما بي لك الهجر
ولكن اروض النفس انظر هل لها اذا فارقت يوما احبتها صبر
او من قول نصيب

وانى لاستحيي كثيرا واتقى عيونا واشتفى بالموت والهجر
وانذر بالهجران نفسي اروضها لتعلم عند الهجر هل من صبر
وبثينة ان يكون اخذ قوله * فيا ليتني اقرضت جلدا صبابتي
من قول بعض العرب
دمى قلبه الريق الملالي ذمنة بجنب الحمى وهنا فكاد يهيم
فهل من معير طرف عين خلية فانسان عين العامري كليم
وللحسين بن مطير في هذا المعنى ما رواه المبرد
ولي كبد مقروحة من يبيعني بها كبدا ليست بذات قروح
ابى الناس ويب الناس لا يشترونها ومن يشتري ذا علة بصحيح
واخذ العباس بن الاحنف هذا المعنى فقال
نزف البكاء دموع عينك فاستعر عينا لغيرك دمعها مدرار
من ذا يعيرك عينه تبكي بها ارايت عينا للبكاء تعار
واخبرنا المرزباني قال حدثنا ابو عبد الله الحكيمي
قال حدثني ميمون بن المزرع قال حدثنا محمد بن حميد قال كنا
عند الاصمعي فانشد رجل ابيات دعبل
اين الشباب وايه سلكا لا اين يطلب ضل بل هلكا
لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب براسه فبكى

يا سلم

يا سلم ما بالشيب منقصة لا سوقة يبقى ولا ملكا
قصر الغوايه عن هوى قمر وجد السبيل اليه مشتركا
يا ليت شعري كيف نومكما يا صاحبي اذا دمي سفكا
لا تاخذا بظلامتي احدا قلبي وطرفي في دمي اشتركا
فاستحسنها كل من كان حاضرا في المجلس واكثروا التعجب
من قوله ضحك المشيب براسه فبكى فقال الاصمعي انما
اخذ هذا من قول ابن مطير الاسدي
اين اهل القباب بالدهناء اين جيراننا على الاحساء
جاورونا والارض ملبسة نور الاقاحي تجاد بالانواء
كل يوم باقحوان جديد تضحك الارض من بكاء السماء
وقد اخذه مسلم صريع الغواني في قوله
مستعبر يبكي على دمنة وراسه يضحك فيه المشيب
قال سيدنا رضي الله عنه ولابي الحجناء نصيب الاصغر
مثل هذا المعنى وهو قوله
تبكي الغمام به فاصبح روضه جذلان يضحك بالجميم وبزهر
ولابن المعتز مثله
الحت عليه كل طخياء ديمة اذا ما بكت اجفانها ضحك الزهر

ولابن دريد مثله

تبسم المزن واستهلت مدامعه فأضحك الروض جفن الضاحك الباكي
وغادر الشمس نور ظل يلحظها بعين مستعبر بالدمع ضحاك

وروي عن ابي العباس المبرد انه قال اخذ ابن طباطبا قوله

تضحك الارض من بكاء السماء

من قول دعبل الراجز

جن النبات في ذراها وزكا ... وضحك المزن به حتى بكى

مجلس آخر

تأويل آية. ان سأل سائل عن قوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا اولوا الالباب

الجواب

قلنا قد ذكر في هذه الآية وجهان مطابقان للحق احدهما ان يكون الراسخون في العلم معطوفا على اسم الله تعالى فكأنه قال

وما يعلم

وما يعلم تأويله الا الله والا الراسخون في العلم وانهم مع علمهم به يقولون آمنا به فوقع يقولون آمنا به موقع الحال والمعنى انهم يعلمونه قائلين آمنا به كل من عند ربنا وهذه غاية المدحة لانهم اذا علموا ذلك بقلوبهم واظهروا التصديق به على ألسنتهم فقد تكاملت مدحتهم ووصفهم باداء الواجب عليهم والحجة لمن ذهب الى ما بيناه والرد على من استبعد عطفه على الاول وتفرده من قوله يقولون آمنا به على هذا التأويل الا ابتداء له مثل قوله تعالى ما افاء الله على رسوله من اهل القرى فلله وللرسول الى قوله شديد العقاب فذكر جملة ثم تلاها بالتفصيل وتسمية من يستحق هذا الفيء فقال للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا الى قوله ربنا انك رؤوف رحيم فقال في المهاجرين يبتغون فضلا من الله ورضوانا وقال في الذين تبوؤا الدار والايمان وهم الانصار يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم وقال فيمن جاء من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان فهذه الآيات تدل على انه لا ينكر في آية الراسخين في العلم ان يكون قوله

يقولون آمنا به حالا لهم مع العلم بتأويل المتشابه ولو أشكل شيء
من ذلك لما أشكل قوله والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا
في أنه موافق لقوله والراسخون في العلم يقولون آمنا به وأن الصورتين
واحدة ۝ ومما أستشهد به من الشعر قول يزيد بن مفرغ
في عبد له كان يسمى بردا باعه ثم ندم على بيعه

وشريت بردا ليتني من بعد برد كنت هامه
هامة تدعو صدى بين المشقر واليمامه
الريح تبكي شجوه والبرق يلمع في الغمامه

فعطف البرق على الريح ثم أتبعه بقوله يلمع في الغمامة كأنه قال والبرق
أيضا يبكيه لامعا في غمامه أي في حال لمعانه ولو لم يكن البرق
معطوفا على الريح في البكاء لم يكن للكلام معنى ولا فائدة
ويمكن أيضا على هذا الوجه مع عطف الراسخين على ما
تقدم وإثبات العلم بالمتشابه لهم أن يكون قوله يقولون آمنا
به استئناف جملة واستغنى فيه عن حرف العطف كما استغنى
في قوله تعالى سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ونحو ذلك مما الجملة
الثانية فيه التباس بالجملة الأولى فيستغنى به عن حرف
العطف ولو عطف بحرف العطف كان حسنا فنزل الملتبس منزلة

غير الملتبس

غير الملتبس ۝ والوجه الثاني في الآية أن يكون قوله والراسخون في العلم
مستأنفا غير معطوف على ما تقدم ثم أخبر عنهم بأنهم يقولون آمنا
به ويكون المراد بالتأويل على هذا الجواب المتأول لأنه قد يسمى تأويلا
قال الله تعالى هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله والمراد بذلك لا محالة
المتأول والمتأول الذي لا يعلمه العلماء وإن كان الله تعالى عالما به
كنحو وقت قيام الساعة ومقادير الثواب والعقاب وصفة الحساب
وتعيين الصغائر إلى غير ذلك فكأنه تعالى قال وما يعلم تأويل جميعه
على المعنى الذي ذكرناه إلا الله والعلماء يقولون آمنا به ۝ وقد اختار
أبو علي الجبائي هذا الوجه وقواه وضعف الأول بأن قال قول الراسخين
في العلم آمنا به كل من عند ربنا دلالة على استسلامهم لأنهم لا يعرفون
تأويل المتشابه كما يعرفون تأويل المحكم ولأن ما ذكرناه من وقت
القيامة ۝ ومن التمييز بين الصغائر والكبائر تأويل القرآن إذا
كان داخلا في خبر الله والراسخون في العلم لا يعلمون ذلك وليس الذي
ذكره بشيء لأنه لا يمتنع أن يقول العلماء مع علمهم بالمتشابه آمنا به على
الوجه الذي قدمنا ذكره فكيف يظن أنهم يقولون ذلك إلا
مع فقد العلم به وما المنكر من أن يظهر الإنسان بلسانه الإيمان
بما يعلمه ويتحققه ۝ فأما قوله ولأن ما ذكرناه من تأويل القرآن

مذلك انما يكون تاويلا للقرآن اذا حملت هذه اللفظة على المتأول لا على الفائدة
والمعنى فاما اذا حملت هذه اللفظة على انه وما يعلم معنى المتشابه وفائدته
الا الله فلا بد من دخول العلماء فيه وليس يمكنه ان يقول ان
حمل التاويل على المتأول اظهر من حمله على المعنى والفائدة لان الامر
بالعكس من ذلك بل حمله على المعنى اظهر واكثر في الاستعمال
واشبه بالحقيقة على انه لو قيل ان الجواب الاول اقوى من
الثاني لكان اولى من قوله من قبل انه لو كان المراد بالتاويل المتأول
لا الفائدة والمعنى لم يكن لتخصيص المتشابه بذلك دون المحكم
معنى لان في متأول المحكم كالخبر عن الثواب والعقاب والحساب
مما لا شبهة في كونه محكما ما لا يعرف تفصيله و لا
كنهه الا الله تعالى والعلماء يقولون امنا به فاي معنى لتخصيص
المتشابه بذلك يقتضي توجهه نحو المتشابه الى ان
قوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء
الفتنة وابتغاء تاويله يخص المتشابه بالذكر والاولى ان يكون
المراد بلفظة تاويله الثانية هو المراد بلفظة تاويله الاولى وقد
علمنا ان الذين في قلوبهم زيغ انما ابتغوا تاويله على خلاف معناه
ولم يطلبوا تاويله الذي هو متأوله فالوجه الاول اقوى وارجح

ويمكن في

ويمكن في الاية وجه ثالث لم نجدهم ذكروه وهو ان يكون
قوله تعالى والراسخون في العلم مستأنفا غير معطوف ويكون المعنى
وما يعلم تاويل المتشابه بعينه وعلى سبيل التفصيل الا الله
وهذا صحيح لان اكثر المتشابه قد يحتمل الوجوه
الكثيرة المطابقة للحق الموافقة لادلة العقول فيذكر
المتأول جميعها ولا يقطع على مراد الله تعالى منها بعينه
لان الذي يلزم في مثل ذلك ان يعلم في الجملة انه لم يرد من
المعنى ما يخالف الادلة وانه قد اراد بعض الوجوه المذكورة
المتساوية في الجواز والموافقة للحق وليس من تكليفنا
ان نعلم المراد بعينه وهذا مثل الضلال والهدى اللذين يبين
احتمالهما لوجوه كثيرة منها ما يخالف الحق فيقطع
على انه تعالى لم يرده ومنها وجوه تطابق الحق فيعلم
في الجملة انه قد اراد احدها ولا يعلم المراد منها بعينه وغير هذا
من الاي المتشابه فان اكثرها يحتمل وجوها والقليل منها
يختص بوجه واحد صحيح لا يحتمل سواه ويكون قوله تعالى
من بعد والراسخون في العلم يقولون امنا به اي صدقنا بما نعلمه مفصلا
ومجملا من المحكم والمتشابه وان الكل من عند الله ربنا

وهذا ايضا وجه صحيح واجود ٥ اخبرنا ابو عبيد الله المرزباني
قال اخبرنا محمد بن ابي الازهر قال انشدنا محمد بن يزيد لابي حية
النميري وهي ابيات مختارة ٥
وخبرك الواشون ان لا احبكم بلى وستور الله ذات المحارم
اصد وما الصد الذي تعرفينه عزاء بنا الا اجتراع العلاقم
حياء وبقيا ان تشيع نميمة بنا وبكم اف لاهل النمائم
وان دما لو تعلمين جنيته على الحي جاني مثله غير سالم
اما انه لو كان غيرك ارقلت صعاد القنا بالراعفات اللهاذم
ولكنه والله ما طل مسلما ببيض الثنايا واضحات الملاغم
قال ثعلب الملاغم ما حول الفم وقال المبرد واضحات الملاغم يريد
العوارض وقوله ما طل مسلما اي ما ابطل دمه ٥
اذا هن ساقطن الحديث كانه سقوط حصى المرجان من سلك ناظم
رمين فاقصدن القلوب ولا ترى دما مائرا الا جوى في الحيازم
كان لم ابرح بالغور واقتل سنة بابصار النعاج السفائح
ولم اله بالحدثات الالف الذي له غدائر لم تخمر من فار اللطائم
اذا اللهو يطبيني اذا استميله بحلوك المودين وخف المقادم
واذ انا منقاد الى كل مقود الى اللهو حلاف البطالات اثم

وروي ابن

وروي ابن حبيب مقود ومعنى حلاف البطالات اي حلاف في البطالات
تبين المطايا انني متلف عن انني على هلاك ما اتلفته غير نادم
اري خير يومي الحنين وان غلا بي اللوم لم احفل ملامة لائم
معنى خير يومي الحنين اي احب يومي الي الذي هو اخير عند
اهل الراي والعقل ٥ وانشدنا ابو اسحق ابن هيثم بن شعبن الزيادي
لابي حية قال واسمه هيثم بن الربيع ٥
ترحل بالشباب الشيب عنا فليت الشيب كان به الرحيل
وقد كان الشباب لنا خليلا فقد قضى مآربه الخليل
لعمر ابي الشباب لقد تولى حميدا ما يراد به بديل
اذا الايام مقبلة علينا وظل اراكة الدنيا ظليل
وانشد المبرد قال انشدنا ابو عثمان المازني لابي حية ٥
زمان الصبى ليت ايامنا رجعن لنا الصالحات القصارا
زمان علي غداف غداف فطيره الدهر عني وطارا
فلا يبعد الله ذاك الغراب وان هو لم يبق الا ادكارا
كان الشباب ولذاته وريق الصبى كان ثوبا معارا
وهاتيك اذ رات لمتي تلفع شيب بها فاستنارا
ولدي منه بعد الحطام عذارا فما استطيع اعتذارا

اجارتنا ان ريب الزمان قبلي مال الرجال الخيارا
فاما تري لمتي هكذا فاسرعت فيها لتسبيني النفارا
فقد ازدري وجهه طلة وقد ازن الغبات للحقفارا
واما قوله على غراب غداف فاراد به الشباب والشيب
والشعر الاسود ويشبه ان يكون ماخوذا من قول الاعشى
وما طلابك شيئا لست مدركه ان كان عنك غراب الجهل قد وقعا
ولابي حية من قصيدة اولها

الا يا اسلمي اطلال حسنا وانعمي
وحسنا خماص الوشاحين منتهى الى الزوج افنان خطي المنجم
الا اسلمي قبل ان ترمي النوى بنا فلذة نبض الفؤاد المتيم
بنفس عاشق لم تبق من روح نفسه ولا عقله المسلوب غير التوهم
فقلن لها سرا فديناك لا يرح صحيحا وان لم تقتليه فالممي
فالقت قناعا دونه الشمس واتقت باحسن موصولين كف ومعصم

وهذا البيت ماخوذ من قول النابغة

سقط النصيف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقتنا باليد

ولقوله فقلن لها سرا فديناك البيت خبر وهو ما اخبرنا به ابو الحسن علي بن محمد الكاتب قال حدثني محمد بن يحيى

الصولي

الصولي قال حدثني الباقطاني قال اتصل بعبيد الله بن سليمان بن وهب امر علي بن العباس الرومي وكثرة مجالسته لابي الحسين القاسم ابنه وسمع شيئا من اهاجيه فقال لابي الحسين قد احببت ان ارى ابن الرومي هذا فدخل يوما عبيد الله الى ابي الحسين وابن الرومي عنده فاستنشده من شعره فانشده وخاطبه فراه مضطرب العقل جاهلا فقال لابي الحسين بينه وبينه ان لسان هذا اطول من عقله ومن هذه صورته لا تؤمن عقاربه عند اول عتب ولا تفكر في عاقبة فاخرجه عنك فقال اخاف حينئذ ان يعلن ما يكتمه في دولتنا ويذيعه في تمكننا فقال يا بني اني لم ارد باخراجك له طرده فاستعمل فيه بيت ابي حية النميري

فقلن لها سرا فديناك لا يرح صحيحا وان لم تقتليه فالممي

فحدث القاسم بن فراس بما جرى وكان اعدا الناس لابن الرومي وقد هجاه باهاج قبيحة فقال له الوزير اعزه الله اشار بان يغتال حتى نستريح منه وانا اكفيك ذلك فسمه في الخشكنانج فمات قال الباقطاني والناس يقولون انما قتله ابن فراس وانما قتله عبيد الله وقال ابن الرومي لما رجع الى داره وقد دب السم في

اعضائي ٥

اشرب الماء اذا ما التهبت نار احشائي لاطفاء اللهب
فاراه زائدا في حرقتي فكان الماء للنار حطب

وذكر محمد بن يزيد المبرد قال مما يفضل لتخلصه من التكليف وسلامته من التزيد وبعده من الاستعانة قول ابي حية النميري

رمتني وستر الله بيني وبينها عشية آرام الكناس رميم
الا رب يوم لو رمتني رميتها ولكن عهدي بالنضال قديم

قال السيد رضي الله عنه وقد روي هذان البيتان للنصيب في غير رواية المبرد ٥ قال المبرد رمتني واصابتني لحاشتها ولو كنت شابا لرميت كما رميت وفتنت كما فتنت ولكن عهدي قد تطاول بالشباب وهذا كلام واضح ٥ واما الاستعانة فهو ان يدخل في الكلام ما حاجة بالمستمع اليه ليصحح نظما او وزنا ٥ ومما تخلصنا من قول ابي حية ٥

الا حي من اجل الحبيب المغانيا لبسن البلى مما لبسن اللياليا
اذا ما تقاضى المرء يوم وليلة تقاضاه شيء لا يمل التقاضيا

ويقال ان احسن ما وصف به المسواك قول ابي حية

لقد طال ما غيبت راحلة الصبى وعلقت سلطان الغوي المشوف

وداويت

وداويت قرح القلب منهن بالمنى وباللحظ لو يبذلنه المسترق
وساقينني كاس الهوى وسقينها رقاق الثنايا عذبة المترقرق

ويروى المتنسق يعني ثغرا على نسق واحد لا اختلاف فيه ٥

وخمصانة تفتر عن متنصب كنور الاقاحي طيب المتذوق
اذا انضفت بعد امتناع من الضحى اناتيب من عود الاراك المخلق

والخلوق والطيب من بدها وقال بعضهم عني بالمخلق المملس

سقت شعث المسواك ماء غمامة فضيضا بخرطوم المدام المروق

الفضيض الذي حين سال من الغمامة اي كما فض والخرطوم سلاف الخمر ويتأول انما يخرج من غير عصر ولا دوس ويسمى الخرطوم خرطوما لاجل السلاف ويتأول انما يخرج من العنب من غير دوس فسمي الخمر به لان الخرطوم هو الانف وهو مقدم الوجه

وان ذقت فاها بعد ما سقط الندى بعطفي بخنداة رداح الممنطق

البخنداة الضخمة والرداح العظيمة الارداف

شممت العرار الطل غب هميمة ونور الخزامى في الندى المترقرق

العرار بهار البرية والطل الغض الطري والهميمة مطر لين ٥ واخبرنا المرزباني قال حدثني علي بن هرون بن علي قال سمعت ابي وقد ذكر

قول ابي حية .

نظرت كاني من وراء زجاجة الى الدار من فرط الصبابة انظر

فعيناي طورا تغرقان من البكا فاعشى وطورا تحسران فابصر

فقال لو اعترض منى مملك تجب طاعته ويلزم الانقياد لامره فقال

اي شعر اجود واولى ان يستحسن ولم يفسح في ان امتثل المدح من الفخر

والهجاء من التشبيب وساير اصناف الشعر ومذاهب الشعراء

فيه لما عدلت عن هذين البيتين . ويقال ان ابا احمد

عبيد الله بن عبد الله بن طاهر اجاز بيتي ابي حية هذين

بقوله .

فلا تستقلني من عامر الماء تجلي ولا دمعتي من مكمل الشوق تقطر

ولابي حية .

من المشكيات الجلد حتى كانما تسح بعينيه الدموع شعيب

الشعيب مزادة من اديمين يشعب احدهما بالاخر .

ليالي اهلانا جميعا وحولنا سوائم منها رايح وعزيب

واذ يتجنبن الذنوب ومالنا اليهن الا ودهن ذنوب

ولابي حية .

لعمر اصد عن البيت الحبيب واني لاصغى الى البيت الذي اتجنب

ازور

ازور بيوتا غيره ولاهله على ما عدا عنهم اعز واقرب

وتقطع اسباب المودة معشر غضابى وهل في احسن القول مغضب

وان لامني يا ام عمرو نميمة تدب بها بيني وبينك عقرب

قوله لامني عطف على معشر .

وما بيننا لو انه كان عالما بذاك الالى يغلون ما بين تب

حديث اذا لم تخش عينا كانه اذا ساقطته الشهد بل هو اطيب

لو انك تستشفي به بعد سكرة من الموت كادت سكرة الموت تذهب

وقلت لها ما تامرين الذي ارى البين ادنى روعة تتفرق

قال محمد بن يحيى الصولي لا احسبه في قوله . لو انك تستشفي به

بعد سكرة من الموت الا اشبع قول توبة بن الحمير .

ولو ان ليلى الاخيلية سلمت علي ودوني جندل وصفايح

لسلمت تسليم البشاشة او زقا اليها صدى من جانب القبر صايح

قال السيد رضي الله عنه واول من سبق الى هذا المعنى فاحسن الاعشى

في قوله .

عهدي بها في الحي قد درعت صفرا مثل المهرة الضامر

لو اسندت ميتا الى نحرها عاش ولم ينقل الى قابر

حتى يقول الناس مما راوا يا عجبا للميت الناشر

ومعنى النشر المنشور يقال أنشر الله الميت فنشر وهو ناشر بمعنى منشور
ومثل ماء دافق وهو مدفوق ٥ وقال بعض أصحاب المعاني إن
الجاثية التي وصفها أيضا ميتة بمعنى أنها ستموت كما قال تعالى
إنك ميت وإنهم ميتون أي ستموت فيكون المعنى أن الناس
عجبوا من أن يكون بموت ينشر الموتى ومن قال هذا الجواب
نشر الله الموتى بمعنى أنشر والقول الأول أظهر وما نظن الأعشى عنى غيره ٥

مجلس آخر

تأويل آية ٥ إن سأل سائل عن قوله تعالى لا تثريب عليكم اليوم يغفر
الله لكم وهو أرحم الراحمين ٥ حاكيا ذلك عن يوسف
عليه السلام فقال لم خص اليوم بالقول وإنما أراد العفو عنهم في
جميع مستقبل أوقاتهم ٥

الجواب

قلنا في هذه الآية وجوه أربعة أولها لما كان هذا الوقت الذي أشار
الله إليه وهو أول أوقاته التي كشف فيها نفسه وأطلعهم على ما كان
يستره عنهم من أمره أشار إلى الوقت الذي لو أراد الانتقام
لابتدأ به فيه والذي متى عفا فيه لم يراجع الانتقام ٥ وثانيها

ان يوسف

أن يوسف لما قدم توبيخهم وعدد عليهم قبيح ما فعلوه وعظيم ما ارتكبوه
وهو مع ذلك يستر عنهم نفسه ولا يفصح لهم بحاله قال لهم عند
تبيين أمره لهم لا تثريب عليكم اليوم أي قد انقطع عنكم توبيخي ومضى
عذلي ولا مني عند اعترافكم بالذنب فكان ذكر اليوم دلالة على
انقطاع المعاتبة والتوبيخ وعلى أن الأوقات المتصلة باليوم تجري
مجراه في زوال الغضب وتمام العفو وسقوط المؤاخذة لهم على
ما سلف منهم ٥ وثالثها أن ذكر اليوم المراد به الزمان
والحين فوضع اليوم موضع الزمان كله المشتمل على الليالي
والأيام والشهور والسنين كما يقول العربي لغيره وقد كنت تستحسن
شرب الخمر واليوم قد وفقت لتركها ومعناها تريد في هذا
الزمان ولا تريد يوما واحدا بعينه ٥ ومثله قد كنت تقصر
في الجواب عن فنون العلم فاليوم ما يعجزك مثله ولا تتوقف
عن مشكله تريد باليوم باقي الزمان كله وقال امرؤ القيس

حلت لي الخمر وكنت امرأ عن شربها في شغل شاغل
فاليوم أشرب غير مستحقب إثما من الله ولا واغل

ولم يقصد يوما بعينه ٥ ومثله

فاليوم يرحمنا من كان يغبطنا واليوم نتبع من كانوا لنا تبعا

وقال لبيد ؛

وما الناس الا كالديار واهلها بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

كل ذلك لا يراد بذكر اليوم او الغد فيه الا جميع الاوقات
المستقبلة ٥ ورابعها ان يكون المراد لا تثريب عليكم
البتة ثم قال اليوم يغفر الله لكم فتعلق اليوم بالغفران وكان
المعنى غفر الله لكم اليوم وقد ضعف قوم هذا الجواب من جهة
ان الدعا لا ينتصب ما قبله ٥ فاما التثريب فان ابا عبيدة قال
معناه لا تشعيب ولا معايبة ولا افساد وقال الشاعر ؛

فعفوت عنهم عفو غير مثرب وتركتهم لعقاب يوم سرمد

وقال ابو العباس ثعلب ثرب فلان على فلان اذا عدد عليه ذنوبه
وقال بعضهم التثريب ماخوذ من لفظ الثرب وهو شحم الجوف
فكانه موضوع للمبالغة في اللوم والتعنيف والتقصي الى
ابعد غاياتهما ٥

تاويل خبر

روى ابو عبيد القاسم بن سلام عن حجاج عن حماد بن سلمة
عن هشام بن حسان عن ابن سيرين عن ابي هريرة
ان النبي صلى الله عليه واله نهى عن كسب الزمارة ٥ وقال

ابو عبيد

ابو عبيد قال حجاج الزمارة الزانية وقال هذا مثل حديثه الآخر
انه نهى عن كسب البغي ٥ وقال ابو عبيد وقال غير حجاج هي الرمازة
بتقديم الرا قال وقول حجاج احسن عندنا لانهم كانوا يكرهون
امائهم على البغاء فانزل الله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء
ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا قال فالعرض هو
كسب البغي الذي نهى النبي صلى الله عليه واله عنه ٥ قال ابو عبيد
ولا اعلم لم اخذت الزمارة غير اني وجدتها مفسرة في الحديث
وقال ابن قتيبة الامر على ما ذكره ابو عبيد الا ما انكره
على من زعم انها الرمازة لان الرمازة هي الفاجرة سميت بذلك
لانها ترمز اي تومي بعينيها وحاجبيها وشفتيها قال الفرا والرمز
الايماء بالشفتين ومنه قول الله تعالى آيتك الا تكلم الناس ثلاثة ايام
الا رمزا ٥ فالرمازة صفة من صفات الفاجرة ثم صار اسما لها
كالاسم ولذلك قيل لها هلوك لانها تتهالك على الفراش
او على الرجل ثم صار اسما لها دون غيرها من النساء وان لم تكن على
زوجها وقيل لها خريع للينها وتثنيها ثم صار ذلك اسما لها
دون غيرها من النساء وان لا تتثنى لزوجها ونحوه قولهم
للبعير اعلم للمشقوق في مشفره الاعلى ثم صار كالاسم له وكذلك

قولهم للذئب اذا سنح ثم صاح كالاثم له والمرزبة لا تكاد تعلق الكلب الا هو اما
تومض او تمر او تصفر قال الشاعر

رمزت الي مخافة من بعلها من غير ان تبدي هناك كلامها

وقال الاخطل

احاديث سداها ابن حدراء فرقد ورمازة مالت لمن يستميلها

وقال الراجز

يومين بالاعين والحواجب ايماض برق في عماء ناصب

والعماء السحاب والناصب المعتبد وقال بعضهم انما قيل للفاجرة رمازة
من القحاب وهو السعال قال واحسبه اراد انها تتنحنح او تسعل
ترمز بذلك قال وبلغني عن المفضل انه كان يقول في قول الناس اجبن
من صافر انه الرجل يصفر للفاجرة وهو يخاف كل شيء فاما
الاصمعي فانه كان يقول الصافر ما يصفر من الطير وانما
وصف بالجبن لانه ليس من الجوارح قال ابن قتيبة ولا
ارى القول الا قول المفضل والدليل على ذلك قول الكميت

ارجو لكم ان تكونوا في اخائكم كلبا كورهاء تقلي كل صفار
لما اجابت صفيرا كان ايتها من قابس شيط الوجعاء بالنار

وهذه امراة كان يصفر لها رجل فتجيبه فتمثل زوجها

بوصف

بوصف لها فاتته فشيطها بميسم فلما عاد الصفير قالت قد قلينا
كل صفار يريد انها قد عففنا واطرحنا كل فاجر وقال
ابو بكر محمد بن القاسم الانباري والاختيار عندي الرمازة مفتوحة
الراي على ما قال ابو عبيد لحجج ثلث احداهن اجماع اصحاب
الحديث على الرمازة والحجة الثانية ان الفاجرة سميت
رمازة لانها تجس نفسها وكلامها والرمز عند العرب الحس
قال عمرو بن احمر الباهلي يصف سرابا وبقرا

دنا ان رحنا بان بينهما رجل احس غناء رمز

قال الاصمعي معناه غناء حس كانه من رهبته داود والحجة
الثالثة انهم يسموا الفاجرة رمازة لمهانتها وقلة ما فيها من الحس من
قول العرب نعجة رمزة اذا كانت قليلة الصوف ويقال رجل رمز
المروة اذا كان قليلها قال ابن احمر

مطلنفئا لون الحصى لونه يحجر عنه الذر ريش رمز

المطلنفئ اللاصق بالارض والذر النمل والرمز القليل فسمي البغي
رمازة على وجه الذم لها والتصغير لشانها كما قيل لها فاجرة
لميلها عن القصد يقال فجر الرجل اذا مال قال لبيد

فان يتقدم تغش منها مقدما غليظا وان اخرت فالكفل فاجر

[illegible]

أني ما لك والكفل لنا أن نضع على ظهر البعير نوقي من العرق
قال سيدنا رضي الله عنه ولا أرى لاحدى الروايتين فضلا
على الأخرى ترجيحا لأن كل واحدة منهما قد أتت من جهة
من يسكن إلى قوله ولكل منهما مخرج وتأويل يرجع إلى معنى
واحد لأن الرمانة بالراء غير المعجمة يرجع معناها على ما ذكر
ابن قتيبة إلى معنى الخوق ومن رواها بالزاي المعجمة فالمرجع
في معناها إلى ذلك أيضا على الوجهين اللذين ذكرهما ابن
الأنباري الأول أن يثبتا معا ويكون الراوي مخيرا
بينهما ۝ أخبرنا أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني قال أنشدني
محمد بن أحمد الكاتب قال أنشدنا أحمد بن يحيى قال أنشدنا ابن الأعرابي
للمضربي وهو عقبة بن كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني

وما زلت أرجو نفع سلمى وودها   وتبعد حتى ابيض مني المسائح
وحتى رأيت الشخص يزداد مثله   إليه وحتى نصف رأسي واضح
علا حاجبي الشيب حتى كأنه   ظباء جرت منها سنيح وبارح
وهزة أظعان عليهن بهجة   طلبت وريعان الصبي بي جامح
فلما قضينا من منى كل حاجة   ومسح بالأركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا   وسالت بأعناق المطي الأباطح

وشددت

شددت على هدب المهاري رحالها   ولا ينظر الغادي الذي هو رائح
فقلنا على الخوص المراسيل وارتمت   بهن الصحاري والصفاح الصحاصح

وأنشد ابن الأعرابي

فصدت بعيني شادن وتبسمت   لحاجتها عن غر لهن غروب
جرى بالإسحل الأحوى عليهن أو جرى   عليهن من فرع الأراك قضيب

أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الكاتب قال أخبرني محمد بن يحيى الصولي
قال حدثنا محمد بن الحسن البلخي قال حدثنا أبو حاتم قال سمعنا الأصمعي
يقول سمعت الرشيد يقول قلب العاشق عليه مع معشوقه فقلت
له هذا والله يا أمير المؤمنين أحسن من قول عروة بن حزام
العذري لعفراء ۝

أراني تعروني لذكراك روعة   لها بين جلدي والعظام دبيب
وما هو إلا أن أراها فجاءة   فأبهت حتى لا أكاد أجيب
وأصرف عن رأيي الذي كنت أرتئي   ويعزب عني علمه ويغيب
ويضمر قلبي عذرها ويعينها   علي فما لي في الفؤاد نصيب

فقال الرشيد من قال هذا وهما فإني أقوله علما ولله درك يا أصمعي
فإني أجد عندك ما يضل عنه العلماء ۝ قال الصولي فأخذه
العباس بن الأحنف فقال ۝

يهيم بجنان الجزيرين قلبه وفيها غزال فاتن الطرف ساجر
يوازره قلبي عليه وليس لي يدان بمن قلبي عليه يوازره

وأشار إليه أيضا في قوله

قلبي إلى ما ضرني داعي يكثر أحزاني وأوجاعي
كيف احترازي من عدوي إذا كان عدوي بين أضلاعي

وأخذه سهل بن هرون الكاتب فقال

أعان طرفي على جسمي وأعضائي بنظرة وقفت جسمي على دائي
وكنت غرا بما تجني على يدي لا علم لي أن بعضي بعض أعدائي

وقال البحتري

ولست أعجب من عصيان قلبك لي يوما إذا كان قلبي فيك يعصيني

وروى أبو عكرمة الضبي عن مسعود بن بشر المازني قال قال
لنا الأصمعي يوما أحسن ما قيل في صفة امرأة عجزاء خميصة
فأنشد قول الأعشى

صفر الوشاح وملء الدرع بهكنة إذا تأتى يكاد الخصر ينخزل

وأنشد قول علقمة بن عبدة

صفر الوشاحين ملء الدرع خرعبة كأنها رشأ في البيت ملزوم

وأنشد قول ذي الرمة

ترى خلقها

ترى خلقها نصفا قناة قويمة ونصفا نقا يرتج أو يتمرمر

فقال الحسن ما قيل فيه قول أبي وجزة السعدي

أدماء في وضح يكاد رداؤها يشوي ويشبع ما أحب إزارها

قال أبو عكرمة مثله قول الحرث بن خالد المخزومي

غرثانة تمط وشاحها فلقى ريا زمن أرادوها المسرط

واخبرنا المرزباني قال حدثنا محمد بن إبراهيم قال حدثنا أبو العيناء
قال حدثنا الأصمعي قال لما مات محمد بن سليمان بن علي الهاشمي
دخلت على أخيه جعفر بن سليمان وقد حزن عليه حزنا شديدا
ولم يطعم ثلثا فأنشدته لابن أراكة الثقفي

لعمري لئن أتبعت عينك ما مضى به الدهر أو ساق الحمام إلى القبر
لتستنفدن ماء الشؤون بأسره ولو كنت تمريهن من ثبج البحر
تبين فإن كان البكا رد هالكا على أحد فاجهد بكاك على عمرو
ولا تبك ميتا بعد ميت أجنه علي وعباس وآل أبي بكر

قال فأمر لي بالطعام فأكل من ساعته قوله حزن باكيا معناه
رفع صوته بالبكاء وقال قوم الخنين من الأنف والحنين من الصدر
وهو صوت يخرج من كل واحد منهما واخبرنا المرزباني
قال حدثنا محمد بن العباس قال حدثنا محمد بن يزيد النحوي قال

سمعت النوفلي يقول دخلنا مع الاصمعي على اسمعيل بن جعفر
لنبله في حاجة فانشد الاصمعي ابياتا لابن هرمة

ابناك من حاجة وسيلة اليك وقد تخطى لديك الوسائل
ونذكر ود اشد الله بيننا على الدهر لم تذنب اليه الغوائل
فما قسم ما اكبر زائدك مادح ولا اكذبت فيك الرجا الغوائل
ولا رجعت ذا حاجة عنك علة ولا عاق خيرا عاجلا منك آجل
ولا لام فيك الباذل الوجه نفسه ولا احكمت في الجود منك المباخل

لم تزد على هذه الابيات فقضى حاجته واجاب مسألته
قال سيدنا رضي الله عنه وليشبه ان يكون ابن
هرمة اخذ قوله ولا اكذبت فيك الرجا الغوائل
من قول الحزين الكناني في زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام

فلما تردى بالحمائل وانتهى يصول باطراف القنا الذوابل
تبينت الاعداء ان سنانه يطيل حنين الامهات الثواكل
تبين فيه منتهى العز والتقى ولبدا تغدي بين ايدي القوابل

واخبرنا علي بن محمد الكاتب قال اخبرني محمد بن يحيى الصولي
قال حدثنا محمد بن الحسن البلعي قال حدثني ابو حاتم عن الاصمعي
قال قال الرشيد يوما اتعرف للعرب اعتذارا او ندما ودوع النابغة

فلنه تحتج ويعتذر فقلت ما اعرف ذلك الا لبشر بن ابي حازم الاسدي
فانه هجا اوس بن حارثة بن لام فاسره بعد ذلك واراد قتله
فقالت له امه وكانت ذات راي والله لا يمحو هجاءه لك الا مدحه
اياك فعفا عنه فقال بشر

واني على ما كان مني لنادم واني الى اوس بن لام لتائب
واني الى اوس ليقبل توبتي ويعرف ودي ما حييت لراغب
فهب لي حياتي فالحياة لقائم بشكرك فيها خير ما انت واهب
سامحو بمدح فيك اذ انا صادق كتاب هجاء سار اذ انا كاذب

فقال الرشيد للاصمعي ان دولتي لتحسن ببقائك فيها
واخبرنا علي بن محمد الكاتب قال حدثنا ابن دريد قال حدثنا
عبد الرحمن يعني ابن اخي الاصمعي عن عمه قال سمعت بيتين لم
احفل بهما ثم قلت هما على كل حال خير من موضعهما من
الكتاب قال فاتى عند الرشيد يوما وعنده عيسى بن
جعفر فاقبل على مسرور الكبير فقال يا مسرور
كم في بيت مال السرور فقال ما فيه شيء فقال عيسى هذا
بيت مال الحزن فاغتم لذلك الرشيد واقبل على عيسى
فقال والله لتعطين الاصمعي سلفا على بيت مال السرور الف دينار

فوجم عني واكتسر فقلت في نفسي جا موضع البيتين وانشدت الرشيد

اذا شئت ان تلقا اخاك معبسا وجداه في الماضين كعب وحاتم

فكشفه عما في يديه فانما تكشف اخبار الرجال الدراهم

قال فتجلى عن الرشيد وقال لمسرور اعطه على بيت مال السرور

الفي دينار فاخذت بالبيتين الفي دينار وما كانا

يساويان عندي درهمين

تم الجزء الاول من الكتاب بحمد الله وتوفيقه

ويتلوه في الجزء الثاني ان شا الله تعالى

مجلس اخر

تاويل ابن ان سال سايل عن قوله تعالى خلق الانسان

من عجل سأريكم اياتي فلا

تستعجلون

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد واله الطاهرين

وسلم تسليما

